أشراط الساعة

القتن والملاحم

خروج الدجال

نزول عيسى عليه السلام

يأجوج ومأجوج

مستقبل الأمة

الأَخْبَارُ النَّبَوِيَّةُ الصَّادِقَةُ

فِي الأَحْدَاثِ العَالَمِيَّةِ المُقْبِلَةِ

دراسة عقدية حديثية تحليلية
في الفتن والمَلاحم وأشراط الساعة



إعداد
الشيخ
الدكتور محمد أحمد عبد الغني

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ
(آل عمران : 8)

الأَخْبَارُ النَّبَوِيَّةُ الصَّادِقَةُ
فِي الأَحْدَاثِ العَالَمِيَّةِ المُقْبِلَةِ

دراسة عقدية حديثية تحليلية

في الفتن والملاحم وأشراط الساعة

الأَخْبَارُ النَبَوِيَّةُ الْصادقة في الأَحْدَاثِ الْعَالمَيَّةِ المقْبِلَةِ

المقدمة

إنَّ من عظمةِ هذا الدينِ الخاتمِ كمالَه وشمولَه، ومن مظاهرِ هذا الكمالِ أنَّه هيَّأ نفوسَ أتباعِه لما يستقبلونَه من أحداثٍ ووقائعَ، ليعيشَ المؤمنُ على نورٍ وبصيرةٍ، يعرفُ من خلال خبرِ النبيِّ الصادقِ ﷺ ما كان وما سيكون، ممَّا ينفعه في دينِه ودنياه وآخرته.

ومن أجلِّ ما ورد في ذلك النصوصُ الشرعيةُ المتحدثةُ عن أمورِ المستقبلِ، وما يكونُ بين يدي الساعةِ من فتنٍ وملاحمَ وأشراطٍ، إذ تمنحُ المسلمَ تصورًا صحيحًا عمَّا يستقبلُه من أحداثٍ، فيتجددُ إيمانُه بالله ورسولِه ﷺ ، ويسارعُ إلى التوبةِ والإنابةِ، ويبادرُ إلى العملِ الصالحِ، ولا يركنُ إلى الدنيا وزخارفِها، بل يتزوَّدُ بالتقوى، ويحذرُ أسبابَ الفتنِ والانقلابِ، رجاءَ النجاةِ يوم القيامة.

كما أنَّ الحديثَ عن أشراطِ الساعةِ من الموضوعاتِ العظيمةِ التي يحتاجُها الناسُ، ولا سيما في الأزمنةِ التي يغلبُ فيها الانشغالُ بالدنيا والغفلةُ عن الآخرة؛ فإنَّ في ظهورِ الأَشْرَاط المحسوسةِ، التي أخبر بها النبيُّ ﷺ، تذكيرًا للقلوبِ، وإيقاظًا للغافلين، ودعوةً إلى الرجوعِ إلى الله تعالى.

يقول أبو عبد الله القرطبي رحمه الله: «قال العلماء رحمهم الله تعالى: الحكمةُ في تقديمِ الأَشْرَاط ودلالةِ الناسِ عليها تنبيهُ الناسِ من رقدتِهم، وحثُّهم على الاحتياطِ لأنفسِهم بالتوبةِ والإنابةِ، كي لا يباغَتوا بالحيلولةِ بينهم وبين تداركِ ما فرَّطوا فيه»[1].

وإنَّ الأمةَ الإسلاميةَ اليومَ أحوجُ ما تكونُ إلى مراجعةِ هذه النصوصِ الشرعيةِ مراجعةً علميةً منضبطةً، تستمدُّ منها البصيرةَ في زمنِ الفتنِ والاضطرابِ، بعد أن تكاثرتِ المحنُ، وتتابعتِ الأزماتُ، وضعفَ التمسكُ بالدينِ، وانتشرتِ البدعُ والجهالاتُ، وغلبَ الاشتغالُ بالدنيا على كثيرٍ من الناس.

ومع أهميةِ هذا البابِ وعظيمِ أثرِه، فقد ظهر في هذا العصرِ من توسَّع في تنزيلِ نصوصِ الفتنِ والأَشْرَاط على الوقائعِ المعاصرةِ بلا علمٍ ولا ضابطٍ، فامتلأتِ الكتاباتُ والتسجيلاتُ بالتأويلاتِ المتكلَّفةِ، والظنونِ المتعجلةِ، حتى صارت نصوصُ الفتنِ والملاحمِ مرتعًا لعبثِ بعض المتخرصين،

(1) القرطبي: "التذكرة ،ص (624)

الأَخْبَارُ النَبَوِيَّةُ الْصادقة في الأَحْدَاثِ الْعَالمَيَّةِ المقْبِلَةِ

يحملون النصوصَ ما لا تحتملُ، ويبنون تصوراتِهم على أخبارٍ ضعيفةٍ أو آثارٍ لا تثبتُ، ثم ينزلونها على أحداثِ الواقعِ تنزيلًا جازمًا لا يسنده دليلٌ صحيحٌ ولا فهمٌ مستقيم.

وقد يؤدِّي ذلك إلى اضطرابِ المفاهيمِ، وإثارةِ البلبلةِ، وصرفِ الناسِ عن المقصودِ الشرعيّ من هذه النصوصِ، الذي يقومُ على ترسيخِ الإيمانِ، والتحذيرِ من الفتنِ، والاستعدادِ للقاءِ الله تعالى.

ومن هنا جاءت فكرةُ هذا الكتابِ الموسوم بـ:

«الأَخْبَارُ النَّبَوِيَّةُ الصَّادِقَةُ في الأَحْدَاثِ العَالَمِيَّةِ المُقْبِلَةِ»

وهو محاولةٌ لجمعِ الأخبارِ النبويةِ الصحيحةِ المتعلقةِ بالأحداثِ المستقبليةِ، ودراستِها دراسةً عقديةً حديثيةً تحليليةً، مع بيانِ ما تحققَ منها وما لم يتحققْ بعد، وفقَ منهجٍ قائمٍ على أصلين عظيمين:

1-صحةِ الخبر.

2-صحةِ الفهمِ والتأويل.

وقد اعتمدتُ ـ بعد التوكلِ على الله تعالى ـ على الأحاديثِ الصحيحةِ والحسنةِ، واجتنبتُ الأحاديثَ الضعيفةَ والواهيةَ ما أمكن، مع الحرصِ على جمعِ كلامِ أهلِ العلمِ المحققين، وبيانِ ضوابطِ فهمِ نصوصِ الفتنِ والأَشْرَاط وتنزيلِها على الواقع.

أهمية الموضوع

تنبع أهميةُ هذا الموضوعِ من جملةٍ من الأمور، من أبرزها:

1- أنَّ الأخبارَ النبويةَ المتعلقةَ بالمستقبلِ بابٌ من أبوابِ العقيدةِ والإيمانِ بالغيب، والإيمانُ بها داخلٌ في التصديقِ برسالةِ النبيّ ﷺ.

2- أنَّ نصوصَ الفتنِ والملاحمِ وأشراطِ الساعةِ من دلائلِ النبوةِ الظاهرةِ؛ إذ وقع كثيرٌ مما أخبرَ به النبيُّ ﷺ مطابقًا للواقع، وسيقع ما بقي كما أخبر الصادقُ المصدوق.

3- حاجةُ المسلمينَ في هذا العصرِ إلى الفهمِ الصحيحِ لنصوصِ الفتنِ والأَشْرَاط، في ظلِّ كثرةِ الاضطراباتِ والفتنِ، وانتشارِ التأويلاتِ الخاطئةِ والتنزيلاتِ المتعجلةِ على الوقائعِ المعاصرة.

4- بيانُ المنهجِ العلميّ الصحيحِ في التعاملِ مع النصوصِ المتحدثةِ عن الأحداثِ المستقبليةِ، والتمييزُ بين الفهمِ المنضبطِ القائمِ على الدليل، وبين الظنونِ والتخرصاتِ التي لا تقومُ على أصلٍ علمي.

5- أنَّ دراسةَ الأخبارِ النبويةِ المتعلقةِ بالأحداثِ المقبلةِ تزيدُ المؤمنَ يقينًا بالله تعالى وبرسولِه ﷺ، وتدفعُه إلى التوبةِ والاستعدادِ للآخرةِ والثباتِ زمنَ الفتن.

6- إبرازُ شمولِ الشريعةِ الإسلاميةِ وكمالِها، وأنها لم تتركْ الأمةَ دون توجيهٍ وإرشادٍ فيما يتعلقُ بما يستقبلُها من أحداثٍ وتحولات.

7- قلةُ الدراساتِ التي تجمعُ بين الجانبِ الحديثيّ والعقديّ والتحليليّ في بابِ الأخبارِ النبويةِ المتعلقةِ بالأحداثِ العالميةِ المقبلةِ ضمن بناءٍ علميٍّ واحد.

أسباب اختيار الموضوع

ومن أبرزِ الأسبابِ التي دفعتني إلى اختيارِ هذا الموضوع:

1- الرغبةُ في خدمةِ السنةِ النبويةِ، وجمعِ الأخبارِ الصحيحةِ الواردةِ في الفتنِ والملاحمِ وأشراطِ الساعةِ ودراستِها دراسةً علميةً موثقة.

2- ما يعيشه العالمُ اليومَ من اضطراباتٍ وفتنٍ وأحداثٍ متسارعةٍ دفعت كثيرًا من الناسِ إلى التساؤلِ عن النصوصِ النبويةِ المتعلقةِ بالمستقبل.

3- انتشارُ الكتاباتِ والمقاطعِ الإعلاميةِ التي تتناولُ نصوصَ الأَشْرَاط والملاحمِ بغيرِ علمٍ، وكثرةُ الأخطاءِ في تنزيلِ النصوصِ على الوقائعِ المعاصرة.

4- بيانُ وسطيةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ في التعاملِ مع نصوصِ الفتنِ والأَشْرَاط، بعيدًا عن الغلوِّ في التأويلِ أو الجفاءِ والإعراضِ عن هذه النصوص.

5- الرغبةُ في إبرازِ دلائلِ صدقِ النبيّ ﷺ من خلال الأخبارِ التي تحققت كما أخبر بها.

6- أهميةُ ربطِ المسلمِ بالآخرةِ، وتذكيرِه بقربِ الساعةِ، وما يترتبُ على ذلك من الاستعدادِ بالأعمالِ الصالحةِ والثباتِ على الدين.

7- مناسبةُ هذا الموضوعِ للتأصيلِ العلميّ وجمعِ المادةِ الحديثيةِ والعقديةِ والتاريخيةِ في بابٍ يعدُّ من الأبوابِ المهمةِ في الدراساتِ الإسلامية.

إشكالية البحث

تتمثلُ إشكاليةُ هذا البحثِ في دراسةِ الأخبارِ النبويةِ المتعلقةِ بالأحداثِ المستقبليةِ، وبيانِ المنهجِ الصحيحِ في فهمِها والتعاملِ معها، في ظلِّ كثرةِ الاختلافِ والاضطرابِ في تنزيلِ نصوصِ الفتنِ والملاحمِ وأشراطِ الساعةِ على الوقائعِ المعاصرة.

فقد ظهرت في هذا العصرِ اتجاهاتٌ متعددةٌ في التعاملِ مع هذه النصوص؛ فمن الناسِ من توسَّع في تأويلِها وربطِها بالأحداثِ السياسيةِ والعالميةِ المعاصرةِ دون ضوابطَ علميةٍ معتبرة، ومنهم من اعتمدَ على الأحاديثِ الضعيفةِ والآثارِ الواهيةِ في بناءِ تصوراتِه، ومنهم من أعرضَ عن هذا البابِ بالكليةِ خشيةَ الوقوعِ في الخطأ.

ومن هنا يسعى هذا البحثُ للإجابةِ عن عددٍ من التساؤلاتِ، من أهمِّها:

1- ما حقيقةُ الأخبارِ النبويةِ المتعلقةِ بالأحداثِ المستقبليةِ وأشراطِ الساعةِ؟

2- ما الضوابطُ الشرعيةُ والعلميةُ لفهمِ نصوصِ الفتنِ والملاحمِ وتنزيلِها على الواقع؟

3- ما الأخبارُ النبويةُ التي تحققت كما أخبر بها النبيُّ ﷺ، وما دلالتُها على صدقِ نبوته؟

4- ما أبرزُ الأحداثِ العالميةِ المقبلةِ التي ثبتت بها النصوصُ الصحيحةُ؟

5- كيف تعاملَ أهلُ العلمِ مع نصوصِ الأَشْرَاط والملاحمِ، وما منهجُهم في الجمعِ بين النصوصِ وفهمِها؟

6- ما أسبابُ الانحرافِ المعاصرِ في تفسيرِ نصوصِ الفتنِ والأَشْرَاط، وما آثارُ ذلك على الفكرِ والسلوك؟

7- كيف يمكنُ تقديمُ دراسةٍ علميةٍ تجمعُ بين صحةِ الروايةِ وسلامةِ الفهمِ في هذا الباب؟

وبذلك يحاولُ البحثُ الوصولَ إلى تصورٍ علميٍّ منضبطٍ للأخبارِ النبويةِ المتعلقةِ بالمستقبل، قائمٍ على صحةِ الدليلِ وحسنِ الفهمِ، بعيدًا عن الغلوِّ في التأويلِ أو التفريطِ في هذا البابِ المهم.

منهج البحث

اقتضت طبيعةُ هذا البحثِ أن يعتمدَ على أكثرَ من منهجٍ علميٍّ؛ تحقيقًا لأهدافِه، ووصولًا إلى النتائجِ المرجوةِ منه، ومن أبرزِ المناهجِ التي سار عليها البحث:

1- المنهج الاستقرائي

وذلك بجمعِ النصوصِ الشرعيةِ المتعلقةِ بالأخبارِ النبويةِ في الأحداثِ المستقبليةِ، وأشراطِ الساعةِ، والفتنِ، والملاحمِ، من مصادرِها الأصليةِ في القرآنِ الكريمِ والسنةِ النبويةِ، وتتبعِ أقوالِ أهلِ العلمِ المتعلقةِ بها.

2- المنهج الحديثي

وذلك بالعنايةِ بتخريجِ الأحاديثِ الواردةِ في البحثِ، وبيانِ درجتِها من حيثُ الصحةُ والضعفُ، والاعتمادِ على الأحاديثِ الصحيحةِ والحسنةِ، واجتنابِ الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ إلا عند الحاجةِ مع بيانِ حالِها، مع الرجوعِ إلى كلامِ أئمةِ الحديثِ والحكمِ على الرواياتِ.

3- المنهج التحليلي

وذلك بتحليلِ النصوصِ الشرعيةِ المتعلقةِ بالأحداثِ المستقبليةِ، وبيانِ دلالاتِها العقديةِ والفقهيةِ والتربويةِ، وشرحِ ما فيها من المعاني والإشاراتِ، مع ربطِ بعضِها ببعضٍ وفقَ قواعدِ أهلِ العلمِ.

4- المنهج النقدي

وذلك ببيانِ الأخطاءِ الواقعةِ في تفسيرِ نصوصِ الفتنِ والملاحمِ وأشراطِ الساعةِ، ونقدِ التأويلاتِ المعاصرةِ المخالفةِ لمنهجِ أهلِ السنةِ والجماعةِ، والتنبيهِ على خطرِ تنزيلِ النصوصِ على الوقائعِ بغيرِ علمٍ أو ضوابطَ شرعيةٍ.

5- المنهج المقارن

وذلك بذكرِ أقوالِ العلماءِ في المسائلِ التي وقعَ فيها الخلافُ، والموازنةِ بينها، وبيانِ الراجحِ منها بالدليلِ، خاصةً فيما يتعلقُ بفهمِ بعضِ النصوصِ أو تنزيلِها على الوقائعِ.

6- المنهج التاريخي

وذلك عند دراسةِ الأخبارِ النبويةِ التي تحققتْ في حياةِ النبيّ ﷺ أو بعدَ وفاتِه، من خلالِ عرضِ الوقائعِ التاريخيةِ وربطِها بالنصوصِ الواردةِ فيها، لبيانِ تحققِ ما أخبرَ به النبيُّ ﷺ.

وقد التزمَ الباحثُ أثناءَ إعدادِ هذا البحثِ بما يأتي:

1-العنايةُ بصحةِ النصوصِ الشرعيةِ قبل الاستدلالِ بها.

2-الرجوعُ إلى المصادرِ الأصليةِ المعتمدةِ.

3-توثيقُ النقولِ والآثارِ من مظانِّها.

4-العنايةُ بفهمِ النصوصِ وفقَ منهجِ أهلِ السنةِ والجماعةِ.

5-اجتنابُ التكلفِ في تنزيلِ النصوصِ على الوقائعِ المعاصرةِ دون دليلٍ ظاهرٍ.

خطة البحث : لقد بنيت قواعد هذا البحث على مقدمة وفصل تمهيدي، وأربعة فصول وخاتمة.

وتشمل المقدمة : أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، و الدراسات السابقة، وإشكالية البحث، ومنهج البحث.

الفصل التمهيدي: الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل: مفهومها وحكمتها وضوابطها

المبحث الأول: مفهوم الأخبار النبوية المستقبلية وحكمتها

المطلب الأول : تعريف الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل.

المطلب الثاني :حكمة إيراد النصوص المتحدثة عن المستقبل.

1-كونها من مسائل العقيدة التي يجب الإيمان بها

2-التحذير مما يستقبل الناس من الفتن والإرشاد إلى ما يفعلون

3-الاستعداد لقيام الساعة.

4- إشباع الحاجة الفطرية لمعرفة المستقبل

المبحث الثاني: حجية الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل

المطلب الأول: تعريف خبر الآحاد والمتواتر

المطلب الثاني: حجية خبر الآحاد عند أهل السنة

المطلب الثالث: الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة

المطلب الرابع: موقف أهل البدع من أحاديث الأشراط والرد عليهم

المطلب الخامس: أثر إنكار حجية الآحاد في باب أشراط الساعة

المبحث الثالث: ضوابط فهم نصوص الفتن والأشراط وتنزيلها على الواقع

المطلب الأول: خطورة التسرع في تنزيل النصوص.

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير والتنزيل.

المطلب الثالث: ضوابط أهل السنة في فهم نصوص الفتن والملاحم.

المطلب الرابع: موقف أهل السنة من الجزم بالتعيين.

المطلب الخامس: نماذج من الانحرافات المعاصرة في تنزيل النصوص.

المبحث الرابع: أشراط الساعة والفتن والملاحم

المطلب الأول: تعريف أشراط الساعة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أقسام الأشراط باعتبار الوقوع.

المطلب الثالث: أقسامها باعتبار الصغر والكبر.

المطلب الرابع: الفرق بين الفتن والملاحم والأشراط.

الفصل الأول: الأخبار النبوية التي تحققت

المبحث الأول: الأخبار المتعلقة بانتصار الإسلام وانتشاره

المطلب الثاني: انتصار الرُّومِ بعد هزيمتهم أمام الفُرسِ

المطلب الثالث: فتح اليمن ثُمَّ الشام ثُمَّ العراق

المطلب الرابع: فتح بيت المقدس

المطلب الخامس: فتح مصر.

المطلب السادس: فتح فارس

المطلب السابع: الفتح الأول للقسطنطينية.

المطلب الثامن: بشارة النبي ﷺ بانتشار الإسلام.

المبحث الثاني: الأخبار المتعلقة بالفتن الداخلية

المطلب الأول: مقتل عثمان رضي الله عنه.

المطلب الثاني: موقعة الجمل

المطلب الثالث: موقعة صفين.

المطلب الرابع: موقعة الحرَّة

المطلب الخامس: ظهور الخوارج.

المطلب السادس: مقتل عمار بن ياسر.

المطلب السابع: تنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما.

المطلب الثامن: فتنة العراق ومركزيتها في الاضطرابات.

المبحث الثالث: الإخبار بوفاة بعض الأشخاص وأحوالهم

المطلب الأول: إخباره ﷺ بوفاته.

المطلب الثاني: وفاة فاطمة رضي الله عنها بعده.

المطلب الثالث: الشهادة لعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير.

المطلب الرابع: مقتل الحسين رضي الله عنه.

المطلب الخامس: خبر أبي ذر رضي الله عنه.

المطلب السادس: موت النجاشي.

المطلب السابع: خبر أم ورقة.

المطلب الثامن: هلاك أبي لهب وزوجه على الكفر.

المبحث الرابع: الأخبار المتعلقة بالأمم والشعوب

المطلب الأول: قتال المسلمين للترك والتتار

المطلب الثاني: وصف الترك في الأحاديث النبوية

المطلب الثالث: قتال المسلمين للعجم

المطلب الرابع: قتال المسلمين لليهود

المبحث الخامس: الأخبار المتعلقة بأحوال الأمة

المطلب الأول: فساد الزمان وانتشار المعاصي

المطلب الثاني: زخرفة المساجد

المطلب الثالث: انتشار الجهل وقلة العلم

المطلب الرابع: تغيّر الأحوال القضائية والاقتصادية والاجتماعية

المطلب الخامس: تغيّر الظواهر الكونية والطبيعية

المطلب السادس: تغيّر نظام الحكم والسياسة

المبحث السادس: تغيّر الظواهر الكونية والطبيعية

المطلب الأول: عَودةُ جَزيرةِ العَرَبِ جَناتٍ وأنهارًا

المطلب الثاني: انحسار الفرات عن جبل من ذهب.

المطلب الثالث: تكليم السباع والجمادات للإنسان.

المطلب الرابع: الخسف والمسخ والقذف

المطلب الخامس: كثرةُ الزَّلازِلِ

المبحث السابع: تغيّر الحرم المكي والمدني وخرابهما

المطلب الأول: خراب المدينة النبوية.

المطلب الثاني: استحلال البيت الحرام وهدم الكعبة.

المطلب الثالث: هدم الكعبة في آخر الزمان.

الفصل الثاني: الأخبار النبوية في الملاحم والمعارك العالمية

المبحث الأول: الملحمة الكبرى والمقتلة العظمى

المطلب الأول: زمان الملحمة.

المطلب الثاني: مكانها.

المطلب الثالث: من هم الروم؟

المطلب الرابع: وصف المعركة.

المطلب الخامس: عدد الجيوش.

المطلب السادس: نتائج الملحمة.

المبحث الثاني: الفتوحات الكبرى آخر الزمان

المطلب الأول: الفتح الثاني للقسطنطينية.

المطلب الثاني: فتح روما.

المطلب الثالث: مستقبل الصراع مع النصرانية.

المبحث الثالث: المعركة الفاصلة مع اليهود

المطلب الأول: الأحاديث الواردة فيها.

المطلب الثاني: نطق الجمادات.

المطلب الثالث: صفات المعركة الأخيرة.

الفصل الثالث:الأخبار النبوية في خروج الأشخاص والأقوام

تمهيد : ترتيب أشرأط السَّاعة الكبرى

المبحث الأول: شخصيات تظهر قبل قيام الساعة

المطلب الأول: خُروجُ رَجُلٍ من قَحْطانَ يَسوقُ النَّاسَ بعَصاه

المطلب الثاني: خروج الْجَهْجَاه الْمُلْك

المبحث الثاني: المهدي

اسمه ونسبه وصفته.الأحاديث الواردة فيه.أقوال العلماء في شأنه.مهمته وإصلاحه للأمة.

المبحث الثالث: المسيح الدجال

المطلب الأول: سبب تسميته.

المطلب الثاني: صفته.

المطلب الثالث: مكان خروجه.

المطلب الرابع: أتباعه.

المطلب الخامس: فتنه.

المطلب السادس: مكثه في الأرض.

المطلب السابع: الوقاية من فتنته.

المطلب الثامن: هلاكه.

المطلب التاسع: أبرز فتن الدجال وخوارقه، جنة الدجال وناره.إحياء الشاب.الأمر بالمطر والنبات.

المبحث الرابع: نزول عيسى عليه السلام

المطلب الأول: الأدلة على نزوله.

المطلب الثاني: أقوال العلماء.

المطلب الثالث: الحكمة من نزوله.

المطلب الرابع: أعماله بعد النزول.

المطلب الخامس: مدة بقائه في الأرض.

المطلب السادس: الرد على منكري نزوله.

المبحث الخامس: يأجوج ومأجوج

المطلب الأول: حقيقتهم.

المطلب الثاني: قصة السد.

المطلب الثالث: خروجهم.

المطلب الرابع: فسادهم.

المطلب االخامس: هلاكهم.

الفصل الرابع: الأخبار النبوية في نهاية العالم وقيام الساعة

المبحث الأول: العلامات الكبرى الأخيرة

المطلب الأول: الدخان.

المطلب الثاني: الخسوف الثلاثة.

المطلب الثالث: طلوع الشمس من مغربها.

المطلب الرابع: الدابة.

المبحث الثاني: النار والحشر

المطلب الأول: خروج النار من اليمن.

المطلب الثاني: مكان الحشر.

المطلب الثالث: زمان الحشر.

المطلب الرابع: الجمع بين الأحاديث الواردة فيه.

الخاتمة .

وفي ختامِ هذه المقدمةِ، أتقدمُ بجزيلِ الشكرِ وعظيمِ الامتنانِ لكلِّ من أعانني في هذا العملِ بدلالةٍ على مصدرٍ، أو إعارةِ كتابٍ، أو تيسيرِ مراجعةٍ، أو كلمةِ تشجيعٍ ودعاء.

وأسألُ اللهَ تعالى بفضلهِ وكرمِه أن يجعلَ هذا العملَ خالصًا لوجهِه الكريمِ، نافعًا لعبادِه، وأن ينفعني به يومَ ألقاه، إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وهو خيرُ مأمولٍ وأكرمُ مسؤول.

الفصل التمهيدي

الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل

مفهومها وحكمتها وضوابطها

المبحث الأول

مفهوم الأخبار النبوية المستقبلية وحكمتها

المبحث الأول: مفهوم الأخبار النبوية المستقبلية وحكمتها

المطلب الأول : تعريف الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل.

المطلب الثاني :حكمة إيراد النصوص المتحدثة عن المستقبل.

1-كونها من مسائل العقيدة التي يجب الإيمان بها

2-التحذير مما يستقبل الناس من الفتن والإرشاد إلى ما يفعلون

3-الاستعداد لقيام الساعة.

4- إشباع الحاجة الفطرية لمعرفة المستقبل

تعريف الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل

يمكن تعريف الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل بأنها:

الأخبارُ التي أخبر بها النبيُّ ﷺ عن أمورٍ لم تكن قد وقعت زمنَ إخباره، ثم يقع بعضها في المستقبل القريب أو البعيد، ممّا يتعلق بأحوال الأفراد، أو الأمة، أو الفتن، أو الملاحم، أو أشراط الساعة، أو ما يكون عند قيامها، وذلك بوحيٍ من الله تعالى.

وقيل:هي ما ورد في القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة من الإخبار عن وقائع وأحداث مستقبلية لم تقع وقت نزول الوحي، سواء تحققت بعد ذلك أو بقي وقوعها منتظرًا.

شرح التعريف

قولنا: «أخبر بها النبي ﷺ» يخرج أخبار غيره من الكهان والمنجمين.

وقولنا: «لم تكن قد وقعت زمن إخباره» يبين أنها من أمور الغيب المستقبل.

وقولنا: «بوحي من الله تعالى» لأن النبي ﷺ لا يعلم الغيب من نفسه، قال تعالى:﴿قُل لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الغَيْبَ﴾[2].

وقولنا: «تحقق بعضها أو بقي منتظرًا» يشمل:

الأخبار التي وقعت بالفعل، كالإخبار بفتح فارس والروم.

والأخبار التي لم تقع بعد، كخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام.

أهم مجالات الأخبار النبوية المستقبلية

تشمل هذه الأخبار:

-أخبار الفتن، والملاحم والمعارك، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى، وأخبار انتصار الإسلام وانتشاره، وأخبار فساد الزمان وتغير أحوال الناس، والإخبار بوفاة بعض الأشخاص أو أحوالهم، وأخبار الحشر والقيامة وما يكون قبيلها.

(2) الأنعام: 50

حكمة إيراد النصوص المتحدثة عن المستقبل

1- كونها من مسائل العقيدة التي يجب الإيمان بها:

تُعدُّ أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة من جملة الغيب الذي يجب الإيمان به، والإيمان بالغيب أصلٌ من أصول الإيمان التي أثنى الله تعالى على أهلها، قال تعالى:﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[3].

ولا يصحُّ إيمان العبد إلا بالإيمان بكل ما جاء به النبي ﷺ من الأحكام والأخبار والمغيبات، الماضية منها والحاضرة والمستقبلية، مع التسليم والانقياد لذلك كلِّه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« أُمِرتُ أن أُقاتِلُ النَّاسَ حتَّى يَشهَدوا أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ، ويُؤمِنوا بي وبما جِئتُ به، فإذا فعَلوا ذلك عَصَموا مِنِّي دِماءَهم وأموالَهم إلَّا بحَقِّها، وحِسابُهم على اللهِ»[4]؛ فدلَّ الحديث على أن الإيمان بما جاء به النبي ﷺ كلِّه شرطٌ في صحة الإيمان.

وقَدِ اهتَمَّ أهَلُ العِلمِ قَديمًا وحَديثًا بهَذا العِلمِ، وتَعَرَّضوا لَه كَثيرًا، سَواءٌ في أثناءِ تَفسيرِهم لِآياتٍ مِن كِتابِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، أو شَرحِ أحاديثَ مِن سُنَّةِ نَبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، أو فيما عَقدوه مِن أبوابٍ في كُتُبِ الاعتِقادِ، كَما قامَ بَعضُهم بوضعِ مُصَنَّفاتٍ خاصَّةٍ بأشراطِ السَّاعةِ.

قال الإمام الطحاوي:«ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض»[5].

وقال ابنُ قُدامةَ: "يَجِبُ الإيمانُ بكُلِّ ما أخبَرَ به النَّبيُّ ﷺ وصَحَّ به النَّقلُ عَنه فيما شاهَدناه، أو غابَ عَنَّا، نَعلَمُ أنَّه حَقٌّ وصِدْقٌ، وسَواءٌ في ذلك ما عَقَلْناه وجَهِلْناه، ولَم نَطَّلِعْ على حَقيقةِ مَعناه... ومِن ذلك أشراطُ السَّاعةِ، مِثلُ: خُروجِ الدَّجَّالِ، ونُزولِ عيسَى بنِ مَريَمَ عليه السَّلامُ فيَقتُلُه، وخُروجِ يأجُوجَ ومأجوجَ، وخُروجِ الدَّابَّةِ، وطُلوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، وأشباهِ ذلك مِمَّا صَحَّ به النَّقلُ" [6].

---

(3) البقرة: 3

(4) . رواه البُخَارِي 2946 ، و مُسْلِم 21 واللفظ له ، وأبو داود 2640 ،و التِّرْمِذيّ 2606 ، والنَّسَائيّ3090 ، وابن ماجة 71 ، والإمام أَحْمَد في المسند 68

(5)شرح الطحاوية 499

(6) يُنظر: ((لمعة الاعتقاد)) (ص: 28-31).

قال القُرطُبيُّ: "قال العُلَماءُ رَحِمهمُ اللهُ تعالى: والحِكْمةُ في تَقديمِ الأشراطِ ودَلالةِ النَّاسِ عليها: تَنبيهُ النَّاسِ مِن رَقدَتِهم، وحَثُّهم على الاحتياطِ لِأنفُسِهم بالتَّوبةِ والإنابةِ؛ كَي لا يُباغَتوا بالحَولِ بينَهم وبينَ تَدارُكِ العَوارِضِ مِنهم، فيَنبَغي لِلنَّاسِ أن يَكونوا بَعدَ ظُهورِ أشراطِ السَّاعةِ قَد نَظَروا لِأنفُسِهم، وانقَطَعوا عَنِ الدُّنيا، واستَعَدُّوا لِلسَّاعةِ الموعودِ بها" [7].

قال ابنُ مَندَهْ: "ذِكْرُ وُجوبِ الإيمانِ بما أخبَرَ به الرَّسولُ صَلَواتُ اللهِ عليه مِنَ الآياتِ المستَقبَلةِ إلَى قيامِ السَّاعةِ" [8]. ثمَّ ساق أحاديثَ في ذلك.

قال أبو عَمْرٍو الدَّاني: "إنَّ الإيمانَ واجِبٌ بما جاءَ عَن رَسولِ اللهِ ﷺ، وثَبَتَ بالنَّقلِ الصَّحيحِ، وتَداوَلَ حَمْلَه المسْلِمونَ مِن ذِكرِ وعيدِ الآخِرةِ، وذِكرِ الطَّوامِّ، وأشراطِ السَّاعةِ، وعَلاماتِها، واقترابِها"[9]

فالإيمان بهذه الأخبار داخلٌ في باب التصديق بخبر الله ورسوله ﷺ ، ومن تمام التسليم للوحي.

2- التحذير مما يستقبل الناس من الفتن والإرشاد إلى ما يفعلون

المتأمل في نصوص الفتن وأشراط الساعة يجد أنها لم ترد لمجرد الإخبار بالأحداث المستقبلية، وإنما جاءت كذلك للتحذير والتنبيه والإرشاد إلى سبيل النجاة منها.

فقد أكثر النبي ﷺ من بيان الفتن الواقعة قبل قيام الساعة، وحذَّر أمته منها، وبيَّن لهم ما ينبغي فعله عند وقوعها، ليكون المؤمن على بصيرة من أمره.

قال البرزنجي:«فأكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها وما بين يديها من الفتن القريبة والبعيدة؛ ليكون أهل كل قرن على حذر منها، متهيئين لها بالأعمال الصالحات»[10].

وقال: "كانَ حَقًّا على كُلِّ عالِمٍ أن يُشِيعَ أشراطَها،....فعَسَى أن يَنتَهوا عَن بَعضِ الذُّنوبِ، ويَلِينَ مِنهم بَعضُ القُلوبِ، ويَنتَبِهوا مِن سِنَةِ الغَفلةِ، ويَغتَنِموا المهلةَ قَبلَ الوَهْلةِ" [11].

(**7**)يُنظر: ((التذكرة)) (2/ 338).

(**8**)يُنظر: ((الإيمان)) (2/ 911).

(**9**)يُنظر: ((الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات)) (ص: 243).

(**10**)يُنظر: ((الإشاعة لأشراط الساعة)) (ص: 23).

(**11**)يُنظر: ((الإشاعة لأشراط الساعة)) (ص: 26).

ويتجلَّى هذا المعنى بوضوح في أحاديث الدجال؛ فقد اشتملت على جملة من التوجيهات العملية، كالأمر بالاستعاذة منه، والنهي عن التعرض لفتنته، وقراءة أوائل سورة الكهف، وغير ذلك من الإرشادات التي تحفظ المؤمن من الانحراف والافتتان.

وكذلك أحاديث الفتن العامة؛ كقوله ﷺ:(ستَكونُ فِتَنٌ القاعِدُ فيها خَيرٌ مِنَ القائِمِ، والقائِمُ فيها خَيرٌ مِنَ الماشي، والماشي فيها خَيرٌ مِنَ السَّاعي، ومَن يُشرِفْ لها تَستَشرِفْه، ومَن وجَدَ مَلجَأً أو مَعاذًا فليَعُذْ به). [12]، وفيه الإرشاد إلى اعتزال الفتن ولزوم السلامة.

وقد فقه الصحابة رضي الله عنهم هذا المقصد، فكانوا يسألون النبي ﷺ عمَّا يفعلونه عند وقوع الفتن، لا عن مجرد تفاصيلها، كما في سؤالهم عن المخرج عند فساد الزمان، وسؤالهم عن كيفية الصلاة في يوم الدجال الذي كسنة، حيث قالوا: أتَكفينا فيه صَلاةُ يَومٍ؟ قال: لا، اقدُروا له قدرَه [13].وهذا يدل على أن المقصود الأعظم من هذه النصوص: الهداية العملية، لا مجرد المعرفة النظرية.

3- الاستعداد لقيام الساعة

ومن أعظم حكم هذه الأخبار أنها تذكِّر العباد بقرب الساعة، وتحملهم على الاستعداد لها بالأعمال الصالحة.

فأشراط الساعة علاماتٌ وأماراتٌ تدل على قرب قيامها، وكلما ظهر شرطٌ منها ازداد المؤمن يقينًا بقرب لقاء الله تعالى، فبعثه ذلك على التوبة والإنابة والاستعداد.

قال الطيبي:«الآيات أمارات للساعة؛ إما على قربها وإما على حصولها»[14].

ولما سُئل النبي ﷺ: « مَتى السَّاعةُ يا رَسولَ اللهِ؟ » وجَّه السائل إلى ما هو أنفع له فقال: « وما أعدَدتَ لَها؟ »[15].

وفي هذا إشارة إلى أن المقصود من العلم بأشراط الساعة ليس مجرد معرفة الأزمنة والأحداث، وإنما المقصود الأعظم الاستعداد للآخرة.

(**12**) أخرجه البخاري (3601)، ومسلم (2886)

(**13**)حَدِيث النواس بن سمعان في الدجال ،رواه مُسْلِم 2937 ، وأبو داود 4321 ، والإمام أَحْمَد في المسند 17177

(**14**) الفتح 360/11.

(**15**)رواه البُخَارِي 3688 ، و مُسْلِم 2639 ،و التِّرْمِذيّ 2385 ، والإمام أَحْمَد في المسند 11602

وقال ابن حجر:«الحِكْمةُ في تَقَدُّمِ الأشراطِ إيقاظُ الغافِلينَ وحَثُّهم على التَّوبةِ والاستِعدادِ »[16].

فكل شرطٍ يظهر من أشراط الساعة إنما هو موعظةٌ تذكِّر العباد بقرب الرحيل، وأن الدنيا دار ممرٍّ لا دار مقرّ.

4- إشباع الحاجة الفطرية لمعرفة المستقبل

جُبل الإنسان على التطلع إلى معرفة ما يستقبله من الأحداث، ولهذا انتشرت في الناس قديمًا وحديثًا صور الكهانة والعرافة والتنجيم، طلبًا لمعرفة الغيب.

وقد بيَّنت الشريعة بطلان هذه الطرق، وحرَّمت التعلق بها، وفي المقابل أخبرت الناس بشيءٍ من المغيبات المستقبلية بطريق الوحي الصادق؛ تحقيقًا لمصلحة العباد، وسدًّا لهذه الحاجة الفطرية بما ينفعهم ولا يضرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:«وباب الكذب في الحوادث الكونية أكثر منه في الأمور الدينية؛ لأن تشوُّف الناس إلى ذلك أكثر»[17].

وقال ابن خلدون:«من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم»[18].ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه لم يتركهم فريسة للدجل والكهانة، بل فتح لهم بابًا من أخبار الغيب الثابتة بالوحي، يطمئنون إليها، ويزدادون بها إيمانًا ويقينًا.

5- تجديد الإيمان وإثبات صدق النبوة

وتُعدُّ الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل من أعظم دلائل نبوة النبي ﷺ؛ إذ لا سبيل لبشر إلى الإخبار بهذه المغيبات على هذا الوجه المفصل الجازم ثم يقع الأمر كما أخبر إلا بوحيٍ من الله تعالى.

فكلما تحقق خبر من هذه الأخبار ازداد المؤمن يقينًا بصدق النبيﷺ، وتجدد إيمانه بالله ورسوله ﷺ.

ونقل المناوي عن بعض أهل العلم قولهم:«هذا وما أشبهه من أحاديث الفتن من جملة معجزاته الاستقبالية التي أخبر أنها ستكون بعده، فكانت كما أخبر»[19].

(**16**)الفتح 357/11 ، وانظر التذكرة 472/2 ، والسنن الواردة في الفتن 23 ، والإشاعة 24 ، والإذاعة 15 ، ولوامع الا نوار البهية 65/2

(**17**) الفتاوى 79/4

(**18**)المقدمة لابن خلدون 821/2.

وقال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري : "وكل شيء أخبر النبي ﷺ أنه سيكون بعده، فوقع الأمر فيه طبق ما أخبر به ﷺ ،فهو من معجزاته وأعلام نبوته". (20)

وقال أيضاً:"وظهور المعجزات بعد زمان النبوة، ولاسيما في هذه الأزمنة البعيدة عن زمنه ﷺ، مما يزيد المؤمنين إيماناً، وتصديقاً بما أخبر به من الغيوب الماضية والغيوب الآتية، ممالم يقع بعد. (21).

ولهذا اعتنى علماء دلائل النبوة بإيراد كثيرٍ من الأخبار المستقبلية التي وقعت كما أخبر بها النبي ﷺ، وجعلوها من أوضح براهين صدقه.

ومن ذلك ما وقع من إخباره بفتح فارس والروم، ووقوع الفتن، ومقتل بعض أصحابه، وظهور الخوارج، وغير ذلك من الأخبار التي تحققت كما أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ، ففي تحقق هذه الأخبار تقويةٌ لإيمان المؤمنين، وإقامةٌ للحجة على المكذبين.

(**19**)فيض القدير 193/3 / وانظر إتحاف الجماعة 6/1 ، والتذكرة /473

(20) إتحاف الجماعة 6/1.

(21) المرجع السابق 7/1 ، وانظر: كتاب أحاديث معجزات الرسول ﷺ التي ظهرت في زماننا ، أ.د : عبدالمهدي عبدالقادر عبدالهادي ، ص5 ومابعدها ، والإيمان بالغيب، بسام سلامة، ط.الأولى (الأردن : مكتبة المنار 1403هـ/1983م) .

المبحث الثاني

حجية الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل

المطلب الأول: تعريف خبر الآحاد والمتواتر

المطلب الثاني: حجية خبر الآحاد عند أهل السنة

المطلب الثالث: الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة

المطلب الرابع: موقف أهل البدع من أحاديث الأَشْرَاط والرد عليهم

المطلب الخامس: أثر إنكار حجية الآحاد في باب أشراط الساعة

حجِّيَّة خبر الآحاد في العقائد

لهذا المبحث صلة وثيقة بموضوع أشراط السَّاعة، ذلك أن أكثر الأَشْرَاط جاء ذكرها في أحاديث آحاد[22]، وقد ذهب بعض أهل الكلام [23] والأصوليين [24] إلى أن خبر الآحاد لا تثبت به عقيدة، وإنما تثبت بالدليل القطعي؛ آية أو حديثًا عن رسول الله ﷺ.

وهذا القولُ مردودٌ؛ فإن الحديث إذا ثبتت صحته برواية الثقات، ووصل إلينا بطريق صحيح؛ فإنه يجب الإيمان به، وتصديقه، سواء كان خبرًا متواترًا، أو آحاداً، وإنه يوجب العلم اليقيني، وهذا هو مذهب علماء سلفنا الصالح؛ انطلاقًا من أمر الله تعالى للمؤمنين بقوله: **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)**.[25] وقوله تعالى: **(أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ)**.[26]

---

(22) ينقسم الخبر باعتبار وصوله إلينا إلى متواتر وآحاد.

أ- **فالمتواتر**: هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى آخره.

ب- **الآحاد**: هو ما سوى المتواتر.

انظر: "تقريب النواوي" (2/ 176 – مع تدريب الراوي)، و"قواعد التحديث" (ص146) للقاسمي، و"تيسير مصطلح الحديث" (ص18- 21) للدكتور محمود الطحان.

(23) كالمعتزلة ومن تابعهم من المتأخرين؛ كالشيخ محمد عبده، ومحمود شلتوت، وأحمد شلبي، وعبد الكريم عثمان، وغيرهم.

انظر: "الفرق بين الفرق" (ص180) تحقيق محيي الدين عبد الحميد، و"فتح الباري" (233/13)، وكتاب "قاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني" (ص88 – 90) للدكتور عبد الكريم عثمان، و"رسالة التوحيد" (ص202) للشيخ محمد عبده، تصحيح محمد رشيد رضا. وانظر: "موقف المعتزلة من السنة النبوية" (ص92، 93) لأبي لبابة حسين، وكتاب "المسيحية: مقارنة الأديان" (ص44) للدكتور أحمد شلبي. وانظر: "الفتاوى" للشيخ محمود شلتوت – قال في (ص62): "وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات"!!. وانظر كتابه: "الإسلام عقيدة، وشريعة" (ص53). وانظر كتاب: "المسيح في: القرآن، التوراة، والإنجيل" (ص539) لعبد الكريم الخطيب.

(24) انظر: "شرح الكوكب المنير في أصول الفقه" (2/ 350- 352) للعلامة محمد بن أحمد بن عبد العزيز الحنبلي، تحقيق د. محمد الزميلي، ود. نزيه حماد.

(25) الأحزاب: 36

(26) آل عمران: 32

ومِمَّا يَدُلُّ على ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ لما بَعَثَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ رَضيَ اللهُ عنه إلى أَهْلِ اليَمَنِ قالَ له:(إنَّكَ تَقدَمُ علَى قَوْمٍ مِن أَهْلِ الكِتَابِ، فلْيكنْ أوَّلَ ما تَدْعوهم إلى أن يُوَحِّدوا اللهَ تَعالى). [27]

قال ابن حجر رحمه الله: "قد شاع فاشيًا عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد؛ من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول"[28].

وقالَ ابنُ أبي العِزِّ: "خَبَرُ الواحِدِ إذا تَلَقَّتْه الأمَّةُ بالقَبولِ عَمَلًا به وتَصْديقًا له يُفيدُ العِلمَ اليَقينيَّ عنْدَ جَماهيرِ الأمَّةِ، وهو أحَدُ قِسْمَي المتواترِ. ولم يكنْ بَيْنَ سَلَفِ الأمَّةِ في ذلك نِزاعٌ"[29].

وسأل رجل الإمام الشافعي عن مسألة؟ فقال: "قضى فيها رسول الله ﷺ كذا كذا". فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال: "سبحان الله! أتراني في بيعة! أتراني على وسطي زنار؟! أقول لك: قضى رسوله الله ﷺ ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟!"[30].

وقال الشافعي أيضًا: "متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به؛ فأشهدكم أن عقلي قد ذهب"[31] .

فلم يفرق بين خبر الواحد والخبر المتواتر، ولم يفرق بين ما كان إخبارًا بعقيدة وما كان إخبارًا بأمر عملي، وإنما المدار كله على صحة الحديث.

---

(27) رواه البخاري (7372) واللَّفْظ له، ومسلم (19) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.
وانظر: "الرسالة" للإمام الشافعي (ص 401)، تحقيق: أحمد شاكر، مطابع المختار الإسلامية، المطبعة الثانية، (1399هـ).
وانظر: "شرح الطحاوية" (ص399) لابن أبي العز.

(28) "فتح الباري" (13/ 234).

(29) "شرح العقيدة الطحاوية"، لعلي بن علي بن أبي العز الحنفي، (ص399، 400)، حققها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط. الرابعة، (1391هـ)، بيروت.

(30) "مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (350/2)، لابن القيم، اختصره الشيخ محمد بن الموصلي، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.
وانظر: "الرسالة" للإمام الشافعي (ص 401)، تحقيق: أحمد شاكر، مطابع المختار الإسلامية، المطبعة الثانية، (1399هـ).
وانظر: "شرح الطحاوية" (ص399) لابن أبي العز.

(31) "مختصر الصواعق" (2/ 350).

وقال الإمام أحمد: "كل ما جاء عن النبي ﷺ بإسناد جيد؛ أقررنا به، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول، ﷺ ودفعناه، ورددناه، رددنا على الله أمره؛ قال الله تعالى: **(وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)**[32] "[33].

فلم يشترط الإمام أحمد إلا صحة الخبر.

وقالَ الخَطيبُ البَغْداديُّ: (على العَمَلِ بخَبَرِ الواحِدِ كانَ كافَّةُ التَّابِعينَ ومَن بَعْدَهم مِن الفُقَهاءِ الخالِفينَ، في سائِرِ أمْصارِ المسلِمينَ إلى وَقْتِنا هذا، ولم يَبلُغْنا عن أحَدٍ مِنهم إنكارٌ لِذلك، ولا اعْتِراضٌ عليه؛ فثَبَتَ أنَّ مِن دينِ جَميعِهم وُجوبَه؛ إذ لو كانَ فيهم مَن كانَ لا يَرى العَمَلَ به لَنُقِلَ إلينا الخَبَرُ عنه بمَذهَبِه فيه) [34]

وقالَ السَّمْعانيُّ: (إنَّ الخَبَرَ إذا صَحَّ عن رَسولِ اللهِ ﷺ، ورَواه الثِّقاتُ والأئِمَّةُ وأَسنَدَه خَلَفُهم عن سَلَفِهم إلى رَسولِ اللهِ ﷺ وتَلَقَّتْه الأمَّةُ بالقَبولِ، فإنَّه يوجِبُ العِلمَ فيما سَبيلُه العِلمُ. هذا قَوْلُ عامَّةِ أهْلِ الحَديثِ والمتْقِنينَ مِن القائِمينَ على السُّنَّةِ، وإنَّما هذا القَوْلُ الَّذي يُذكَرُ أنَّ خَبَرَ الواحِدِ لا يُفيدُ العِلمَ بحالٍ، ولا بُدَّ مِن نَقْلِه بطَريقِ التَّواتُرِ لوُقوعِ العِلمِ به- شيءٌ اخْتَرَعَتْه القَدَريَّةُ والمعْتَزِلةُ، وكانَ قَصْدُهم مِنه رَدَّ الأخْبارِ) [35]

وقال ابنُ تيميَّةَ: "السنة إذا ثبتت؛ فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها"[36].

وقالَ ابنُ القيِّمِ في رده على من ينكر حجية خبر الواحد: "ومن هذا إخبار الصحابة بعضهم بعضًا؛ فإنهم كانوا يجزمون بما يحدث به أحدهم عن رسول الله ﷺ ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله ﷺ: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر...

وكان أحدهم إذا روى لغيره حديثًا عن رسول الله ﷺ في الصفات؛ تلقاه بالقبول، واعتقد تلك الصفة به على القطع واليقين؛ كما اعتقد رؤية الرب، وتكليمه، ونداءه يوم القيامة لعباده بالصوت

---

(32) الحشر : 7

(33) "إتحاف الجماعة" (4/1).

(34) ((الكفاية في علم الرواية)) (ص: 31).

(35) ((الانتصار لأصحاب الحديث)) (ص: 34).

(36) "مجموع الفتاوى" (85/19) لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي، تصوير المطبعة الأولى، (1398هـ)، مطابع الدار العربية، بيروت.

الذي يسمعه البعيد كما يسمعه القريب، ونزوله إلى سماء الدُّنيا كل ليلة، وضحكه، وفرحه، وإمساك السماوات على إصبع من أصابع يده، وإثبات القدم له؛ من سمع هذه الأحاديث ممن حدث بها عن رسول الله ﷺ ، أو عن صاحب اعتقد ثبوت مقتضاها بمجرد سماعها من العدل الصادق، ولم يرتب فيها.

حتى إنهم ربما تثبتوا في بعض أحاديث الأحكام... ولم يطلب أحد منهم الاستظهار في رواية أحاديث الصفات ألبتة، بل كانوا أعظم مبادرة إلى قبولها، وتصديقها، والجزم بمقتضاها، وإثبات الصفات بها، من المخبر لهم بها عن رسول الله ﷺ ، ومن له أدنى إلمام بالسنة والتفات إليها؛ يعلم ذلك، ولولا وضوح الأمر في ذلك، لذكرنا أكثر من مئة موضع.

فهذا الذي اعتمده نفاة العلم عن أخبار رسول الله ﷺ خرقوا به إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة، وإجماع التابعين، وإجماع أئمة الإسلام، ووافقوا به المعتزلة، والجهمية، والرافضة، والخوارج، الذين انتهكوا هذه الحرمة، وتبعهم بعض الأصوليين والفقهاء.

وإلا؛ فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك، بل صرح الأئمة بخلاف قولهم؛ ممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم: مالك،

والشافعي، وأصحاب أبي حنيفة، وداود بن علي، وأصحابه؛ كأبي محمد بن حزم"[37].

وأما ما عرض للمنكرين لحجية خبر الواحد من شبهة[38]، وهي أن خبر الآحاد يفيد الظن، ويعنون به الظن الراجح لجواز خطأ الواحد، أو غفلته، أو نسيانه، والظن الراجح يجب العلم به في الأحكام اتفاقًا، ولا يجوز الأخذ به عندهم في المسائل الاعتقادية.

ويستدلُّون على ذلك ببعض الآيات التي تنهى عن اتباع الظن؛ كقوله تعالى: **(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا)** [39]

---

(37) "مختصر الصواعق" (2/ 361- 362).

(38) انظر: رسالة "وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين" (ص6، 7) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبع دار العلم، بنها، مصر.

(39) النجم: 28

فالجواب عن هذه الشبهة: أن احتجاجهم بهذه الآية وأمثالها مردود؛ لأن الظن هنا ليس هو الظن الغالب الذي عنوه، وإنما هو الشك والكذب والخرص والتخمين؛ فقد جاء في "النهاية" و"اللسان" وغيرهما من كتب اللغة: "الظن: الشك يعرض لك في شيء، فتحققه، وتحكم به"[40].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "**(وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ)**[41]أي: ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع، **(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا)**؛ أي: لا يجدي شيئًا، ولا يقوم أبدًا مقام الحق، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "إياكم والظن؛ فإن الظن! أكذب الحديث"[42]"[43].

فالشك والكذب هو الظن الذي ذمه الله تعالى، ونعاه على المشركين، ويؤيد ذلك قول تعالى: **(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ)**[44]، فوصفهم بالظن والخرص الذي هو مجرد الحزر والتخمين، وإذا كان الخرص والتخمين هو الظن، فإنه لا يجوز الأخذ به في الأحكام[45]؛ لأن الأحكام لا تبنى على الشك والتخمين.

وأما ما قيل من احتمال غفلة الراوي ونسيانه؛ فهو مدفوع بما يشترط في خبر الواحد؛ من كون كل من الرواة ثقةً ضابطًا، فمع صحة الحديث لا مجال لتوهم خطأ الراوي، ومع ما جرت به العادة من أن الثقة الضابط لا يغفل ولا يكذب لا مجال لرد خبره لمجرد احتمال عقلي تنفيه العادة.

الأدلَّة على قبول خبر الواحد:

وإذ تبين زيف ما بني عليه عدم الأخذ بخبر الواحد في العقائد؛ فالأدلَّة التي توجب الأخذ به كثيرة، جاءت في الكتاب والسنة، ومنها:

أما الأدلَّة من الكتاب؛ فهي كثيرة، أذكر منها:

---

(40) انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" (3/ 162، 163).

(41) النجم: 28

(42) "صحيح مسلم"، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس، (16/ 118- مع شرح النووي).

(43) "تفسير ابن كثير" (7/ 434).

(44) الأنعام: 116

(45) انظر: "العقيدة في الله" (ص48، 49) لعمر سليمان الأشقر، طبع دار النفائس بيروت، نشر مكتبة الفلاح الكويت، الطبعة الثانية، (1979م).

1- قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)** (46)

فهذه الآية تحث المؤمنين على التفقه في الدين، والطائفة تطلق على الواحد فما فوق.

قال الإمام البخاري: "ويسمى الرجل طائفة؛ لقوله تعالى: **(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)**(47)، فلو اقتتل رجلان؛ دخلا في معنى الآية"(48).

فإذا كان الرجل يؤخذ بما يخبر به من أمور دينية؛ كان هذا دليلًا على أن خبره حجة، والتفقه في الدين يشمل العقائد والأحكام، بل إن التفقه في العقيدة أهم من التفقه في الأحكام (49).

2- قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)**(50)، وفي قراءة: (فتثبتوا)؛ من التثبت(51).

وهذا يدلُّ على الجزم والقطع بقبول خبر الواحد الثقة، وأنه لا يحتاج إلى التثبت؛ لعدم دخوله في الفاسق، ولو كان خبره لا يفيد العلم؛ لأمر بالتثبت مطلقا حتى يحصل العلم(52).

3- قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)**. (53)

قال ابن القيم: "وأجمع المسلمون أن الرد إلى الرسول ﷺ هو الرجوع إليه في حياته، والرجوع إلى سنته بعد مماته، واتفقوا على أن فرض هذا الرد لم يسقط بموته، فإن كان متواتر أخباره وآحادها لا تفيد علمًا ولا يقينًا؛ لم يكن للرد إليه وجه"(54).

4-قالَ تَعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ)**. (55)

---

(46) التوبة: 122

(47) "صحيح البخاري"، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في جازة خبر الواحد الصدوق، (13/ 231- مع الفتح).

(48) "صحيح البخاري"، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في جازة خبر الواحد الصدوق، (13/ 231- مع الفتح).

(49) انظر: "العقيدة في الله" (ص51).

(50) الحجرات: 9

(51) انظر: "تفسير الشوكاني" (5/ 60).

(52) "وجوب الآخذ بحديث الآحاد في العقيدة" (ص7) لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني.

(53) النساء: 59

(54) "مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (2/ 352)، للإمام ابن القيم.

قالَ ابنُ عُثَيْمينَ في الآية :" أنَّ اللهَ تَعالى أمَرَ بالرُّجوعِ إلى قَوْلِ أهْلِ العِلمِ لِمَن كانَ جاهِلًا فيما هو مِن أَعظَمِ مَسائِلِ العَقيدةِ، وهي الرِّسالةُ... وهذا يَشمَلُ سُؤالَ الواحِدِ والمتَعدِّدِ. والحاصِلُ أنَّ خَبَرَ الآحادِ إذا دَلَّتِ القَرائِنُ على صِدْقِه أفادَ العِلمَ، وثَبَتَتْ به الأحْكامُ العَمَليَّةُ والعِلميَّةُ) [56].

وأما الأدلَّة من السنة؛ فهي كثيرة جدًا، أقتصر على بعض منها:

1- كان النبي ﷺ يبعث رسله إلى الملوك واحدًا بعد واحد، وكذلك أمراءه على البلدان، فيرجع الناس إليهم في جميع الأحكام العملية والاعتقادية، فبعث أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران[57]، وبعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل اليمن[58]، وبعث دحية الكلبي رضي الله عنه بكتاب إلى عظيمك بصرى[59]... وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

2- وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ؛ قال: "بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة؛ فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة"[60].

ولا يقال: إن هذا في حكم عملي؛ لأن العمل بهذا الحكم مبين على اعتقاد صحة الخبر.

3- وعن عمر رضي الله عنه ؛ قال: "وكان رجل من الأنصار إذا غاب عن رسول الله ﷺ وشهدته؛ أتيته بما يكون من رسول الله ﷺ ، وإذا غبت عن رسول الله ﷺ وشهد؛ أتاني بما يكون من رسول الله ﷺ "[61].

فهذا واقع الصحابة رضي الله عنهم يرينا أن الواحد منهم كان يكتفي بخبر الواحد في أمور دينه؛ سواء كان منها اعتقاديًا، أو عمليًا.

---

(55) النحل: 43-44.

(56) ((مجموع فتاوى ورسائل العُثيمينَ)) (1/ 31).

(57) انظر: "صحيح البخاري"، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، (13/ 232- مع الفتح).

(58) انظر: "صحيح البخاري"، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، (3/ 261- مع الفتح).

(59) انظر: "صحيح البخاري"، كتاب أخبار الآحاد، باب ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحدًا بعد واحد، (13/ 241- مع الفتح)، رواه البخاري معلقًا.

(60) "صحيح البخاري"، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، (13/232- مع الفتح).

(61) "صحيح البخاري"، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، (13/ 232- مع الفتح).

4- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقالتي فحَفِظَها ووَعاها وأدَّاها، فرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقيهٍ، ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَن هو أَفقَهُ مِنه "[62].

قالَ الشَّافِعِيُّ: فلمَّا نَدَبَ رَسولُ اللهِ إلى اسْتِماعِ مَقالتِه وحِفْظِها وأدائِها امْرَأً يُؤَدِّيها، والمرْءُ واحِدٌ، دَلَّ على أنَّه لا يَأمُرُ أن يُؤَدَّى عنه إلَّا ما تَقومُ به الحُجَّةُ على مَن أدَّى إليه؛ لأنَّه إنَّما يُؤَدَّى عنه حَلالٌ، وحَرامٌ يُجْتَنَبُ، وحَدٌّ يُقامُ، ومالٌ يُؤخَذُ ويُعْطى، ونَصيحةٌ في دينٍ ودُنْيا...، لم أَحفَظْ عن فُقَهاءِ المسلِمينَ أنَّهم اخْتَلَفوا في تَثْبيتِ خَبَرِ الواحِدِ) [63].

وهذا لا يقتصر على أحاديث الأعمال دون غيرها، بل هو عام متناول لأحاديث الأعمال والأحكام الاعتقادية، فلو لم يكن الإيمان بما يثبت عنه ﷺ من عقائد بأخبار الآحاد واجبًا؛ لما كان لهذا الأمر من النبي ﷺ بتبليغ حديثه مطلقًا معنى، بل لبين الرسول ﷺ أن ذلك مقصور على أحاديث الأعمال دون غيرها.

هذا؛ والقول بأن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة قول مبتدع محدث لا أصل له في الدين، ولم يقل به واحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، ولم ينقل عن أحد منهم، بل ولا خطر لهم على بال، ولو وجد دليل قطعي يدلُّ على أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة؛ لعلمه الصحابة، وصرحوا به، وكذلك من بعدهم من السلف الصالح.

ثم إن هذا القول المبتدع يتضمن عقيدة تستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ [64].

---

(62) أخرجه مطوَّلًا: الترمذيُّ (2658)، والشَّافعيُّ في ((المسند)) (1806) واللَّفْظُ له، والحُمَيديُّ (88). صَحَّحه ابنُ حَجَرٍ في ((موافقة الخُبْر الخَبَر)) (364/1)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (2658)، وصحَّح إسنادَه شُعَيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((شرح السُّنَّة)) (112).

وقد رواه الإمام أحمد بإسنادين صحيحين.

وانظر: كتاب "دراسة حديث (نضر الله امرءًا سمع مقالتي) رواية ودراية" (ص33- وما بعده) للشيخ عبد المحسن بن محمد العباد، طبع مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، (1401هـ).

(63) ((الرسالة)) (ص: 401- 403، 458). وانظر: كتاب "دراسة حديث (نضر الله امرءًا سمع مقالتي) رواية ودراية" (ص33- وما بعده) للشيخ عبد المحسن بن محمد العباد، طبع مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، (1401هـ).

(64) انظر: رسالة "وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة" (ص5، 6)، وكتاب "العقيدة في الله" (ص53) لعمر الأشقر.

فالذين لا يأخذون بخبر الواحد في العقيدة يلزمهم أن يردوا كثيرًا من العقائد التي ثبتت بأحاديث الآحاد، ومنها:

1- أفضلية نبينا محمد على جميع الأنبياء والمرسلين.

2- شفاعتُه العظمى في المحشر.

3- شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

4- معجزاته كلها ما عدا القرآن.

5- كيفية بدء الخلق، وصفة الملائكة والجن، وصفة الجنة والنار؛ مما لم يذكر في القرآن الكريم.

6- سؤال منكَر ونكير في القبر.

7- ضغطة القبر للميِّت.

8- الصراط، والحوض، والميزان ذو الكفتين.

9- الإيمان بأن الله تعالى كتب على كل إنسان سعادته أو شقاوته، ورزقه وأجله وهو في بطن أمه.

10- خصوصياته ﷺ التي جمعها السيوطي في كتاب "الخصائص الكبرى"؛ مثل دخوله في حياته الجنة، ورؤيته لأهلها، وما أُعد للمتقين فيها، وإسلام قرينه من الجن.

11- القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة.

عدم تخليد أهل الكبائر في النار.

12- الإيمان بكل ما صح في الحديث في صفة القيامة والحشر والنشر مما لم يرد في القرآن الكريم.

13- الإيمان بمجموع أشراط السَّاعة؛ كخروج الْمَهديّ، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، وخروج النار، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، وغير ذلك.

ثم إنه ليست أدلة جميع هذه العقائد التي قالوا هي ثابتة بخبر الآحاد، ليست أدلَّتها أحاديث آحاد، بل منها ما دليله أحاديث متواترة، ولكن قلة علم هؤلاء المنكرين لحجية خبر الآحاد؛ جعلهم يردُّون كل هذه العقائد، وغيرها من العقائد، التي جاءت بها الأحاديث الصحيحة[65].

(65) انظر: رسالة "وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة" (ص36 – 39)، وكتاب "العقيدة في الله" (ص54، 55) لعمر الأشقر.

المبحث الثالث

ضوابط فهم نصوص الفتن والأَشْرَاط

وتنزيلها على الواقع

خطورة التسرع في تنزيل النصوص.

الفرق بين التفسير والتنزيل.

ضوابط أهل السنة في فهم نصوص الفتن والملاحم.

موقف أهل السنة من الجزم بالتعيين.

نماذج من الانحرافات المعاصرة في تنزيل النصوص.

خطورة التسرع في تنزيل النصوص

يُعدُّ بابُ تنزيل نصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والأشخاص من أدقِّ أبواب العلم وأخطرها؛ لما يترتب عليه من آثار عقدية وفكرية وسلوكية، ولأنَّ الخطأ فيه لا يقف عند حدود الفهم النظري، بل قد يفضي إلى اضطراب التصورات، وفساد الأحكام، وإثارة الفتن بين المسلمين.

وقد وقع بسبب التسرع في تنزيل النصوص على الوقائع المعاصرة انحرافٌ كبير عند طوائف من الناس؛ إذ عمد بعضهم إلى ربط كل حادثة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية بنصٍّ من نصوص الأَشْرَاط أو الملاحم دون علمٍ ولا تثبُّت، ورسموا صورة الحاضر والمستقبل بما جادت به عقولهم، وحمَّلوا النصوص ما لا تحتمل، وربطوا الأحاديث بأشخاص أو دول أو وقائع في كهانة مقنعة تلبس لبوس النص، والنص ينادي عليها بالبراءة، فكان في هذا مساسٌ بهيبة النصوص الشرعية وإضعافٌ لثقة الناس بها.

ولهذا كان أهل العلم يحذِّرون من التسرع في هذا الباب، ويؤكدون أنَّ تنزيل النصوص على الوقائع يحتاج إلى علمٍ راسخ، وفهمٍ صحيح للنصوص، وإحاطةٍ بالواقع، مع الحذر من الجزم بغير بيِّنة.

وقال الحسن البصريّ رحمه الله " إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل." [66].

وقال ابن تيمية: «إن الفتن إنما يُعرف ما فيها من الشر إذا أدبرت، فأما إذا أقبلت فإنها تُزيَّن ويُظن أن فيها خيرًا» [67].

وهذا يدل على أنَّ كثيرًا من الوقائع لا يتبين وجهها الحقيقي إلا بعد وقوعها وانكشاف حقيقتها، فكيف يُتجاسر على تنزيل النصوص عليها ابتداءً بغير علم؟

---

(66) قال ابن سعد في "الطبقات": أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدثنا زُرَيْكُ بن أبي زريك قال: سمعت الحسن... وإسناده صحيح، زُرَيْكُ قال عنه الضياء في "المختارة " (58 / 180 / 1) : "زريك بن أبي زريك وثقه يحي بن معين "، وكذلك وثقه ابن الجنيد كما في " الجرح و التعديل " (1 / 2 / 624). (أفاده الألباني في السلسلة الصحيحة (4 / 197).ورواه البخاري في "التاريخ الكبير" (4 / 321).

(67) منهاج_السنة (409/4).

ومن مظاهر الخطأ في هذا الباب:

1-التوسع في تفسير كل حادثة بأنها من أشراط الساعة.

2-الجزم بأن شخصًا معينًا هو الْمَهديّ أو السفياني أو غيرهما.

3-تنزيل أحاديث الملاحم على صراعات سياسية معاصرة دون تحقق الشروط والقرائن.

4-الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والآثار الواهية والمنامات في بناء التصورات المستقبلية.

5-إغفال كلام أهل العلم الراسخين، والاعتماد على الظنون والتخمينات.

وقد ترتب على هذا التسرع مفاسد كثيرة؛ منها:

1-ترويج الشائعات والاضطراب بين الناس.

2-فتح باب الدجل والتكهن باسم النصوص الشرعية.

3-صرف الناس عن المقاصد الحقيقية لأحاديث الفتن، وهي الاستعداد بالإيمان والعمل الصالح.

4-وقوع بعض الناس في اليأس أو الغلو أو التهييج بسبب الفهم الخاطئ للنصوص.

ومن هنا كان الواجب التزام المنهج العلمي في التعامل مع نصوص الفتن والأَشْرَاط، وردُّ المتشابه إلى المحكم، وعدم الجزم بالتطبيقات المعاصرة إلا بدليلٍ واضحٍ وقرائن ظاهرة، مع العلم أنَّ كثيرًا من النصوص قد لا يتضح مرادها الكامل إلا بعد وقوعها تمامًا.

وقد نبه بعض أهل العلم إلى عدم التوسع في الجزم بتعيين المراد في أحاديث الفتن والملاحم قبل وقوعها، لئلا يُحمَّل النص ما لا يحتمله.

كما أنَّ الواجب في هذا الباب الاقتصار على النصوص الصحيحة الثابتة، والحذر من الأخبار الواهية والإسرائيليات والمنامات التي شاعت في كثير من كتب الفتن والملاحم.

وبذلك يتحقق المقصود الشرعي من هذه النصوص؛ وهو زيادة الإيمان، والاستعداد للآخرة، والتحذير من الفتن، دون الوقوع في التخرصات والأوهام التي أضلت كثيرًا من الناس في القديم والحديث.

الفرق بين التفسير والتنزيل

من المهم في باب الفتن والملاحم وأشراط الساعة التفريق بين «تفسير النص» و«تنزيل النص على الواقع»؛ لأنَّ الخلط بينهما أوقع كثيرًا من الناس في الخطأ والاضطراب، فربما فهم أحدهم معنى الحديث فهمًا صحيحًا، ثم أخطأ في تطبيقه على حادثةٍ أو شخصٍ أو زمانٍ معين.

فالتفسير: هو بيان معنى النص وشرح المراد منه بحسب دلالة اللغة، والسياق، وأقوال أهل العلم، والقواعد الشرعية المعتبرة.

أما التنزيل: فهو الحكم على الأشخاص والحوادث المعينة الماضية أوالحاضرة أوالمستقبلة بما تضمنته نصوص الفتن وأشراط الساعة على سبيل الجزم والقطع [68].

فقد يكون تفسير الحديث صحيحًا، لكن يقع الخطأ في تنزيله على الواقع؛ لأنَّ تحقق مناطه وشروطه يحتاج إلى علمٍ وتثبتٍ وبصيرة.

قال الشيخ حسن مشهور آل سليمان: (إذ مرادنا منها: إيقاع الأحاديث والآثار التي فيها إخبار عن أحداث ووقائع مستقبليّة على واحدة نازلة منها، بحيث لا يكون المراد بها إلا هذه النازلة دون سائرها، وكأن هذه النازلة رفعت وأزالت المعاني المتوقعة عن المحل الذي يُنزَّل فيه النص). [69].

وقال الشيخ محمد إسماعيل المقدم (محاولة المطابقة بين النصوص الواردة في أحداث آخر الزمن، وبين بعض الوقائع المعاصرة والمتوقعة). [70]

ومن أمثلة ذلك: أحاديث الْمَهديّ، والدجال، والملاحم، فإن تفسيرها وبيان معانيها أمرٌ تكلم فيه أهل العلم، أما الجزم بأن فلانًا هو الْمَهديّ، أو أن حربًا معينة هي الملحمة الكبرى، فهذا من باب التنزيل الذي يحتاج إلى تحقق الشروط والقرائن وانتفاء الموانع.

---

(68) انظر بحث معالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث، عبدالله بن صالح العجيري (بدون معلومات نشر) ص 8.

(69) العراق في أحاديث وآثار الفتن، ط.الأولى (دبي : مكتبة الفرقان 1425هـ/2004م) 2/ 716.

(70) فقه أشراط الساعة ص 33.

ولهذا كان السلف والعلماء يتحرزون من التعيين والجزم في هذا الباب، لما يترتب عليه من الفتن والأخطاء.

وقد نبّه بعض أهل العلم إلى أن ثبوت المعنى العام للنص لا يستلزم الجزم بتعيين أفراده أو تنزيله على وقائع معينة دون دليل واضح. فقد يكون الوصف الوارد في النص حقًّا ثابتًا، لكن تنزيله على شخصٍ أو حادثةٍ معينة يحتاج إلى دليل ظاهر.

ومن هنا يظهر أنَّ التفسير أوسع وأضبط من التنزيل؛ لأن التفسير يتعلق بفهم النصوص، أما التنزيل فيتعلق بالحكم على الوقائع والأشخاص، وهو بابٌ يكثر فيه الاشتباه والخطأ.

وقد وقع الخلل عند بعض المعاصرين حين تجاوزوا مرحلة التفسير إلى الجزم بالتنزيل، فصاروا يربطون كل حادثة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية بنصوص الفتن والملاحم، ويحددون الأشخاص والأزمان بغير علمٍ ولا بينة، حتى تحولت نصوص الوحي عند بعضهم إلى مادةٍ للتوقعات والتحليلات السياسية.

والمنهج الصحيح في هذا الباب هو:

1-العناية أولًا بفهم النصوص فهمًا صحيحًا.

2-ردُّ المتشابه إلى المحكم.

3-التثبت في تنزيل النصوص على الوقائع.

4-عدم الجزم إلا بدليلٍ بيّن.

5-ترك ما لم يتضح أمره إلى حين ظهوره ووقوعه.

وقد قرر أهل العلم أنَّ كثيرًا من نصوص الفتن لا يتضح مرادها الكامل إلا بعد وقوعها، ولذلك كان السلف يكرهون التوسع في تعيين الوقائع والأشخاص قبل تحققها.

ونبّه ابن حجر إلى ضرورة التوقف في الجزم بتطبيق بعض نصوص الفتن على الوقائع قبل تحققها بصورة واضحة.

وبهذا يظهر أنَّ الفرق بين التفسير والتنزيل فرقٌ جوهري؛ فالتفسير بيانٌ لمعنى النص، أما التنزيل فهو الحكم بأن هذا النص ينطبق على واقعٍ معين، وهو بابٌ يحتاج إلى مزيد احتياطٍ وعلمٍ وبصيرة.

ضوابط أهل السنة في فهم نصوص الفتن والملاحم

اعتنى أهل السنة والجماعة بضبط باب الفتن والملاحم وأشراط الساعة؛ لما يترتب على الخطأ فيه من آثار عقدية وفكرية خطيرة، ولأنَّ هذا الباب يتعلق بأخبار غيبية لا مجال للرأي المجرد فيها، وإنما مردُّها إلى الوحي الصحيح والفهم السليم.

ومن أهم الضوابط التي قررها أهل السنة في هذا الباب:

1- الاقتصار على النصوص الصحيحة الثابتة

فلا يجوز بناء التصورات والأحكام على الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنامات والحكايات الواهية؛ لأنَّ باب الفتن قد دخله كثير من الكذب والدس.

قال ابن خلدون:«اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين... وقد عارض المنكرون لذلك بما تكلموا به في أسانيد أحاديث الْمَهديّ».ولهذا اعتنى أئمة الحديث بتمييز الصحيح من الضعيف في هذا الباب.

2- التحقق من ثبوت النص

فإن كان النص قرآنا فهو المقطوع بثبوته، وإن كان سنة نظر فيه وفي إسناده فإن كان صحيحا ثابتا فمقبول وإن كان ضعيفا فمردود ولا تفسر الوقائع في ضوئه، والأمر يكون أشد وأشد عند الاحتجاج بالموضوعات، إذ رواية الموضوعات غير جائز إلا مع البيان فكيف بالاحتجاج بها.

يقول الإمام ابن قدامة المقدسي: (أما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة، ليلبسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة – إما لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها، فلا يجوز أن يقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها) [71].

ويقول شيخ الإسلام: (الاستدلال بما لا تُعلم صحته لا يجوز بالاتفاق، فإنه قول بلا علم، وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع) [72].

---

(71) ذم التأويل 47 ، وانظر علوم الحديث 98

(72) منهاج السنة 168/7.

3- فهم النصوص على منهج السلف

فلا تُفهم نصوص الفتن بمعزل عن فهم الصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة؛ لأنهم أعلم الناس بمقاصد الشرع وأبعدهم عن التكلف.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:«من كان مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في عبارة منهجية جليلة: (يحتاج المسلمون إلى شيئين: أحدهما: معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة، بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل. وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ؛ فإنّ الرسول ﷺ لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرّفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلّغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم ممّا بلغوا حروفه) [(73)].

4- التثبت وعدم التسرع في التنزيل

فليس كل حادثة تُنزَّل عليها النصوص، وليس كل تشابه يقتضي الجزم بالتطبيق؛ لأن الوقائع قد تتشابه، والنصوص قد يكون لها تحقق تام لم يقع بعد.

ولهذا كان العلماء يحذرون من الاستعجال في تنزيل الأحاديث على الحوادث المعاصرة.

5- الجمع بين النصوص وعدم إهمال شيء منها

فقد يخطئ بعض الناس بسبب اعتماده على حديث واحد وترك بقية الأحاديث المتعلقة بالباب نفسه.

والمنهج الصحيح جمع الروايات والنظر فيها مجتمعة حتى تتضح الصورة كاملة.

6- أن المقصود من نصوص الفتن الهداية لا الإثارة

فالمقصود الأعظم من أخبار الفتن والملاحم هو التحذير، والاستعداد، والثبات على الدين، لا مجرد تتبع الغرائب وإثارة العامة وربط النصوص بالأحداث اليومية.

---

(73) الفتاوى 353/17 ، وانظر جامع بيان العلم وفضله 1132/2، وشرح الطحاوية 195، والجامع لابن أبي زيد 117، والموافقات 248/3.

موقف أهل السنة من الجزم بالتعيين

من أصول أهل السنة في باب الفتن والملاحم الحذر من الجزم بتعيين الأشخاص أو الأزمنة أو الوقائع إلا بدليلٍ واضحٍ لا يحتمل غيره؛ لأنَّ هذا الباب من أبواب الغيب، والغيب لا يعلم إلا بوحي.

ولهذا كان السلف يكرهون التوسع في التعيين، ويحذرون من القول على الله ورسوله ﷺ بغير علم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:«أحاديث الفتن يُستدل بها على جنس الوقائع، لا على أعيان الأشخاص إلا بدليل بيّن».

وقال الحافظ ابن حجر:«الذي ينبغي ألا يُبالغ في تعيين المراد، بل يُؤمن بذلك على الجملة حتى يتبين وقوعه».

ومن هنا فإن أهل السنة:

لا يجزمون بأن فلانًا هو الْمَهديّ إلا بظهور العلامات الشرعية الثابتة. ولا يقطعون بأن حادثةً معينة هي الملحمة الكبرى.ولا يحددون أزمنة قيام الساعة أو الأَشْرَاط بظنون وتخمينات.ولا يبنون العقائد على المنامات أو الحسابات العددية أو التنجيم.وإنما يقفون عند النصوص الثابتة، مع الإيمان بما دلت عليه إجمالًا، والتسليم لله ورسوله ﷺ.

نماذج من الانحرافات المعاصرة في تنزيل النصوص

شهد العصر الحديث توسعًا ملحوظًا في تنزيل نصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع السياسية والعسكرية المعاصرة، حتى أصبح هذا الباب عند بعض الكُتّاب والمتحدثين مجالًا للتكهنات والتحليلات غير المنضبطة، أكثر من كونه بابًا علميًّا تحكمه القواعد الشرعية وأصول أهل العلم. وقد نتج عن ذلك عدد من الانحرافات المنهجية، من أبرزها:

1- الجزم بتعيين الأشخاص والوقائع :

ومن أبرز صور الانحراف: الجزم بأن شخصًا معينًا هو المهدي أو السفياني أو غيرهما من الشخصيات الواردة في نصوص الفتن، اعتمادًا على الظنون والتخمينات وربط بعض الصفات الجزئية بالأحداث المعاصرة، دون دليل شرعي معتبر. وقد تكرر هذا المسلك في مراحل مختلفة من التاريخ، ثم ثبت بطلانه.

ومن أمثلة ذلك: ما ذهب إليه بعض الكُتّاب من تعيين الرئيس العراقي السابق صدام حسين بأنه "السفياني"، كما ورد في بعض المؤلفات المعاصرة، ومنها كتابات أمين محمد جمال الدين، وفاروق الدسوقي، وغيرهما، كما ذهب بعضهم إلى تعيين الملك حسين ملك الأردن في هذا السياق.

2- تنزيل النصوص على الوقائع السياسية بلا ضوابط

حيث يعمد بعض المتحدثين إلى إسقاط أحاديث الفتن والملاحم على كل حرب أو أزمة سياسية أو صراع دولي، دون مراعاة الضوابط العلمية في فهم النصوص، أو التثبت من تحقق أوصافها وشروطها، مما يؤدي إلى التوسع في التأويل وربط النصوص بأحداث متغيرة ومتقلبة.

3- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والمنامات و التنجيم

3- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والمنامات والتنجيم

ومن مظاهر الانحراف كذلك: بناء التصورات المتعلقة بأشراط الساعة على روايات ضعيفة أو موضوعة، أو الاعتماد على المنامات والرؤى والتنبؤات والتنجيم، وربط ذلك بالنصوص الشرعية.

ومن الأمثلة المشهورة على ذلك: حادثة جهيمان العتيبي عام 1400هـ، حين ادعى هو وأتباعه أن محمد بن عبد الله القحطاني هو المهدي المنتظر، واستندوا في ذلك إلى منامات وتأويلات غير منضبطة، حتى صرح جهيمان بقوله: "والذي نستوحيه من الأحاديث والمرائي الصالحة أن هذا أوان خروج المهدي". [74].

كما تأثر بعض الكُتّاب المعاصرين بما يُنسب إلى المنجم الفرنسي المعروف بـ ميشيل نوستراداموس،[75] حتى حاول بعضهم الربط بين تنبؤاته وأحاديث الفتن، وهو مسلك لا يقوم على أساس علمي معتبر.

يقول: أمين محمد جمال الدين (ونقول : إن ما جاء به نوستراداموس هو من تراثنا المنهوب، وميراثنا المسلوب، الذي سقط منا فالتقطوه، وجهلناه وعلموه)[76] ويقول فهد سالم : فقد استدل بنبؤاته على أحداث الشرق الأوسط [77].

فكثير من المتكلمين في الفتن يبنون تصوراتهم على روايات لا تصح، أو على أحلام ومنامات، ثم يربطون بها النصوص الشرعية.وهذا من أعظم أسباب الانحراف في هذا الباب.

---

(74) انظر: حقيقة الخوارج في الشرع وعبر التاريخ ، فيصل بن قزاز الجاسم ،ط. الأولى (الكويت : دار غراس 1426هـ/2005م) ، ص110-111.

(75) نوستراداموس هو اسم لاتيني لطبيب ومنجم فرنسي نسبة للمكان الذي كان يسكن فيه ، ولد عام 1503 م، واسمه الأصلي ميشيل دي نوتردام، كان والده طبيبًا مشهورًا، وكذلك جده الذي أشرف على تعليمه أسرار هذه المهنة، وكانت وقتها تختلط بالسحر والكهانة والتنبؤ بالمستقبل وبالطقوس الدينية أيضًا، إضافة إلى تعليمه الرياضيات وعلوم الفلك. وعرف نوسترآداموس بنبوغه في الطب ولم يكن يتجاوز العشرين من عمره، وكان قد تخرج في أكاديمية مونبيليه واحترف العمل طبيبًا في سن مبكرة، قام بكتابة كتاب اسمه التنبؤات (Propheties Les) الذي يحتوي على أهم الاحداث التي سوف تحدث في زمانه إلى نهاية العالم الذي توقع هو ان يكون في عام 3797م وكان يقوم بكتابة الاحداث على شكل رباعيات غير مفهومة وقام بعض العامة بتفسير تلك النبوءات بالتواصل مع الاشخاص المعنيين الذين ذكرهم المنجم في كتابه، وذاع صيته بعد كتابته كتاب) التنبؤات الذي عرف بتنبؤآت نوستراداموس (Les Propheties) عند العامة الامر الذي ادى إلى ان جعل الناس يتوافدون إليه من كل مكان حتى مماته عام 1566 . انظر: كتاب تنبؤات نوستراداموس (القاهرة :مكتبة مدبولي) .

(76) هرمجدون ص14.

(77) أسرار الساعة ص34، 132.

4- توظيف نصوص الفتن لإثارة العامة

إذ جعل بعض المتحدثين أحاديث الفتن وسيلة للتهييج السياسي أو إثارة المخاوف أو جذب الجماهير والمتابعين، دون مراعاة للمقاصد الشرعية من ذكر الفتن، والتي تقوم أساسًا على التحذير والاعتبار والثبات على الدين، لا على صناعة الإثارة الإعلامية

5- الانشغال بالغرائب والتفاصيل غير العملية

فقد أصبح بعض الناس منشغلًا بتتبع التفاصيل الجزئية وتحليل الوقائع وربطها بأشراط الساعة، أكثر من انشغاله بالعمل الصالح والاستعداد للآخرة، مع أن المقصود الأعظم من دراسة الفتن هو زيادة الإيمان وتحقيق الاستقامة والثبات.

6- مخالفة منهج أهل العلم الراسخين

ومن أوجه الخلل كذلك: تصدُّر غير المتخصصين في العقيدة والحديث والكلام في أبواب الفتن والملاحم، اعتمادًا على الثقافة العامة أو الطرح الإعلامي، بل وصل الأمر ببعضهم إلى تحديد أوقات قيام الساعة أو تعيين السنوات المتعلقة بالأحداث الكبرى.

وقد انتقد العلماء هذا المسلك قديمًا وحديثًا، ومن ذلك ما ذكره محمد رشيد رضا في معرض حديثه عن بعض المتكلفين في الحسابات العددية، حيث أشار إلى زعم بعضهم أن الساعة تقوم سنة 1407هـ اعتمادًا على حساب عدد حروف بعض الكلمات القرآنية، وهو من التكلف البعيد عن المنهج العلمي. (78)

ولهذا كان الواجب في هذا الباب الرجوع إلى العلماء الراسخين، والالتزام بالقواعد الشرعية في فهم النصوص وتنزيلها على الوقائع، مع الحذر من التهويل والتكلف والتوسع في الظنون والاحتمالات.

وهذه جملة من المصنفات من هذا الجنس للعلم بها والحذر منها:

1- القيامة الصغرى على الأبواب لفاروق الدسوقي

(78) تفسير المنار 401/6.

2- المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى لسعيد أيوب

3- أسرار الساعة هجوم الغرب لفهد سالم

4- اقترب خروج المسيخ الدجال لهشام كمال عبدالحميد

5- زوال إسرائيل 2022م نبوءة أم صدف رقمية لبسام نهاد جرار

6- العالم ينتظر ثلاثا لجمال الشامي

7- احذروا!! المسيخ الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا لمحمد عيسى داود

8- المفاجأة..بشراك ياقدس لمحمد عيسى داود

9- السفياني وإسرائيل الكبرى . تأليف محمد عيسى داود

10- عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي لأمين محمد جمال الدين

11- رد السهام عن كتاب عمر أمة الإسلام لأمين محمد جمال الدين

12- هرمجدون..آخر بيان يا أمة الإسلام لأمين محمد جمال الدين

13- الثمر الداني في ذكر المهدي والقحطاني – القحطاني خليفة الزمن الأخير لمجدي الشورى

14- السيناريو القادم الأحداث آخر الزمان – منصور عبدالحكيم

15- نهاية العالم وأشراط الساعة – منصور عبدالحكيم

16- يأجوج ومأجوج من الوجود حتى الفناء – منصور عبدالحكيم

17- عشرة ينتظرها العالم – منصور عبدالحكيم

18- تنبؤات نوستراداموس – منصور عبدالحكيم

19- الدر المكنون في بيان حقيقة هرمجدون لمجدي الشورى

أما المواد المنتشرة عبر شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، فيصعب حصرها لكثرتها وتنوعها، مع تفاوت كبير في درجاتها العلمية والمنهجية.

المبحث الرابع

أشراط الساعة والفتن والملاحم

تعريف أشراط الساعة لغة واصطلاحًا.

أقسام الأَشْرَاط باعتبار الوقوع.

أقسامها باعتبار الصغر والكبر.

الفرق بين الفتن والملاحم والأَشْرَاط.

تعريف أشراط الساعة لغةً واصطلاحًا

أولًا: تعريف الأَشْرَاط لغةً

الأَشْرَاط جمعُ شَرَط، ويأتي بمعنى العلامة والأمارة.

قال ابن فارس:«الشين والراء والطاء أصلٌ يدلُّ على علامةٍ وإظهار شيء» ومن ذلك قول الله تعالى:﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[79]؛ أي: علاماتها وأمارات قربها.

وقال ابن منظور:«وأشراط الساعة: علاماتها التي تكون قبلها».

فالأَشْرَاط في اللغة تدل على العلامات الدالة على أمرٍ يقع بعدها. [80]

ثانيا: تعريف أشراط الساعة اصطلاحًا

الأشراطُ في الاصطِلاحِ: هيَ العَلاماتُ الَّتي تَسبِقُ يَومَ القيامةِ، وتَدُلُّ على قُدومِها.

ورد ذكر كلمة الأشراط في القرآن مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها ﴾ [81]

قال الحَلِيميُّ: (أمَّا انتِهاءُ الحَياةِ الأولَى فإنَّ لَها مُقَدِّماتٍ تُسَمَّى أشراطَ السَّاعةِ، وهيَ أعلامُها)[82]

وقال البيهَقيُّ في تَحديدِ المرادِ مِنَ الأشراطِ: (ما يَتَقَدَّمُها مِنَ العَلاماتِ الدَّالَّةِ على قُربِ حينِها)[83]

وقال ابنُ حَجَرٍ: (المرادُ بالأشراطِ: العَلاماتُ الَّتي يَعقُبُها قيامُ السَّاعةِ)[84]

---

(79) محمد: 18

(80)ينظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (3/ 260)، ((التفسير البسيط)) للواحدي (20/ 242)، ((المفردات)) للراغب (ص450)، ((تاج العروس)) للزبيدي (19/ 405) "النهاية في غريب الحديث والاثر" (2/ 460)، و"لسان العرب" (7/ 329، 320) لأبي الفضل ابن منظور، ط. دار الفكر ودار صادر، بيروت..

(81) محمد: 18

(**82**)يُنظر: ((المنهاج في شعب الإيمان)) (1/ 422).

(**83**)يُنظر: ((البعث والنشور)) (ص: 75).

(**84**)يُنظر: ((فتح الباري)) (13/ 79).

ومِمَّا يَدُلُّ على تَسميةِ هَذِه الأشراطِ بالعَلاماتِ ما جاءَ في حَديثِ جِبريلَ عليه السَّلامُ؛ حَيثُ قال:(يا مُحَمَّدُ، أخْبِرْني مَتَى السَّاعةُ؟ قال: فنَكَّسَ، فلَم يُجِبْه شَيئًا، ثُمَّ أعادَ فلَم يُجِبْه شَيئًا، ثُمَّ أعادَ فلَم يُجِبْه شَيئًا، ورَفعَ رأسَه فقال: ما المسؤولُ عَنها بأعلَمَ مِنَ السَّائِلِ، ولَكِنْ لَها عَلاماتٌ تُعرَفُ بها.) [85]

ومما يطلق على الأشراط من كلمات :

1- **الآيات** : فقد ورد في حديث عبدالله بن عمر ب مرفوعاً : (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ...) [86]

2- **الأمارات** : كما في حديث أبي هريرة ط في قصة الذئب مع راعي الغنم، وقال فيه الرسول ﷺ: (إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتٍ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلا يَرْجِعَ حَتَّى تُحَدِّثَهُ نَعْلاهُ وَسَوْطُهُ مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ) [87]

3- **العلامات** : كما جاء في حديث جبريل : (فقال السائل : يارسول الله إن شئت حدثتك بعلامتين تكونان قبلها ...) [88]

وجميع هذه الكلمات تؤدي معنى واحداً، وهو مايتقدم قيام الساعة من أموركالعلامة لها .

ثالثا: تعريف الساعة لغةً

الساعة في اللغة: الساعة : هي جزء من أجزاء الليل أو النهار [89]

قال الراغب الأصفهاني:«الساعة اسمٌ لجزء من الزمان، ويُعبَّر بها عن القيامة».

(**85**)أخرجه النسائي (4991)، وإسحاق بن راهويه في ((المسند)) (165)، ومحمد بن نصر المروزي في ((تعظيم قدر الصلاة)) (378) من حَديثِ أبي هريرة وأبي ذر رَضِيَ اللهُ عنهما. صَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (4991). والحديث أصله في الصحيحين أخرجه البخاري (50)، ومسلم (9) من حَديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنه.

(**86**)أخرجه مسلم ، كتاب الفتن ، باب في خروج الدجال 4/ 2260 (2941) .

(**87**)أخرجه أحمد في المسند 8/147-149 وقال الشيخ أحمد شاكر : " إسناده صحيح " ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 8/517 وقال : " رواه أحمد ، ورجاله ثقات " .

(**88**)أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة 1/20 (50) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام 1/36، 38 (8) ، وأحمد في المسند 13/387،388 واللفظ له .

(89) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط. بدون (استانبول: المكتبة الإسلامية، بدون 1/ 466.

وسميت القيامة ساعةً؛ لأنها تأتي بغتة، أو لسرعة وقوع الحساب فيها.

رابعا: تعريف الساعة اصطلاحًا

هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وقد سميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفاجئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة (90)

(90) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 379/2 ولسان العرب مادة (سوع) 169/8.

أقسام الأَشْرَاط باعتبار الوقوع

تنقسم أشراط الساعة باعتبار زمان خروج الأشراط ووقوعها إلى ثلاثة أقسام:

1- أشراط وقعت وظهرت وانقضت

وهي العلامات التي أخبر بها النبي ﷺ فوقعت وانتهت كما أخبر، ومن ذلك:

بَعثةُ النَّبيّ ﷺ، وانشقاق القمر،ووفاة النبي ﷺ، وفتح بيت المقدس، وظهور الفتن الكبرى الأولى كمقتل عثمان رضي الله عنه ووقعة الجمل وصفين، وظهور الخوارج، وفتح القسطنطينية الأول.

وهذه الأَشْرَاط تعد من دلائل نبوته ﷺ؛ لتحققها على وفق ما أخبر.

2- أشراط ظهرت ولا تزال تظهر وتزيد وتكثر

وهي العلامات التي بدأ وقوعها وما تزال تتكرر أو يزداد ظهورها مع مرور الزمن، مثل:

انتشار الفتن،وكثرة القتل، وظهور المعازف، وزخرفة المساجد، والتنافس في الدنيا، وانتشار الجهل وقلة العلم، وتقارب الزمان، وإلقاء الشح، وتضييع الأمانة، وكثرة الزلازل، ونحو ذلك مما أخبر به النبي ﷺ ووقع بعضه ولا يزال يقع حتى اليوم.

3- أشراط لم تقع بعد

وهي العلامات المستقبلية العظام والأشراط الجسام، التي تعقبها الساعة، التي أخبر بها النبي ﷺ ولم تظهر إلى الآن، وأكثرها من الأَشْرَاط الكبرى، مثل:خروج الْمَهديّ.خروج المسيح الدجال.نزول عيسى عليه السلام.خروج يأجوج ومأجوج.طلوع الشمس من مغربها.خروج الدابة.خروج النار التي تحشر الناس.وهذه تقع قرب قيام الساعة الكبرى.[91]

(**91**)عمر الاشقر , الْيَوْم الاخر القيامة الصغرى 136.و انظر: فتح الباري 13/83-84 ، ولوامع الأنوار البهية ، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ، ط الثالثة (بيروت : المكتب الإسلامي 1411هـ/1991م) 2/66-70 .والقناعة في مايحسن الإحاطة من أشراط الساعة ، تحقيق : د. محمد بن عبدالوهاب العقيل ، ط الأولى (الرياض : مكتبة أضواء السلف ، 1422هـ) ص132 . و الإشاعة لأشراط الساعة ص25 .

أقسام الأَشْرَاط باعتبار الصغر والكبر

يقسم العلماء أشراط الساعة باعتبار شأنها وأثرها إلى قسمين:

أولًا: الأَشْرَاط الصغرى

وهي العلامات التي تتقدم الساعة بزمن طويل غالبًا، ويكون كثير منها من الأمور المعتادة التي تتكرر في حياة الناس.

ومن أمثلتها: بَعثةُ النَّبيِّ ﷺ، وموت النبي ﷺ، وفتح بيت المقدس، وانتشار الفتن، وكثرة القتل، والتنافس في البنيان، وضياع الأمانة، وظهور المعازف والزنا وشرب الخمر. وقد يظهر بعضها متداخلًا مع الأَشْرَاط الكبرى.

ثانيًا: الأَشْرَاط الكبرى

وهي العلامات العظام الخارقة للعادة التي تظهر قرب قيام الساعة، ويعقبها قيام الساعة بزمن يسير.

وأشهرها ما جاء في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(إنها لن تَقومَ حتى ترَوا قبلَها عشْرَ آياتٍ فذَكَر الدُّخانَ والدجَّالَ والدابَّةَ وطُلوعَ الشمسِ من مَغرِبِها ونُزولَ عيسى ابنِ مريمَ ﷺ ويَأجوجَ ومَأجوجَ وثلاثَ خُسوفٍ خَسفٌ بالمشرِقِ وخَسفٌ بالمغرِبِ وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من اليمَنِ تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهم) [92] . وتتميز الأَشْرَاط الكبرى بأنها متتابعة متقاربة الوقوع إذا بدأت.

قال السفاريني: «العلامات الكبرى إذا ظهرت تتابعت كتتابع الخرز في النظام إذا انقطع سلكه».

(**92**)أخرجه مسلم (2901)

الفَرْقُ بين الفِتنِ والملاحِم والأَشْرَاط

كثيرًا ما تُذكر هذه المصطلحات متقاربة، مع أن بينها فروقًا معتبرة:

أولًا: الفتن

الفتن جمع فتنة، وأصلها في اللغة: الاختبار والابتلاء.

قال ابن فارس: (الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار، من ذلك الفتنة، يقال : فتنتُ أفتِن فَتْناً، وفَتَنْتُ الذهب بالنار، إذا امتحنته). [93]

ونقل ابن منظور عن الأزهري وغيره: (جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد). [94]

وفي الاصطلاح:

تدور معاني الفتنة في الشرع على معان منها :

الابتلاء والاختبار والامتحان، والعذاب والشدة والحرق بالنار، وكل مكروه وآيل إليه، كالكفر والإثم والفضيحة والفجور والمصيبة وغيرها من المكاره.

قال الحافظ ابن حجر : (وأصل الفتنة : الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك) [95] .

فهي ما يبتلي الله به العباد من الشبهات والشهوات والاضطرابات والاختلافات التي يختبر بها إيمانهم وثباتهم، وتكون:دينية.وسياسية.وأمنية.وفكرية.وأخلاقية.

ومن أمثلتها:فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وظهور الخوارج،والفتن بين المسلمين،وفتنة الدجال.

فالفتنة أعم من الملحمة، وقد تكون من أشراط الساعة أو لا تكون.

(**93**)معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط بدون (إيران : دار الكتب العلمية ، بدون)472/4.

(**94**)لسان العرب 13 / 317 .

(95) فتح الباري 13 / 5 .

ثانيًا: الملاحم

الملاحم جمع ملحمة، وهي في الأصل من اشتداد القتل واختلاط الناس في الحرب.

وفي الاصطلاح: هي الحروب العظيمة والوقائع الكبرى التي تقع بين المسلمين وأعدائهم، خاصة في آخر الزمان.

ومن أشهرها: الملحمة الكبرى بين المسلمين والروم، والمعركة الفاصلة مع اليهود، فكل ملحمة فتنة، وليس كل فتنة ملحمة.

ثالثًا: الأَشْرَاط

الأَشْرَاط هي العلامات الدالة على قرب قيام الساعة، سواء كانت: فتنًا، أو ملاحم، أو أحداثًا كونية خارقة.فالأَشْرَاط أعم من الفتن والملاحم من جهة علاقتها بقيام الساعة.

العلاقة بين المصطلحات الثلاثة

قد تكون الفتنة من أشراط الساعة، وقد تكون الملحمة من أشراط الساعة، والأَشْرَاط تشمل الفتن والملاحم وغيرها من العلامات الكونية والغيبية.

ولهذا فإن:كل ملحمة تدخل في باب الفتن، وكثير من الفتن تدخل في أشراط الساعة، لكن الأَشْرَاط أوسع من الجميع؛ لأنها تشمل كل علامة تدل على قرب القيامة.

الفصل الأول

الأخبار النبوية التي تحققت

المبحث الأول

الأخبار المتعلقة بانتصار الإسلام وانتشاره

انتصار الرُّومِ بعد هزيمتهم أمام الفُرسِ

فتح اليمن ثُمَّ الشام ثُمَّ العراق

فتح بيت المقدس

فتح مصر.

فتح فارس

الفتح الأول للقسطنطينية.

بشارة النبي ﷺ بانتشار الإسلام.

انتصار الرُّومِ بعد هزيمتهم أمام الفُرسِ

كانتِ دولتا الفُرسُ والرُّومُ أعظم قوتين سياسيتين وعسكريتين في العالم آنذاك، وقد دار بينهما صراع طويل وحروب متتابعة، وكان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يحِبُّ النَّصرَ لأتْباعِ الرُّسلِ من أهلِ الكِتابِ وهم الرُّومِ على المشرِكين وهم الفُرسُ؛ حتَّى يَطمئنَّ المسلِمون ويثْبُتوا، وحتَّى يغتاظَ الكُفَّارُ، فنزل القرآن مبشرًا بانتصار الروم بعد هزيمتهم.

قال الله تعالى : ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الامْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (96)

تتحدث الآيات عن الهزيمة التي لحقت بالروم على يد الفرس، ثم تبشر بانقلاب الموازين خلال مدة يسيرة، حيث ينتصر الروم بعد هزيمتهم، وهو ما وقع فعلًا كما أخبر القرآن الكريم.

قال ابن كثير: (نزلَتْ هذه الآياتُ حينَ غلَب سابورُ ملكُ الفُرسِ على بلادِ الشَّامِ وما والاها مِن بلادِ الجزيرةِ وأقاصي بلادِ الرُّومِ، واضطرَّ هِرَقلَ ملكَ الرُّومِ حتَّى ألْجأه إلى القُسْطَنْطينيَّةِ، وحاصَره فيها مدَّةً طويلةً، ثمَّ عادَتِ الدَّولةُ لهِرَقْلَ). (97)

وقال القاسمي: (اتَّفَق المؤرِّخون مِنَ المسلمينَ وأهلِ الكتابِ على أنَّ مَلِكَ فارسَ كان غزا بلادَ الشَّامِ، وفتَحَ دِمَشْقَ وبيتَ المقْدِسِ: الأُولى سنةَ 613، والثَّانية سنةَ 614. أي: قبْلَ الهجرةِ النَّبويَّةِ بسَبْعِ سِنينَ). (98)

معنى قول الله تعالى: ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾.

اختلف المفسرون في المراد بـ﴿أدنى الأرض﴾ على عدة أقوال متقاربة، أشهرها:

(**96**) الروم: 2-6

(97) (تفسير ابن كثير) (297/6). يُنظر: ((تفسير ابن جرير) (447/18)، (تفسير السمرقندي) (3/3)، (البسيط) للواحدي (7/18)، (تفسير الزمخشري) (466/3)، (تفسير السعدي) (ص: 636).

(98) (تفسير القاسمي) (4/8).

أنها أقرب أرضِ الرُّومِ إلى جزيرة العربِ. ومِمَّن قال بهذا القول: البِقاعي، وابنُ عاشور. (99)

أنها أقرَبُ أرضِ الشَّامِ إلى بلادِ فارسَ. ومِمَّن ذهب إلى هذا القولِ: ابنُ جرير، والثعلبيُّ، ومكّي، والبغوي. (100)

أنها المنطقة الواقعة بيْنَ أَذْرِعاتَ وبُصْرَى. أو في نواحي الأُرْدُنِّ وفِلَسْطينَ ومِمَّن ذهب إلى هذا القولِ: الألوسي (101)

وقد نقل ابنُ عبَّاسٍ، والسُّدِّيّ أن المعركة كانت في الأردن وفلسطين، وهو ما رجحه بعض الباحثين؛ لكون هذه المنطقة أقرب بلاد الروم إلى جزيرة العربِ.

أما لفظ ﴿ أدنى ﴾ في اللغة العربية، فإنه يُستعمل بمعنى: الأقرب، وقد يأتي بمعنى الأقل أو الأسفل بحسب السياق. كقولنا : أَنَا الْمُوَقِّعُ أَدْنَاهُ: أَسْفَلَهُ، و في القاموس المحيط في معنى كلمة (دنا): تقول العرب الأدنيان وهما واديان، وفي لسان العرب : والأَدْنَى: السَّفِلُ، فالعرب لا تستغرب أن يكون ضمن معاني هذه الكلمة هو الأسفل أو الوادي، ويقول(أبو عدي النمري):

تهامية الأدنى حجازية الذرى كأن عليها من عُمان شقيقها

فالشاعر في معرض الحديث عن النسب، عبر بكلمتين متضادتين معنوياً من وجهة نظره. وهما: الأدنى ـ الذرا، و الذرا : أكثر الأماكن علوّاً.و الأدنى: أكثر الأماكن انخافضاً.

ومن هنا ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى الربط بين الآية ومنطقة البحر الميت؛ لكونها من أخفض بقاع اليابسة على سطح الأرض.

غير أن جمهور المفسرين حملوا الآية على معنى القرب الجغرافي، وهو المعنى المتبادر في سياق الخطاب القرآني، وإن كان لا يمتنع لغويًّا أن يتضمن اللفظ معنى الانخفاض أيضًا.

---

(99) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (3/15)، ((تفسير ابن عاشور)) (43/21).

(100) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (458/18، 460)، ((تفسير الثعلبي)) (294/7)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (5652/9)، ((تفسير البغوي)) (570/3)

(101) ((تفسير الألوسي)) (19/11).

تحقق الوعد القرآني

قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾، أي: سيقَعُ انتِصارُ الرُّومِ على الفُرسِ فيما بيْنَ ثلاثِ سِنينَ إلى تِسعٍ(102)

وقد تحقق ذلك كما أخبر القرآن، حيث انتصر الروم على الفرس بعد نحو سبع سنوات من نزول الآيات. قال الواحدي: ''أجمع المفسرون على أن الروم غلبت فارس بعد ما أخبر الله بذلك''.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما في قَولِ الله تعالى: الم * غُلِبَتِ الرُّومُ، قال: ((غُلِبَت وغَلَبت؛ كان المشرِكون يُحِبُّون أن يظهَرَ أهلُ فارسَ على الرُّومِ؛ لأنَّهم وإيَّاهم أهلُ أوثانٍ، وكان المسلِمونَ يُحِبُّونَ أن يظهَرَ الرُّومُ على فارسَ؛ لأنَّهم أهلُ كتابٍ، فذَكَروه لأبي بكرٍ، فذكره أبو بكرٍ لِرَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: أمَا إنَّهم سيَغْلِبونَ، فذكره أبو بكرٍ لهم، فقالوا: اجعَلْ بيْنَنا وبيْنَك أجَلًا؛ فإنْ ظهَرْنا كان لنا كذا وكذا، وإنْ ظهَرْتُم كان لكم كذا وكذا، فجعَل أجَلًا خمسَ سِنينَ، فلمْ يَظهَروا، فذكَر ذلك للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: ألَا جعَلْتَه إلى دُون –قال: أُراه العَشر– قال الرَّاوي: والبِضعُ ما دونَ العَشرِ– قال: ثمَّ ظهَرَت الرُّومُ بعدُ. قال: فذلك قَولُه تعالى: الم * غُلِبَتِ الرُّومُ إلى قَولِه: يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) (103)

وقد وقع ما أخبر به القرآن بدقة، ففرح المؤمنون بتحقق وعد الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾.

قال ابن كثير: (لأنَّ اللهَ قد جرتْ سُنَّتُه أن يَنصُرَ أقرَبَ الطَّائِفَتينِ المقتَتِلَتينِ إلى الحَقِّ، ويجعَلَ لها العاقِبةَ). (104)

---

(102) يُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (175/4)، ((البسيط)) للواحدي (124/12)، ((تفسير ابن جزي)) (130/2)، ((تفسير ابن كثير)) (303/6)، ((تفسير الشوكاني)) (247/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 636).

(103) أخرجه الترمذي (3193)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (11389)، وأحمد (2495). قال التِّرمذيُّ: حسَنٌ صحيحٌ غريب. وصحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3193)، وقال ابن القيم في ((الفروسية)) (ص: 92، 207): إسنادُه على شرطِ الصَّحيحِ. وصَحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (168/4).

(104) ((تفسير ابن كثير)) (305/6).

الدلالات العقدية والتاريخية للآيات

تكشف هذه الآيات عن جانب من الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، حيث أخبر القرآن عن حادثة مستقبلية محددة ثم وقعت كما أخبر، في وقت كانت فيه دولة الروم تعيش مرحلة انهيار شديد أمام الفرس.

كما تبين الآيات أن تدبير الأمور بيد الله تعالى، وأن تداول القوة بين الأمم يجري وفق سننه سبحانه، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

وتظهر كذلك الصلة النفسية والعقدية بين المسلمين وأهل الإيمان عمومًا، إذ فرح المسلمون بانتصار الروم لكونهم أقرب إليهم من الفرس من جهة الأصل الديني، وإن كان الروم على غير الإسلام.

فتح اليمن ثُمَّ الشام ثُمَّ العراق

ومن دلائل نبوته ﷺ ما أخبر به من الفتوحات الإسلامية التي وقعت بعد وفاته، ومن ذلك بشارته بفتح اليمن ثم الشام ثم العراق، وانتقال طوائف من المسلمين إلى هذه الأقاليم واستيطانهم فيها، فقد قال ﷺ: (تُفتَح اليمن فيأتي قوم يُبِسُّون[105] فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لَوْ كانوا يعلمون، وتُفتح الشام فيأتي قومٌ يُبِسُّون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لَوْكانوا يعلمون، وتُفتح العراق فيأتي قومٌ يُبِسُّون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لَوْكانوا يعلمون).[106]

يتضمن هذا الحديث عدة دلالات نبوية؛ إذ أخبر النبي ﷺ بوقوع فتح هذه الأقاليم الثلاثة، كما أخبر بانتقال الناس إليها طلبًا للسعة والرزق والاستقرار، مع بيان فضل الإقامة في المدينة المنورة.

قَال النووي: " قَال العُلَماء: في هذا الحَدِيث معجزاتٌ لرسول الله ﷺ، لأنه أخبر بفتح هذه الا قَاليم، وأَنَّ النَّاس يتحملون بأهليهم إِلَيْهِا ويتركون المدينة، وأَنَّ هذه الا قَاليم تفتح عَلَى هذا الترتيب (اليمن ثُمَّ الشام ثُمَّ العراق)، ووجِد جميعُ ذلك كذلك بحمد الله وفضله".[107]

ويؤكد الامام ابن حجر تحقق هذه النبوءات النبوية، فينقل عن ابن عبد البر وغيره قولهم: "افتتحت اليمن في أيام النبي ﷺ وفي أيام أبي بكر, وافتتحت الشام بعدها, والعراق بعدها، وفي هذا الحَدِيث عَلم من أعلام النبوة, فقد وقع عَلَى وفق ما أخبر به النبي ﷺ وعَلَى ترتيبه, ووقع تفرق النَّاس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء, ولو صبروا عَلَى الاقامة بالمدينة لكان خيرًا لهم".[108]

وقد تحققت هذه الفتوحات في عصر الخلفاء الراشدين، فدخلت اليمن في سلطان الإسلام، ثم فُتحت بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب بعد معارك كبرى ك معركة اليرموك، ثم فُتحت العراق

---

105 أي يزينون إليهم السكنى في تلك البلاد ويدْعونهم ليرحلوا إليها.

106 رواه مُسْلِم ح (1875).

107 شرح النووي عَلَى صحيح مُسْلِم (159/9).

108 فتح الباري (110/4).

بعد معارك مشهورة مثل معركة القادسية، فكان ذلك من الشواهد التاريخية على صدق إخباره ﷺ بالمغيبات.

فتح بيت المقدس

ومن أشراط الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ فتح بيت المقدس، كما جاء في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

« أُعدُدْ ستًّا بين يدي الساعةِ : ...» وذكر منها: « فتحُ بيتِ المقدسِ » (109)

وقد تحقق هذا الوعدُ النبويُّ في خلافةِ أميرِ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنةَ ستَّ عشرةَ للهجرة، حين دخل المسلمون بيتَ المقدسِ بعد حصارها، فقدم عمرُ رضي الله عنه بنفسه إلى المدينة، وصالح أهلها، وتسلم مفاتيحها، وأمَّن سكانها، وأمر بتطهير موضع المسجد الأقصى مما أُلقي فيه من الأذى والقمامة، ثم أقام للمسلمين موضعًا للصلاة في جهة القبلة.

وروى الإمام أحمد عن عبيد بن آدم قال: سَمِعْتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللَّهُ عنهُ يقولُ لِكَعب الأحبار: « أينَ ترى أن أصلِّيَ ؟» فقال: إن أخذتَ عنِّي صلَّيتَ خلفَ الصَّخرةِ. فقالَ عمرُ رضيَ اللَّهُ عنهُ ضاهَيتَ اليَهوديَّةَ ، لا، ولَكِن أصلِّي حيثُ صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ»، فتقدَّمَ إلى القِبلةِ فصلَّى ثمَّ جاءَ فبسَطَ رداءَهُ فَكَنسَ الكُناسةَ في ردائِهِ وَكَنسَ النَّاسُ (110).

ويُستفاد من هذا الحدث أن فتحَ بيتِ المقدس لم يكن مجردَ انتصارٍ عسكري، بل كان فتحًا قائمًا على تعظيم شعائر الله، وإحياء مكانة المسجد الأقصى، وربط الأمة بعقيدتها ومقدساتها، كما يُعدُّ هذا الفتحُ من دلائل صدق نبوته ﷺ؛ إذ وقع كما أخبر قبل وقوعه بسنوات.

---

(109)أخرجه البخاري (3176)

(110)أخرجه أحمد (261) بلفظه، وأبو عبيد في ((الأموال)) (430)، وابن زنجويه في ((الأموال)) (640) باختلاف يسير.

فتح مصر

ومن أشراط الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ فتحُ مصر، وقد وقع ذلك كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ في عهد الخلفاء الراشدين.

قَال ﷺ : (إنكم ستفتحون مصر.. فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذِمة ورحِماً))، في رواية لابن حبان: ((فاستوصوا بهم خيرًا، فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله).

والتفت النبي ﷺ إلى أبي ذر فقَال:(فإذا رأيتَ رجلين يختصمان فيها في موضع لَبِنة فاخرج مِنْهَا).

وفي هذا توجيه نبوي إلى الإحسان إلى أهل مصر، وبيان ما سيكون لهم من دور في نصرة المسلمين وتقوية شوكتهم، كما أشار ﷺ إلى الرحم التي تربط العرب بأهل مصر، لأن هاجر أم إسماعيل عليه السلام كانت مصرية.

ففي صحيح مسلم أنه قال لأبي ذر رضي الله عنه: «فإذا رأيتَ رجلين يختصمان فيها في موضع لَبِنة فاخرج منها»

قال أبو ذر رضي الله عنه: « فرأيت عبدَ الرحمنِ بنَ شرحبيلَ بنِ حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لَبِنة، فخرجت مِنْهَا».[111]

قَال النووي: "وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، مِنْهَا إخباره بأن الامةَ تكون لهم قوة وشوكة بعده، بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومِنْهَا أنهم يفتحون مِصر، ومِنْهَا تنازع الرجلين في موضع اللَبِنة، ووقع كلُ ذلك ولله الحمد".[112]

وأخبر النبي ﷺ أَنَّ الفتوح التي تقع عَلَى أيدي أصحابه ومن بعدهم، تستمر إلى ثلاثة أجيال بعده ﷺ قبل أن تتوقف، ففي الصحيحين من حَدِيث أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ النبي ﷺ قَال:(يأتي عَلَى النَّاس زمانٌ يغزو فِئام من النَّاس، في قَال لهم: فيكم من رأى رَسُول اللَّه

---

111 رواه مُسْلِم ح (2543)، ورواية ابن حبان رواها في صحيحه ، الموارد ح (2315).

112 شرح صحيح مُسْلِم (97/16).

ﷺ ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم ثُمَّ يغزو فئام من النَّاس فيقَال لهم: فيكم من رأى من صحب رَسُول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثُمَّ يغزو فئام من النَّاس فيقَال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رَسُول الله ﷺ فيقولون: نعم. فيفتح لهم).[113]

قَال النووي: "وفي هذا الحَدِيث معجزاتٌ لرسول ﷺ، وفضلُ الصَّحَابَة والتابعين وتابعيهم".[114]

113 رواه البُخَارِي ح (3649)، و مُسْلِم ح (2532) واللفظ له.

114 شرح صحيح مُسْلِم (83/16).

فتح فارس

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بفتح بلاد فارس، وزوال ملك كسرى، فقد بشَّر أصحابه بوقوع ذلك قبل حدوثه، فقال ﷺ: «لَتُفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ»[115]

والمقصود بـ«الأبيض» قصر كسرى المشهور بمدائن فارس، وكان رمزًا لملكهم وسلطانهم. وقد تحقق هذا الوعد النبوي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد انتصارات المسلمين على الفرس في معارك فاصلة، أبرزها معركة القادسية، ثم فتح المدائن وسقوط ملك كسرى.

وقد ذكر أهل السير أن أول من رأى القصر الأبيض من المسلمين ضرار بن الخطاب، فلما شاهده المسلمون كبَّروا وقالوا: «هذا ما وعدنا الله ورسوله». ﷺ.[116] فكان ذلك من الشواهد الظاهرة على صدق إخباره ﷺ بما سيقع مستقبلًا.

كما أخبر النبي ﷺ بزوال ملك فارس نفسه، فقال: « إذا هَلَكَ كِسرى فلا كِسرى بَعدَه، وإذا هَلَكَ قَيصَرُ فلا قَيصَرَ بَعدَه، والذي نَفسي بيَدِه لَتُنفَقَنَّ كُنوزُهما في سَبيلِ اللهِ. »[117]

فتحقق ذلك بانهيار الدولة الساسانية ودخول بلاد فارس في سلطان المسلمين، وانتشار الإسلام فيها بعد قرون طويلة من حكم الأكاسرة.

---

115 أخرجه مسلم (2919)، وأحمد (20821)، وابن حبان (6678)، وأبو يعلى (7444) باختلاف يسير.

116 انظر البداية والنهاية (64/7).

117 أخرجه البخاري (3121)، ومسلم (2919)

الفتح الأول للْقُسْطَنْطِينِيَّةُ

ومن البشارات النبوية: فتحُ القسطنطينية، عاصمة الدولة البيزنطية، وهيَ مَدينةُ الرُّومِ الشَّرقيَّةِ نِسبةً إلى مَلِكِهِمُ القَيصَرِ قُسطَنطينَ الأكبَرِ، وهيَ دارُ مُلكِهِم، بُنيَت على مَضيقِ البوسفورِ الواصِلِ بَينَ البَحرِ الأسودِ وبَحرِ مرمرةَ تَشتَهِرُ بمَتانةِ أسوارِها، وهيَ اليَومَ إسطَنبولُ.

وقد أخبر النبي ﷺ بفتحها، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : بينما نَحنُ حولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتبُ إذ سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: أيُّ المدينَتينِ تُفتَحُ أوَّلًا : قُسطنطينيَّةُ أو روميَّةُ ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:« مَدينةُ هرقلَ تُفتَحُ أوَّلًا » يَعني قُسطَنطينيَّةَ. (118)

أي: أنَّ القُسطَنطينيَّةَ سَيَكونُ فتحُها قَبلَ روميَّةَ، وروميةُ هيَ مَدينةُ روما سُمِّيَت باسمِ مَلِكٍ مِن مُلوكِهِم.

وعن أبي قبيل حيي بن هانئ المعافري رضي الله عنه قال : كنا عند عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ، وسُئِلَ أيُّ المدينتيْنِ تُفتحُ أولًا القسطنطينيةُ أو روميَّةُ ؟ فدعا عبدُ اللهِ بصندوقٍ له حِلَقٌ، قال : فأخرج منه كتابًا قال : فقال عبدُ اللهِ : بينما نحنُ حولَ رسولِ اللهِ نكتبُ، إذ سُئِلَ رسولُ اللهِ : وذكر الحديث .... (119)

وقد تحقق هذا الفتح سنة 857هـ على يد السلطان العثماني محمد الفاتح، بعد محاولات كثيرة سبقت ذلك منذ عصر الدولة الأموية.

وقد ورد في فضل هذا الفتح حديث مشهور عند الامام أَحْمَد والحاكم من أن النبي ﷺ قَالَ: (لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ). 120

---

(118) أخرجه أحمد (6645) واللفظ له، وابن أبي عاصم في ((الأوائل)) (110)، والدارمي (486) وصححه احمد شاكر في تخريج المسند (131/10)

(119) أخرجه أحمد (6645) بلفظه، والدارمي (503) بنحوه، وابن أبي شيبة (19811) باختلاف يسير.وذكره الالباني في السلسلة الصحيحة (4).

120 رواه أحمد في " مسنده "، وابنه في " زوائده " (4/ 335)، والبخاري في" التاريخ الكبير " (2/ 81)، والطبراني في " المعجم الكبير " (2/ 38)، والحاكم في " المستدرك " (4/ 468). من طريق الوليد بن المغيرة، حدثني عبدالله بن بشر الغنوي، حدثني أبي، أنه سمع رسول الله... قال الحاكم: " حديث صحيح الإسناد "، ووافقه الذهبي، و قال علي بن المديني

وقد اختلف أهل العلم في تصحيحه؛ فحسنه بعضهم كالحاكم والسيوطي، وضعفه آخرون بسبب اختلاف في إسناده، ولذلك يُذكر في باب الفضائل والبشارات، لا في مقام الاحتجاج المستقل.

ومع ذلك فإن أصل فتح القسطنطينية ثابت بالأحاديث الصحيحة، وقد وقع كما أخبر النبي ﷺ، فكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ.

ويُفرَّق بين هذا الفتح التاريخي الذي وقع على يد العثمانيين، وبين الفتح الآخر الذي يكون في آخر الزمان، الوارد في أحاديث الملاحم، والذي يقع قبيل خروج الدجال، ويكون بصفات مختلفة كما في حديث أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:« سمعتُم بمدينةٍ جانِبٌ منها في البَرِّ ، وجانِبٌ في البحرِ ؟ لا تقومُ الساعةُ حتى يغزوَها سبعون ألفًا من بني إسحاقَ ، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتِلوا بسلاحٍ ، ولم يَرموا بسهم ... فبينما هم يقتسمون المغانمَ إذ جاءَهم الصريخُ ، فقال : إنَّ الدجَّالَ قد خرج ، فيَترکون کلَّ شيءٍ ويرجعون » الحديث.. (121)

ويظهر من مجموع الأحاديث أن للقسطنطينية فتحين:

فتحًا أول وقع على يد السلطان محمد الفاتح سنة 857هـ، وفتحًا آخر يكون في آخر الزمان قبيل خروج الدجال، ويكون بغير قتالٍ شديد، بل بالتكبير والتهليل كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة.

رحمه الله :" راويه مجهول " انتهى من " تاريخ الإسلام " (6/ 146) .وضعفه الالباني وشعيب الأرنؤوط وذلك: لجهالة عبد الله بن بشر الخثعمي فقد انفرد بالرواية عنه الوليد بن المغيرة المعافري ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان.. ولم يوثقه سوى ابن حبان

(121) أخرجه مسلم (2920) باختلاف يسير

بشارة النبي ﷺ بانتشار الإسلام

من الأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ العظيمة التي تحققتْ وانتشر وقوعُها في حياة الأمة ما أخبر به النبيُّ ﷺ من ظهور هذا الدين وانتشاره في أرجاء الأرض، ودخول الأمم والشعوب فيه، حتى بلغ ما أخبر به مبلغًا عجيبًا يدل دلالةً ظاهرة على صدق نبوته ﷺ.

فقد خرج النبيُّ ﷺ من مكة مستضعفًا، ثم توفاه الله تعالى وقد انتشر الإسلام في جزيرة العرب، ثم ما لبثت الفتوحات الإسلامية أن تجاوزت حدود الجزيرة حتى دخل الإسلام بلاد فارس والروم ومصر والشام والمغرب والأندلس، ثم وصل إلى بلاد الترك والهند والصين وإفريقيا وغيرها، حتى صار المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن أعظم الأحاديث الدالة على ذلك ما رواه تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:«لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ» [122].

وهذا الحديث من أعلام النبوة الظاهرة؛ إذ قد تحقق منه الشيء الكثير، ولا يزال يتحقق إلى قيام الساعة، فقد انتشر الإسلام في أصقاع الأرض، ودخل في أممٍ لم تكن العرب تعرفها زمن النبوة، حتى غدا الإسلام اليوم دينًا عالميًّا ينتسب إليه مئات الملايين من البشر.

ومن ذلك أيضًا ما رواه المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ ، بعِزِّ عزيزٍ وذُلِّ ذليلٍ : إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللهُ فيَجْعَلُهُم من أهلِها، أو يُذِلُّهُم فيَدِينُونَ لها، قلتُ : فيكونُ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ » [123].

وقد وقع هذا الانتشار على صور متعددة:

فمنه انتشار الإسلام بالفتوح والجهاد.

(**122**) أخرجه أحمد (16957) واللفظ له، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (6155) مختصراً، والطبراني (58/2) (1280) باختلاف يسير

(**123**) أخرجه أحمد (23865) باختلاف يسير، وابن حبان (6699) مختصرا، وابن عساكر في ((معجم الشيوخ)) (501) واللفظ له

ومنه دخوله في الأمم عن طريق التجارة والدعوة.

ومنه انتشار المسلمين في أنحاء العالم حتى قامت لهم الجاليات والمراكز الإسلامية في البلاد البعيدة.

كما أخبر النبي ﷺ ببقاء طائفة من الأمة ظاهرة على الحق، فقال:

« لا تَزالُ طائِفةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرينَ على الحَقِّ، لا يَضُرُّهم مَن خَذَلَهم، حتَّى يَأتيَ أمرُ اللهِ –وفي روايةٍ– وهم كَذلك» (124).

وفي هذا بشارة عظيمة ببقاء الدين وثبات أهله رغم ما يمر بالأمة من ضعف وفتن، وأن الإسلام وإن ضعفت شوكته في بعض الأزمنة أو الأمكنة فإنه باقٍ محفوظ بحفظ الله تعالى.

وقد عدَّ العلماء هذا الانتشار من دلائل النبوة؛ إذ لا يمكن لبشر في حال الاستضعاف الأولى أن يجزم بهذا الانتشار العالمي ثم يقع كما أخبر، إلا أن يكون مؤيدًا بالوحي من عند الله تعالى.

قال ابن كثير رحمه الله:«وقد وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ، فبلغ ملك أمته ما زوي له منها».

وقال ابن حجر رحمه الله:«وفيه معجزة ظاهرة لإخباره بالأمر قبل وقوعه، فوقع طبق ما أخبر».

ومن تأمل حال العالم اليوم رأى من تحقق هذه البشارة شيئًا عجيبًا؛ فالإسلام يدخل البلاد شرقًا وغربًا، وتُترجم معاني القرآن والسنة إلى لغات شتى، ويقبل الناس على هذا الدين رغم ما يُثار حوله من حملات وتشويه، تحقيقًا لوعد الله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.(125).

(**124**) أخرجه مسلم (1920) وسعيد بن منصور (2372) واللفظ له، وابن ماجه (10)، وأحمد (22403) باختلاف يسير.

(**125**) الفتح: 28

المبحث الثاني

الأخبار المتعلقة بالفتن الداخلية

مقتل عثمان رضي الله عنه.

موقعة الجمل

موقعة صفين.

موقعة الحرَّة

ظهور الخوارج.

مقتل عمار بن ياسر.

تنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما.

فتنة العراق ومركزيتها في الاضطرابات.

مقتل عثمان بن عفان

وَإِنَّ أول الفتن التي ابتلي بها الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُم خروج المنافقين عَلَى عُثمان بن عفان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، وطلبهم نزعه من الخلافة ثُمَّ قتله رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مظلومًا شهيدًا، وكانت تلك الحادثة بدايةَ اضطرابٍ عظيم وافتراقٍ وقع في الأمة.

وقد أخبر النبي ﷺ عُثمان ببعض معالم هذه الفتنة فقَال له: (يا عُثمان، إنه لعل اللَّه يقمّصُك قميصاً، فإن أرادوك عَلَى خلعه، فلا تخلعه لهم).[126]

ففي هذا الحديث إخبارٌ نبويٌّ بخلافة عثمان رضي الله عنه؛ إذ شبَّه الخلافة بالقميص الذي يُلبسه الله له، كما تضمَّن الإخبارَ بمحاولة قومٍ نزعه منها قهرًا، وأمره بعدم الاستجابة لهم، فوقع الأمر كما أخبر النبي ﷺ.

وقد التزم عثمان رضي الله عنه وصية النبي ﷺ، فلم يتنازل عن الخلافة حين حاصره الخارجون عليه، صبرًا واحتسابًا، وحقنًا لدماء المسلمين، حتى قُتل رضي الله عنه مظلومًا وهو يقرأ القرآن.

قَال المباركفوري: "يعني إن قصدوا عَزَّ لك عن الخلافة، فلا تعَزل نفسك عنها لأجلهم؛ لكونك عَلَى الحقّ، وكونهم عَلَى الباطل , ولهذا الحَدِيث فإن عُثمان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لم يعَزل نفسَهُ حين حاصرُوهُ يوم الدّار ".[127]

كما أنبأه رَسُول اللَّه ﷺ أنه يموت شهيداً، فعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في شأنه:« ائذَن لهُ وبشِّرهُ بالجنَّةِ على بلوَى تصيبُهُ »[(128)] وهي البَلِيَّةُ الَّتي صارَ بها شَهيدَ الدَّارِ مِن أذى المحاصَرةِ والقَتلِ وغَيرِه .

وكان مقتل عثمان رضي الله عنه من أعظم الفتن التي ترتبت عليها أحداث جسام في تاريخ الأمة، وقد عده العلماء من دلائل نبوته ﷺ؛ لإخباره الدقيق بوقوع ذلك قبل حدوثه بسنين طويلة.

---

126 رواه التِّرْمِذيّ ح (3705)، وأَحْمَد في المسند ح (24639)، وصححه الالباني في صحيح التِّرْمِذيّ ح (29233).

127 تحفة الاحوذي (137/10).

(128) أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (3988) بلفظه مطولا.

خروج صاحبة الجمل

و مِمَّا أخبر به النبي ﷺ من أخبار الفتن إخباره عن خروج إحدى أزواجه عَلَى جمل، وأنه يقتل حولها كثير من المسْلِمينَ .

عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُا قَال: قَال رَسُول اللَّه ﷺ : (أيتُكنَّ صاحبة الجمل الا دبب (أي كثير وبر الوجه)، يقتل حولها قتلى كثيرة، تنجو بعدما كادت).[129]

وقد تحققت نبوءته ﷺ حين سارت عائشة رَضِيَ اللَّه عَنْهُا جهة البصرة قبيل وقعة الجمل، فلما بلغت مياه بني عامر نبحت الكلاب، فقَالت: أي ماء هذا؟ قَالوا: ماء الحوأب، قَالت: ما أظنني الا أني راجعة.

فقَال لها الزبير: بل تقدمين، فيراك المسْلِمون، فيصلح اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بينهم، قَالت: إن رَسُول اللَّه ﷺ قَال لي ذات يوم: (كَيْفَ بإحداكن تنبح عَلَيْهِ ا كلاب الحوأب).[130] فتحقق ما أخبرها به النبي ﷺ بَعْدَ وفاته بخمس وعشرين سنة، ليكون إنباؤه دليل صدقه وبرهان نبوته.

وإذا كانت الفتنة قد عصفت رياحها بالكثيرين، فإن ثمَّة من لا تضره الفتنة ولا يشترك فيها، إنه مُحَمَّد بن مُسْلِمة، يقول حذيفة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ : ما أحد من النَّاس تدركه الفتنة الا أنا أخافها عَلَيْهِ ؛ الا مُحَمَّد بن مُسْلِمة، فإني سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقول: (لا تضرك الفتنة).[131]

ولما أطلَّت الفتنة برأسها حقق مُحَمَّد بن مُسْلِمة نبوءة النبي ﷺ عنه، فاعتزلها، وكسر سيفه، واتخذ سيفاً من خشب.[132]

---

129 رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح (37785)، قَال الهيثُمَّي في مجمع الزوائد: "رواه البزار ورجاله ثقات" (7/ 474).

130 رواه أَحْمَد ح (23733)، والحاكم (129/3)، وصححه، ووافقه الذهبي، و قَال ابن كثير في البداية والنهاية: "هذا إسناد عَلَى شرط الصحيحين ولم يخرجوه" (212/6).

131 رواه أبو داود ح (4663)، وصححه الالباني في مشكاة المصابيح ح (6233).

132 انظر العبر، الذهبي (9/1).

وينبغي التنبيه إلى أن أهل السنة يمسكون عمَّا شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، ويعتقدون فضل الجميع وعدالتهم، وأنهم كانوا مجتهدين، فمنهم المصيب ومنهم المخطئ، والخطأ مغفور لهم بما لهم من السوابق والفضائل رضي الله عنهم أجمعين.

موقعة صفين

ومن الفتن العظيمة التي أخبر بها النبي ﷺ ما وقع من الاقتتال بين طائفتين من المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، غير حرب الجمل ، ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: (لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّى يَقتَتِلَ فِئَتانِ فيَكونَ بينَهما مَقتَلةٌ عَظيمةٌ، دَعواهما واحِدةٌ).[133]

فالفئتان هما طائفة علي ومن معه، وطائفة معاوية ومن معه، على ما ذكر الحافظ ابن حجر في "الفتح[134].

قَال ابن كثير: "وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل وأصحاب صفين، فإنهما جميعاً يدعون إلى الاسلام، وإنَّمَا يتنازعون في شيء من أمور المِلك ومراعاة المصالح العائد نفعها عَلَى الامة والرعايا، وكان ترك القتال أوْلى من فعله، كما هو مذهب جمهور الصَّحَابَة".[135]

قَال ابن حجر: " قوله:(دعواهما واحدة) أي دينهما واحد، لأن كلا منهما كان يتسمى بالإسلام, أو المراد أَنَّ كلا منهما كان يدعي أنه المحق".[136]

وكون دعوى الطائفتين واحدة لا يمنع أَنَّ الحق مع إحداهما دون الاخرى، وقد أوضحه ﷺ، فشهد بأنه مع الطائفة التي تقاتل فرقة مارقة تخرج بين المسْلِمينَ يومئذ،قَال رَسُول اللَّه ﷺ :(تمرق مارقة عند فرقة من المسْلِمينَ ، يقتلها أولى الطائفتين بالحق).[137] فكان ذلك شهادة بالغة بأن الحق مع عليٍّ وأصحابه، لقتالهم لمارقي الخوارج في وقعة النهروان.

---

133 أخرجه البخاري (3609) واللفظ له، ومسلم (157) مختصراً باختلاف يسير

(134) "فتح الباري" (13/ 85).

135 البداية والنهاية (214/6).

136 فتح الباري (6/ 713).

137 رواه مُسْلِم ح (1065).

وأخرج البزار بسند جيد عن زيد بن وهبن قال: كنا عند حذيفة، فقال: كيف أنتم وقد خرج أهل دينكم يضر ب بعضهم وجوه بعض بالسيف؟ قالوا: فما تأمرنا؟ قال: انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي؛ فالزموها، فإنها على الحق [138].

قَال القرطبي: "وفي هذا الحَدِيث عَلَم من أعلام النبوة، حيث أخبر بما وقع قبل أن يقع". [139]

وقد وقعت الحرب بين الطائفتين في الموقعة المشهور بـ(صفين)[140] في ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة، وكان بين الفريقين أكثر من سبعين زحفًا، قتل نحو سبعين ألفًا من الفر يقين [141].

وما حصل من قتل بين علي ومعاوية لم يكن يريده واحد منهما، بل كان في الجيشين من أهل الأهواء متغلبون يحرضون على القتال،

(138) (صفين): موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، بقرب الرقة، آخر تخوم العراق وأول أرض الشام.
انظر: "معجم البلدان" (3/ 414)، وتعليق الشيخ محب الدين الخطيب على "العواصم" (ص162).

139 فتح الباري (12/ 314).

(140) انظر: "فتح الباري" (13/ 86)، و"معجم البلدان" (3/ 414، 415).

موقعة الجمل

ومن الفتن العظيمة التي وقعت بعد مقتل عثمان ﷺ ما وقع في معركة الجمل المشهورة بين علي ﷺ وعائشة وطلحة والزبير ﷺ.

وذلك أن الناس بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بايعوا عليًّا رضي الله عنه بالخلافة، ثم خرج طلحة والزبير إلى مكة، فالتقوا بعائشة رضي الله عنها، وكان مقصدهم المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، ورأوا المبادرة إلى ذلك قبل استقرار الأمر، بينما كان علي رضي الله عنه يرى تأخير القصاص حتى تستقر الدولة وتجتمع الكلمة، ثم يُقتص من القتلة بعد القدرة عليهم، فوقع الخلاف في طريقة معالجة الأمر، لا في أصل وجوب القصاص.

يرى أبو بكر بن العربي في كتابه "العواصم من القواصم" أن خروجهم إلى البصرة إنما كان للصلح بين المسلمين، وقال: "هذا هو الصحيح، لا شيء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار"[142].

وقد أخبر النبي ﷺ عليًا أنه سيكون بينه وبين عائشة أمر، ففي الحديث عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: " إنه سيكونُ بينَكَ وبينَ عائشةَ أمرٌ ". قال: أنا يا رسول الله! قال: "نعم". قال: أنا أشقاهُمْ يا رسولَ اللهِ. قال: "لا؛ ولكن إذا كان ذَلِكَ فارْدُدْها إلى مأْمَنِها " [143].

ومما يدلُّ على أن عائشة وطلحة والزبير لم يخرجوا للقتال، وإنما للصلح بين المسلمين ما رواه الحاكم من طريق قيس بن أبي حازم؛ قال: لما بلغت عائشة رضي الله عنها بعض ديار بني عامر؛ نبحت عليها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوآب [144]. قالت: ما أظنني إلا راجعة. فقال لها

---

(142) يرى أبو بكر بن العربي في كتابه "العواصم من القواصم" أن خروجهم إلى البصرة إنما كان للصلح بين المسلمين، وقال: "هذا هو الصحيح، لا شيء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار".
انظر: "العواصم" (ص151).

(143)أخرجه أحمد (27198)، والبزار (3881)، والطحاوي في ((مشكل الآثار)) (5612) باختلاف يسير.
والحديث حسن. انظر: "فتح الباري" (13/ 55). قال الهيثمي: "رواه أحمد، والبزار، والطبراني، ورجاله ثقات". "مجمع الزوائد" (7/ 234).

(144) (الحوأب): موضع قريب من البصرة، وهو من مياه العرب في الجاهلية، ويقع على طريق القادم من مكة إلى البصرة، وسمي بـ(الحوأب) نسبة لأبي بكر بن كلاب الحوأب، أو نسبة للحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية.
انظر: "معجم البلدان" (2/ 314)، وحاشية محب الدين الخطيب على "العواصم من القواصم" (ص148).

الزبير: لا بعدُ، تقدَّمي، فيراك الناس، فيصلح الله ذات بينهم. فقالت: ما أظنني إلا راجعة؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "كيفَ بإحداكُنَّ إذا نبحتها كلاب الحواب" (145).

وفي رواية للبزار عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: "أيتكن صاحبة الجمل الأدبب (146)، تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة، وتنجو من بعد ما كادت" (147).

قال ابن تيمية: "إن عائشة لم تخرج للقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها؛ تبكي حتى تَبُلَّ خِمارَها، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم؛ فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير، وقصدوا الاتفاق على المصلحة، وأنهم إذا تمكنوا؛ طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان على غير راض بقتل عثمان، ولا معينًا عليه؛ كما كان يحلف، فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت

---

(145) "مستدرك الحاكم" (3/ 120).

قال ابن حجر: "مسنده على شرط الصحيح". انظر: "فتح الباري" (13/ 55).

وقال الهيثمي: "رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح". "مجمع الزوائد" (234/7).

والحديث في "مسند الإمام أحمد" (6/ 52- بهامشه منتخب كنز العمال).

(146) (الأدبب)؛ أي: الأدب، وهو كثير وبر الوجه.

انظر: "النهاية" لابن الأثير (2/ 96).

(147) "فتح الباري" (13/ 55).

وقال ابن حجر: "رجاله ثقات".

وقد أنكر الإمام أبو بكر بن العربي حديث (الحوأب) في كتابه "العواصم من القواصم" (ص161)، وتابعه في ذلك الشيخ محب الدين الخطيب في تعليقه على "العواصم"، وذكر أن هذا الحديث ليس له موضع في دواوين الإسلام المعتبرة.

ولكن الحديث صحيح؛ صححه الهيثمي، وابن حجر؛ كما سبق، فقد قال الحافظ في "فتح الباري" (13/ 55) في كلامه على حديث الحوأب: "وأخرج هذا أحمد، وأبو يعلى، والبزار، وصححه ابن حبان، والحاكم، وسنده على شرط الصحيح".

وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة"، ورد على من طعن في صحة هذا الحديث، وبين من أخرجه من الأئمة.

انظر: "السلسلة" (م1/ جـ4 – جـ5/ 223، 233) (حديث رقم 475).

على قتله. وهو الصادق البار في يمينه، فخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن عليًا حمل عليهم، فحملوا دفعًا عن أنفسهم، فظن علي أنهم حملوا عليه، فحمل دفعًا عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة راكبة؛ لا قاتلتن ولا أمرت بالقتال، وهكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار" [148].

(148) "منهاج السنة" (2/ 185).

و- موقعة الحرَّة [149].

ثم تتابع وقوع الفتن بعد ذلك، ومن هذه الفتن موقعة الحرة المشهورة في عهد يزيد بن معاوية، سنة ثلاث وستين للهجرة، حين خرج أهل المدينة على يزيد، فأرسل إليهم جيشًا من أهل الشام، فوقعت المعركة عند موضع الحَرَّة قرب المدينة النبوية، وقُتل فيها خلق كثير من المسلمين، ومنهم جماعة من الصحابة وأبنائهم، ثم استُبيحت المدينة أيامًا، فكانت من أعظم الفتن التي أصابت المسلمين بعد عصر الخلفاء الراشدين. والتي استبيحت فيها مدينة رسول الله ﷺ ، وقُتِل فيها كثيرٌ من الصحابة رضي الله عنهم.

قال سعيد بن المسيب: "ثارت الفتنة الأولى، فلم يبق ممن شهد بدرًا أحد، ثم كانت الثانية، فلم يبق ممن شهد الحديبية أحد".

قال: وأظن لو كانت الثالثة؛ لم ترتفع وفي الناس طباخ" [150].

قال البغوي: "أراد بالفتنة الأولة مقتل عثمان، وبالثانية: الحرة" [151].

وقد عدَّ العلماء ما وقع في الحَرَّة من المصائب العظيمة التي ابتُليت بها الأمة، وكان ذلك من آثار الفتن والاختلاف، وسفك الدماء بين المسلمين، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(149) (الحرة): هي الحرة الشرقية، إحدى حرتي المدينة، وفيها كانت المعركة بين أهل المدينة وجيش يزيد بن معاوية سنة (63هـ)، وسببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد، فأرسل إليهم جيشًا بقيادة مسلم بن عقبة المري، فاستباح المدينة، وقتل نحو سبع مئة من الصحابة والمهاجرين والأنصار ومن غيرهم عشرة آلاف، فسماه السلف: مسرف. وقد أخذه الله وهو في طريقه إلى مكة متوجهًا من المدينة.

انظر: "البداية والنهاية" (8/ 217- 224)، و "معجم البلدان" (249/2).

(150) (طباخ)؛ أي: خير ونفع؛ يقال: فلان لا طباخ له؛ أي: لا عقل له.

انظر: "شرح السنة" للبغوي (14/ 396)، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

(151) "شرح السنة" (14/ 395).

ظهور الخوارج

وكان ﷺ قد تنبأ بظهور الخوارج، وحدد صفاتهم وسماتهم، لما جاءه ذو الخويصرة متهماً النبيَّ ﷺ بالظلم في قسمة الغنائم قَال: (إن له أصحاباً، يحقِر أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... آيَتُهُم رجلٌ أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثلُ البضعة تدردر، ويخرجون عَلَى خير فرقةٍ من النَّاس).

قَال أبو سعيد الْخُدْرِيّ : (أشهد أني سمعت هذا الحَدِيث من رَسُول الله ﷺ , وأشهد أَنَّ علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل، فالتُمِس، فأتي به حين نظرت إِلَيْهِ عَلَى نعت النبي ﷺ الَّذِيْ نعته).[152]

قَال النووي: "وفي هذا الحَدِيث معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ ، فإنه أخبر بهذا، وجرى كله كفلق الصبح، ويتضمن بقاء الامة بعده ﷺ ، وأَنَّ لهم شوكة وقوة، خلاف ما كان المبطلون يشيعونه، وإنهم يفترقون فرقتين، وأنه يخرج عَلَيْهِ طائفة مارقة، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد, ويبالغون في الصلاة والقراءة, ولا يقيمون بحقوق الاسلام، بل يمرقون منه, وأنهم يقاتلون أهل الحق, وأَنَّ أهل الحق يقتلونهم، وأَنَّ فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، فهذه أنواع من المعجزات جرت كلها، ولله الحمد".[153]

---

152 رواه البُخَارِي ح (3610)، و مُسْلِم ح (1064).

153 شرح صحيح مُسْلِم (7/166-167).

مقتل عمار بن ياسر

و ثمَّة ميزان آخر للفتنة، إنه عمار بن ياسر ، رآه النبي ﷺ عند بناء مسجده يحمل لِبنَتين لبنتين، فيما كان الصَّحَابَة يحملون لِبنة لِبنة، فجعل ﷺ ينفض التراب عنه، ويقول: (ويح عمار، تقتلُه الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار)، قَال أبو سعيد: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن.[154]

قَال النووي في شرحه للحديث: " وفيه معجزة ظاهرة لرسول اللَّه ﷺ من أوجه: مِنْهَا أَنَّ عمارًا يموت قتيلاً, وأنه يقتله مُسْلِمون, وأنهم بُغاةٌ, وأَنَّ الصَّحَابَة يقاتِلون, وأنهم يكونون فِرقتين: باغية, وغيرها, وكل هذا قد وقع مثل فلق الصبح, صلى اللَّه وسلم عَلَى رَسُوله الَّذِيْ لا ينطق عن الهوى, إن هو الا وحي يوحى". [155]

و قَال ابن عبد البر: "وتواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قَال: (تقتل عمارَ الفئةُ الباغية)، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ ، وهو من أصح الأَحَادِيث". [156]

وقد قتِل عمارُ في جيش عليٍّ سنة سبع وثلاثين للهجرة النبوية، فكان دليلاً آخر عَلَى صحة موقف أبي الحسن علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ، وهو أيضاً دليل عَلَى صحة نبوة نبينا ﷺ ، وإلا فمن ذا الَّذِيْ أخبر النبي ﷺ بما يقع بَعْدَ وفاته من تمايز المسْلِمينَ إلى فئتين، وأَنَّ الباغية منهما تقتل عماراً؟ لا ريب أنه وحي اللَّه الَّذِيْ يعلم السر وأخفى.

---

154 رواه البُخَارِي ح (428)، و مُسْلِم ح (5192) واللفظ للبخاري.

155 شرح النووي عَلَى صحيح مُسْلِم (40/8).

156 الاستيعاب (481/2).

تنازل الحسن لمعاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُا

وكما أخبر ﷺ عن الفتن التي تفرق المسْلِمينَ؛ فإنه أنبأ عن التئام شمل المسْلِمينَ عَلَى يد الحسن بن علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُم،يقول أبو بكرة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ:بينا النبي ﷺ يخطب؛ جاء الحسن، فقَال عَلَيْهِ الصلاة والسلام: (ابني هذا سيد, ولعل اللَّه أن يصلح به بين فئتين من المسْلِمينَ).[157]

وقد كان كما أخبر ﷺ ، فقد تنازل الحسن لمعاوية عن الملك عام أربعينَ من الهجرة، فسُمِّيَ عامَ الجماعة لاجتماع المسْلِمينَ فيه عَلَى خليفة واحد بَعْدَ طول فرقة واختلاف.

قَال ابن حجر: "وفي هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي؛ فإنه ترك الملك، لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة, بل لرغبته فيما عند اللَّه، لما رآه من حقن دماء المسْلِمينَ ، فراعى أمر الدين ومصلحة الامة ".[158]

وفي ذلك كله شهادات تترى عَلَى نبوة النبي ﷺ الَّذِيْ خصه اللَّه بهذه الاخبار من غيبه، فتحققت، لأنه ﷺ

أرانا الهدى بَعْدَ العمى فقلوبنا به موقنات أَنَّ ما قَال واقع

---

157 رواه البُخَارِي ح (7109).

158 فتح الباري (71/13).

فتنة العراق ومركزيتها في الاضطرابات

دلت جملة من الأحاديث النبوية على أن جهة المشرق تكون موطنًا لكثير من الفتن والاضطرابات، وقد فهم جماعة من أهل العلم أن المراد بذلك العراق وما وراءه بالنسبة إلى أهل المدينة؛ لأن العراق يقع شرق المدينة النبوية، ووردت في ذلك جملة من الأَحَادِيث :

1-عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إن الفتنة تجيءُ من ههنا) وأومأ بيده نحو المشرق. (159)

2-وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ بِيَدِهِ يَؤُمُّ الْعِرَاقَ : (هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا ، هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) (160) .

3-وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا . قَالَ قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا . قَالَ قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ : (هُنَاكَ الزَّلازِلُ وَالْفِتَنُ وَ بِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) (161)

4-عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ يَقُولُ : (أَلا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا أَلا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) (162)

5-وفي لفظ لمسلم عَنْ سَالِمِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلَكُمْ عَنْ الصَّغِيرَةِ وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ سَمِعْتُ أَبِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ

---

(159) رواه مُسْلِم في الفتن (18 / 32 بشرح النووي) ، 4/ 2229 بتحقيق مُحَمَّد عبد الباقي .

(160) أَخرَجَه أَحْمَد (9 / 105 بتحقيق أَحْمَد شاكر) ، وإسناده صحيح كما قال محققه ، وقد أَخرَجَه مُسْلِم في الفتن (18 / 31 بشرح النووي) دون قول ابن عمر (يشير بيده يَؤُمُّ العراق) .

(161) أَخرَجَه البُخَارِي في الفتن ، باب قول النبي ﷺ (الفتنة من قبل المشرق) (13/ 49 الفتح) ، والتِّرْمِذيّ في المناقب ، باب في فضل الشام واليمن : 5 / 733 رقم 3953 ، و أَحْمَد : 2 / 118 .

(162) رواه مُسْلِم

مِنْ هَاهُنَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ...) (163)

6-وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ فَقَالَ : (رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) يَعْنِي الْمَشْرِقَ (164)وقد ذكر الخطابي . رحمه الله . أن النبي ﷺ ضرب المثل بقرني الشيطان فيما لايحمد من الأمور (165)

7-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (الإِيمَانُ يَمَانٍ وَ الْكُفْرُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ .. يَأْتِي الْمَسِيحُ إِذَا جَاءَ دُبُرَ أُحُدٍ صَرَفَتْ الْمَلائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ وَ هُنَالِكَ يَهْلَكُ) (166)

معنى النجد :

قال ابن منظور في لسان العرب (والنجد في لغة العرب بفتح أوله ، وسكون ثانيه قِفَاف الْأَرْض وصِلابها وما غَلُظَ مِنْهَا وأشرفَ وارتفع واستوى) (167)

وَقَالَ الخطابي : (ومن كان بالمدينة كان نجدُه بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهلها .) (168)وذكر نحوه الكرماني : (ومن كان بالمدينة الطيبة صلى الله عَلَى ساكنها ، كان نجده بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهلها) (169)وبنحو ماتقدم ذكر شرَّاح الحَدِيث كابن حجر والقسطلاني والعيني والمباركفوري وغيرهم .

فلفظ «نجد» اسمٌ لكل أرض مرتفعة، وليس اسمًا خاصًّا ببلد معين، وأن المراد بها هنا جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة.

---

(163) رواه مُسْلِم

(164) رواه مُسْلِم

(165) الفتح : 6 / 406 .

(166) رواه التِّرْمِذيّ

(167) لسان العرب : 3/ 413 ، معجم البلدان : 5/ 261 .

(168) أعلام الحَدِيث : 4 / 2330 .

(169) صحيح البُخَارِي بشرح الكرماني : 24 / 168 .

المراد بمشرق المدينة:

ذكر الخطابي أن بادية العراق ونواحيها هي مشرق أهل المدينة[170]. وذكر نحوه الحافظ ابن حجر رحمه الله [171].

ولاشك أن الْأَرْض الواقعة في شرق المدينة مبدأ الفتنة والفساد ، ومركز الكفر والإلحاد ، ومصدر الابتداع والزيغ والعناد ، كما نوّه ابن حجر وأفاد [172]

والحاصل : أن المشرق اختص بمزيد من تسلط الشيطان عليه ، وأنه رأس الكفر ومنبع الفساد ، وبؤر الإلحاد والعناد ، فجهته ممقوتة غير محمودة ، فلذلك ضرب النبي ﷺ به المثل بقرني الشيطان. وقد تسلط الشيطان وأعوانه عَلَى تلك الجهة أيَّما تسلط ، ومن تسلطه عليه نتج الفساد العريض ، والفتن العاصفة المهلكة ، عبر الأزمان الغابرة والمعاصرة

والفتن التي وقعت في بلاد العراق كثيرة مِنْهَا :

1- مقتل عثمان رضي الله عنه:

فقد خرجت طوائف من أهل الفتنة من العراق وغيره حتى حاصروا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتلوه ظلمًا وعدوانًا،وهو في داره رضي الله عنه [173]

2- وقعتا الجمل وصفين:

وقد أخبر النبي ﷺ باقتتال طائفتين عظيمتين من المسلمين، فقال: (لا تَقُومُ السَّاعَة حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ) [174] وقد وقع ذلك في الفتنة التي جرت بين أصحاب علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(**170**) أعلام الحَدِيث في شرح صحيح البُخَارِي : 4 / 2330 ، ونقله عنه الحافظ في الفتح : 13 / 51 .

(**171**) الفتح : 13 / 16 .

(**172**) الفتح : 13 / 51 .

(**173**) فصّل في ذلك الحافظ ابن كثير . رحمه الله . في البداية والنهاية 7 / 170 . 191 ، فليُنظر هناك .

(**174**) أَخرَجَه البُخَارِي في الفتن باب (بدون) 13 / 88 رقم 7121 مع الفتح ، و مُسْلِم في الفتن وأشراط الساعة (18 / 13 بشرح النووي) واللفظ له .

ويعتقد أهل السنة أن الجميع كانوا مجتهدين، وأن عليًّا رضي الله عنه كان أقرب إلى الحق. **وللنووي** كلام نفيس في الباب حيث قَالَ : (واعلم أن الدماء التي جرت بين الصَّحَابَة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد. ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم ، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق ، ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله . وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ لأنه لاجتهاد ، والمجتهد إذا أخطأ لاإثم عليه ، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب . هذا مذهب أهل السنة ، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصَّحَابَة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ، ثم تأخروا عن مساعدته منهم). [175]

3–ظهور الخوارج والفرق:

ومن العراق خرجت فرقة الخوارج، كما وقع فيه ظهور عدد من الفرق الكلامية والباطنية عبر التاريخ. ومن أشر ماظهر من الفرق هناك : فرقة الحرورية المارقة من الخوارج ، وكذلك الروافض ، والباطنية ، والقدرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، وغيرها من الفرق الزائفة المشهورة التي مرقت عن سبيل المؤمنين [176] وفي عام 278 هـ انبعثت مِنْهَا حركة القرامطة .

4– قتل أهل العراق للحسين :

وقد وقع مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه بأرض العراق بعد أن خذله كثير ممن كاتبه من أهل الكوفة. [177]

(**175**) شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 18 / 11 .

(**176**) الْيَوْم الآخر : 1 / 176 ، الفتن في الآثار والسنن : 98 ، أشراط الساعة : 74 ، العواصم من الفتن : 18 .

(**177**) العواصم من الفتن : 18 .

5- حسر الفرات عن جبل من ذهب

ومن أشراط الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ ما يكون عند نهر الفرات بالعراق، من انحساره عن كنز أو جبل من ذهب يقتتل الناس عليه قتالًا شديدًا. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (لا تَقُومُ السَّاعَة حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو) (178)

9- خروج الدجال :

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ .. فَقَالَ : (إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ) (179)

وهذه النصوص لا تعني ذمَّ العراق وأهله على الإطلاق، فقد كان العراق عبر التاريخ من أعظم بلاد الإسلام علمًا وفقهًا وجهادًا، وإنما المقصود الإخبار بكثرة وقوع الفتن فيه، كما وقع ذلك قدرًا عبر القرون، والله أعلم.

---

(178) رواه مُسْلِم

(179) رواه مُسْلِم

المبحث الثالث

الإخبار بوفاة بعض الأشخاص وأحوالهم

إخباره ﷺ بوفاته.

وفاة فاطمة رضي الله عنها بعده.

الشهادة لعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير.

مقتل الحسين رضي الله عنه.

خبر أبي ذر رضي الله عنه.

موت النجاشي.

خبر أم ورقة.

هلاك أبي لهب وزوجه على الكفر.

إخباره ﷺ بوفاته

عَن عَوفِ بن مالِكٍ رَضيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: (اعْدُدْ سِتًّا بينَ يَدَيِ السَّاعةِ: موتي) (180).

وقال الصَّنعانيُّ: (قَد جَعل ﷺ موتَه مِن أشراطِها، وهَذا يَدُلُّ على أنَّه ﷺ بُعِثَ وقَد قَرُبَت أشراطُ السَّاعةِ) (181).

وتقبل فاطمة بنت النبي ﷺ تمشي ، فيقول لها أبوها: (مَرحَبًا بابنَتي)، تقول أم المؤمنين عائشة أجلَسَها عن يَمينِه، أو عن شِمالِه، ثُمَّ إنَّه أسَرَّ إليها حَديثًا، فبَكَت فاطِمةُ، ثُمَّ إنَّه سارَّها فضَحِكَت أيضًا، فقُلتُ: لَها: ما يُبكيكِ؟ فقالت: ما كُنتُ لأُفشيَ سِرَّ رَسولِ اللهِ ﷺ، فقُلتُ: ما رَأيتُ كاليَومِ فرَحًا أقرَبَ مِن حُزنٍ، فقُلتُ لَها حينَ بَكَت: أخَصَّكِ رَسولُ اللهِ ﷺ بحَديثِه دونَنا، ثُمَّ تَبكينَ؟ وسَألتُها عَمَّا قال فقالت: ما كُنتُ لأُفشيَ سِرَّ رَسولِ اللهِ ﷺ، حتَّى إذا قُبِضَ سَألتُها، فقالت: إنَّه كان حدَّثَني أنَّ جِبريلَ كان يُعارِضُه بالقُرآنِ كُلَّ عامٍ مَرَّةً، وإنَّه عارَضَه به في العامِ مَرَّتَينِ، ولا أُراني إلَّا قد حَضَرَ أجَلي، وإنَّكِ أوَّلُ أهلي لُحوقًا بي، ونِعمَ السَّلَفُ أنا لَكِ، فبَكَيتُ لذلك، ثُمَّ إنَّه سارَّني، فقال: ألا تَرضَينَ أن تَكوني سَيِّدةَ نِساءِ المؤمِنينَ، أو سَيِّدةَ نِساءِ هذه الأُمَّةِ فضَحِكتُ لذلك. (182)

وفي رواية أخرى أنها قَالت: (فأخبرني أنه يُقبض في وجعه الَّذِيْ توفي فيه؛ فبكيت، ثُمَّ سارَّني، فأخبرني أني أولُ أهلِ بيته أتبعُه؛ فضحكت). 183

وفي هذا الحَدِيث يخبر النبي ﷺ بثلاث غيوب، أولُها: اقترابُ أجله، وقد مات عَلَيْهِ الصلاة والسلام في تلك السنة.

---

(180) أخرجه البخاري (3176) مُطَوَّلًا.

(181) يُنظر: ((الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة)) لصديق حسن خان (ص: 55).

(182) أخرجه مُسْلِم (2450).و النسائي في ((الكبرى)) (8310) بلفظه، وأحمد (26413)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (22/ 418) (1032) باختلاف يسير.

183 رواه البُخَارِي ح (3626)، و مُسْلِم ح (2450).

وثانيها: إخبارُه ببقاء فاطمة بعده، وأنها أولُ أهل بيته وفاة. وقد توفيت بعده ﷺ بستة أشهر فقط، فكانت أولَ أهل بيته وفاة.

وثالثها: أنها سيدةُ نساء أهل الجنة، رَضِيَ اللَّه عَنْهُا.

قَال النووي: "هذه معجزة ظاهرة له ﷺ, بل معجزتان, فأخبر ببقائهابعده, وبأنها أول أهله لحاقاً به, ووقع كذلك, وضحكت سروراً بسرعة لحاقها".[184]

184 شرح النووي (5/16).

وفاة فاطمة رضي الله عنها بعده

ومن الأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ التي تحققت كما أخبر النبيُّ ﷺ إخبارُه ابنته فاطمة رضي الله عنها بأنها أولُ أهل بيته لحوقًا به بعد وفاته، وقد وقع الأمر كما أخبر ﷺ.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

«أقبلت فاطمة تمشي كأنَّ مشيتها مشيةُ النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثًا فبكت، ثم أسرَّ إليها حديثًا فضحكت، فقلت لها: خصَّك رسولُ الله ﷺ من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها عمَّا قال، فقالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سرَّه. فلما توفي رسول الله ﷺ قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني قالت: أسرَّ إليَّ في المرة الأولى أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضه العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك، فبكيت. ثم أسرَّ إليَّ أنَّك أول أهل بيتي لحوقًا بي، فضحكت» .

ففي هذا الحديث إخبارٌ صريح من النبي ﷺ بأن فاطمة رضي الله عنها ستكون أولَ أهل بيته وفاةً بعده، وقد وقع ذلك كما أخبر؛ إذ توفيت رضي الله عنها بعده بستة أشهر تقريبًا.

قال ابن حجر رحمه الله:

«وفي الحديث منقبة ظاهرة لفاطمة رضي الله عنها، ومعجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخباره بما وقع».

وقد كان لفاطمة رضي الله عنها من شدة الحزن على وفاة أبيها ﷺ ما أثر في صحتها وحياتها، حتى كانت أول من لحق به من أهل بيته، تحقيقًا لما أخبر به النبيُّ الكريم ﷺ.

وفي هذا الخبر دلالة واضحة على صدق نبوته ﷺ؛ إذ أخبر بأمرٍ غيبيٍّ مستقبل فوقع مطابقًا لما أخبر به، كما يظهر فيه ما كان بينه وبين ابنته فاطمة رضي الله عنها من المحبة والقرب والمكانة العظيمة.

الشهادة لعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير

ومن دلائل نبوته ﷺ وإخباره بالغيب ما أخبر به من شهادة عددٍ من كبار أصحابه رضي الله عنهم، وأنهم سيُقتلون ظلمًا في سبيل الله، فيموتون شهداء كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

وقد صعد رَسُول اللَّه ﷺ عَلَى حراء، هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعُثمان وعليُ وطلحةُ والزبيرُ، فتحركت الصخرة، فقَال رَسُول اللَّه ﷺ :(اهدأ، فما عليك الا نبيٌ أو صديقٌ أو شهيد).[185] فشهد ﷺ لنفسه بالنبوة، ولأبي بكر بالصديقية، ولعُثمان وعليَ وطلحةَ بالشهادة.

قَال النووي: " وفي هذا الحَدِيث معجزاتٌ لرسول اللَّه ﷺ : مِنْهَا إخبارُه أنّ هؤلاء شهداء, وماتوا كلُّهم غيرَ النبي ﷺ وأبي بكر شهداء ; فإنّ عمرَ وعُثمان وعليّاً وطلحة والزّبير رَضِيَ اللَّه عَنْهُ م قُتلوا ظلماً شهداء ; فقتلُ الثلاثةِ (أي عمر وعُثمان وعلي) مشهور, وقُتلَ الزّبير بوادي السّباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال, وكذلك طلحة، اعتزل النَّاس تاركاَ للقتال, فأصابه سهم، فقتله, وقد ثبت أنّ من قُتل ظلماً فهو شهيدٌ".[186]

وقد بشّر النبي ﷺ عمر بالشهادة مرة أخرى حين رآه يلبس ثوباً أبيضَ فقَال له: ((أجديدٌ ثُوبُك أم غسيل؟)) قَال: لا، بل غسيلٌ. فقَال النبي ﷺ :(اِلبس جديداً، وعِش حميداً، ومُت شهيداً).[187]

وقد تحقق ذلك حين قتله أبو لؤلؤة المجوسي وهو يؤم المسلمين في صلاة الفجر سنة ثلاثٍ وعشرين للهجرة، فكان مقتله من أعلام نبوته ﷺ.

وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد أخبره النبي ﷺ بما يصيبه من البلاء والفتنة، وأمره بالصبر، فقال له: «يا عثمان، لعل الله يُقمِّصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم».

---

185 رواه مُسْلِم ح (2417).

186 شرح النووي عَلَى صحيح مُسْلِم (190/15).

187 رواه أَحْمَد ح (5363)، وابن ماجه ح (3558)، وصححه الالباني في صحيح ابن ماجه ح (2863).

ولما استأذن عثمان على النبي ﷺ وهو جالس على بئر أريس، قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه::(ائذن له ، وبشره بالجنة عَلَى بلوى تصيبه).

يقول أبو موسى: فجئتُه، فقلت له: ادخل، وبشّرك رَسُول اللَّه ﷺ بالجنة عَلَى بلوى تصيبُك.[188]

وفي رواية أن عُثمان (حمِد اللَّه، ثُمَّ قَال: اللَّه المستعان).[189] أي حمِد اللَّه عَلَى بشارة النبي له بالجنة، وطلب من اللَّه العون عَلَى بلائه حين تصيبه الشهادة.

وتحَقَّق ذلك حين حُوصِر رضي الله عنه في داره، ثم قُتل مظلومًا شهيدًا وهو يقرأ القرآن.

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد أخبره النبي ﷺ أنه سيُقتل بضربة على رأسه تخضب لحيته بالدم، فقال له: إنك ستُضرب ضربةً ها هنا، وضربةً ها هنا – وأشار إلى صُدغَيه – فيسيل دمها حتى تختضب لحيتُك، ويَكُوْن صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود).[190]

ولأجل هذا الحَدِيث ما كان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يخاف عَلَى نفسه الهلكة في مرضه، فلسان حاله يردد ما قَاله عبد اللَّه بن رواحة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ :

وفينا رَسُول اللَّه يتلو كتابَه إذا انشق معروف من الصبح ساطع

أرانا الهدى بَعْدَ العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قَال واقع

وقد وقع ذلك كما أخبر ﷺ، إذ قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي سنة أربعين للهجرة.

وكذلك كان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما من الشهداء، فقد قُتل طلحة يوم الجمل بسهم أصابه، وقُتل الزبير بوادي السباع بعد انصرافه من القتال واعتزاله الفتنة.

وفي هذه الأخبار النبوية معجزة ظاهرة؛ إذ أخبر النبي ﷺ بما سيقع لهؤلاء الكرام قبل وقوعه بسنين، فوقعت الوقائع طبق ما أخبر به ﷺ، فكان ذلك من دلائل صدقه ونبوته.

---

188 رواه البُخَارِي ح (3674).

189 رواه البُخَارِي ح (3693).

190 رواه الحاكم (122/3)، والطبراني في الكبير ح (173). قَال الهيثَمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد (188/9).

مقتل الحسين رضي الله عنه

ومن الذين أخبر النبي ﷺ باستشهادهم سبطه وريحانته الحسين بن علي رضي الله عنه، فقد أنبأ ﷺ بمقتله قبل وقوعه بسنوات، وبيَّن موضع استشهاده، وذلك من دلائل نبوته وإخباره بالغيب الذي أطلعه الله عليه.

فعن بعض أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أن النبي ﷺ قال:«لقد دخل عليَّ البيتَ مَلَكٌ لم يدخل عليَّ قبلها، فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئتَ أريتُك من تربة الأرض التي يُقتل بها».قال: «فأخرج تربةً حمراء». [191]

وقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ، فقُتل الحسين بن علي رضي الله عنه بأرض كربلاء من العراق سنة إحدى وستين للهجرة، في الحادثة المشهورة التي كانت من أعظم الفتن والمصائب التي وقعت في تاريخ الأمة.

وفي هذا الخبر معجزة ظاهرة للنبي ﷺ؛ إذ أخبر بمقتل الحسين رضي الله عنه، وأُري تربة الأرض التي يُقتل فيها قبل وقوع ذلك بزمن طويل، فوقع الأمر كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، وذلك دليل على أن ما جاء به وحيٌ من عند الله العليم الخبير.

---

191 رواه أَحْمَد في المسند ح (25985)، والحاكم (194/3)، ووافقه الذهبي عَلَى تصحيحه، و قَال الهيثُمَّي: رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (301/9)، وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة ح (882).

خبر أبي ذر رضي الله عنه

ومن دلائل نبوته ﷺ ما أخبر به عن أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، وما وقع له كما وصفه النبي ﷺ تمامًا.

ففي غزوة تبوك تخلَّف أبو ذر رضي الله عنه عن الجيش بسبب بطء بعيره، فأخذ متاعه وحمله على ظهره، وجعل يمشي وحده في الصحراء ليلحق برسول الله ﷺ وأصحابه.

وبينما المسلمون ينظرون في الطريق، رأوا رجلًا يمشي منفردًا من بعيد، فقالوا: يا رسول الله، هذا رجل يمشي على الطريق. فقال النبي ﷺ: (كن أبا ذر)، فلما تأمله الصَّحَابَة، قَالوا: يا رَسُول اللَّه، هو واللهِ أبو ذر.فَقال ﷺ: (رحم اللَّه أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده).

وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة؛ فقد عرف النبي ﷺ أنه أبو ذر قبل وصوله، ثم أخبر بما سيكون من أمره في آخر حياته، وأنه سيموت منفردًا بعيدًا عن الناس.

وقد تحقق ذلك كما أخبر ﷺ؛ إذ عاش أبو ذر الغفاري رضي الله عنه آخر عمره في الربذة، فلما حضرته الوفاة أوصى امرأته وغلامه أن يغسلاه ويكفناه، ثم يضعاه على قارعة الطريق، ويقولا لأول ركب يمر: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ.

فلما مات رضي الله عنه مرَّ ركبٌ من أهل الكوفة، وفيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فلما رأوه بكى ابن مسعود وقال:صدق رَسُول اللَّه ﷺ (يرحم اللَّه أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده)، فنزل ابن مسعود فولِيَ دفْنه. رَضِيَ اللَّه عَنْهُما.[192]

وفي رواية أن أم ذر بكت لما حضرته الوفاة، فقَال لها: ما يبكيك؟ قَالت: وما لي لا أبكي، وأنت تموت بفلاة من الْأَرْض، ولا يدَ لي بدفنك، وليس عندي ثوب يسعُك، فأكفِنك فيه؟

قَال: فلا تبكي وأبشري، فإني سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقول لنفر من أصحابه وأنا فيهم:(ليموتَن رجل منكم بفلاة من الْأَرْض، يشهده عصابة من المؤمنين)، وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية أو جماعة، وإني أنا الَّذِيْ أموت بفلاة ، والله ما كذَبت ولا كُذِبت.[193]

---

192 رواه الحاكم في المستدرك (52/3)، وحسّن إسناده ابن كثير في البداية والنهاية (9/5).

193 رواه أَحْمَد ح (20865)، وابن حبان ح (6670)، وحسّنه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب ح (3314).

لقد بشرها رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بمقدَم من يعينها عَلَى دفنه، لأن النبي ﷺ قَال متنبئاً عن ذلك الَّذِيْ يموت بفلاة بأنه (يشهده عصابة من المؤمنين).

وجزْمُ أبي ذر أنه ذلك الرجل ، لأن الباقين ممن شهدوا هذا القول قد ماتوا في قرية أو جماعة، ولم يبق الا أبو ذر ، وهو الَّذِيْ حقق ما أخبر عنه مُحَمَّد ﷺ .

فمن ذا الَّذِيْ أخبر مُحَمَّد اً ﷺ بموت أبي ذر وحيداً؟ ومن الَّذِيْ أخبره بمقدم جماعة من المؤمنين يتولون تجهيزه ودفنه؟ إنه عالم الغيب والشهادة العليم الخبير.

موت النجاشي

ومن دلائل نبوته ﷺ إخبارُه عن موت النجاشي في اليوم الذي مات فيه بأرض الحبشة ، مع بُعد المسافة بين المدينة والحبشة، وعدم وجود وسائل تنقل الأخبار السريعة في ذلك الزمان.

يقول أبو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ : (نعى رَسُول اللَّه ﷺ النجاشي فِي الْيَوْم الَّذِيْ مات فيه، خرج إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربعاً). [194]

قَال المباركفوري: "وفيه عَلَمٌ من أعلام النبوة لأنه ﷺ أعلمهم بموته في الْيَوْم الَّذِيْ مات فيه، مع بُعدِ ما بين أرض الحبشة والمدينة". [195]

والنجاشي هو ملك الحبشة الذي آوى المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم، وأكرم وفادتهم، ومنع عنهم أذى قريش، وكان ملكًا عادلًا، وقد أسلم رضي الله عنه وكتم إسلامه عن قومه.

وقد أخبر النبي ﷺ الصحابةَ بوفاته في اليوم نفسه الذي مات فيه، ثم خرج بهم إلى المصلى فصلى عليه صلاة الغائب، فكان ذلك إخبارًا بغيبٍ لم يكن لأحدٍ أن يعلمه في ذلك الوقت إلا بوحيٍ من الله تعالى.

قال النووي رحمه الله:«وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ لإعلامه بموته في يومه».

وقال ابن حجر رحمه الله:«وفي الحديث دليل على صحة إسلام النجاشي، وعلى جواز الصلاة على الغائب، وفيه منقبة ظاهرة للنبي ﷺ بإخباره عن موته قبل وصول الخبر».

وقد تحقق هذا الخبر كما أخبر به النبيُّ ﷺ، فكان من دلائل صدقه، ومن البشارات التي تؤكد أن الله تعالى كان يطلعه على ما شاء من الغيب تأييدًا لنبوته وإقامةً للحجة على الخلق.

---

194 رواه البُخَارِي ح (1254).

195 تحفة الاحوذي (115/4).

خبر أم ورقة

ومن دلائل نبوته ﷺ ما أخبر به عن استشهاد أم ورقة بنت عبد الله رضي الله عنها، فقد تنبأ لها بالشهادة قبل وقوعها بسنوات.

وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ ، لما غَزا بدرًا قَالت: يا رسولَ اللَّهِ ، ائذَنْ لي في الغزوِ معَكَ أمرِّضُ مَرضاكم ، لعلَّ اللَّهَ أن يرزُقَني شَهادةً ، قالَ : قرِّي في بيتِكِ فإنَّ اللَّهَ تعالى يرزقُكِ الشَّهادةَ ، قالَ : فَكانت تسمَّى الشَّهيدةُ) [196].

وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويكرمها، ويقول ﷺ لأصحابه: (انطلِقوا بنا نزورُ الشهيدةَ) [197].

وقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت أم ورقة قد دبَّرت غلامًا لها وجاريةً، أي جعلت عتقهما بعد وفاتها، فطمعا في التعجيل بحريتهما، فقتلاها غيلةً، إذ خنقاها بقطيفة حتى ماتت رضي الله عنها. [198]

فكانت وفاتها شهادة غيلة دون سائر الميتات، وهو أمر يندر في النساء وكما أخبر النبي ﷺ، ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:«صدق رسول الله ﷺ».

وفي هذه القصة معجزة ظاهرة من معجزات النبوة؛ إذ أخبر ﷺ بأنها ستنال الشهادة وهي امرأة مقيمة في بيتها، ثم وقع الأمر كما أخبر، فكانت آيةً من آيات صدقه ﷺ، ودليلًا على أن الله تعالى كان يطلعه على ما شاء من الغيب.

---

196 أخرجه أبو داود (591) واللفظ له، وأحمد (27282)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (6/ 382) وانظر :صحيح أبي داود للالباني (591) .

197 صحيح ابن خزيمة(1676) .

198 رواه أَحْمَد ح (26538)، وأبو داود ح (571)، وحسنه الالباني في صحيح أبي داود ح (552).

هلاك أبي لهب وزوجه على الكفر

ومن دلائل النبوة وأخبار الغيب التي أخبر بها النبي ﷺ ما يتعلق بعمه أبو لهب وزوجه أم جميل، إذ أخبر القرآن الكريم ببقائهما على الكفر، وأنهما من أهل النار، وذلك في قوله تعالى:

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) [199]

فقد نزلت هذه السورة في حياة أبو لهب وزوجه، وفيها تصريح بهلاكهما على الكفر، مع أن باب التوبة كان مفتوحًا، وكان بإمكانهما ـ لو كان القرآن من عند غير الله ـ أن يُظهرا الإسلام نفاقًا لإبطال دعوى القرآن، لكن الله تعالى أخبر أنهما لن يؤمنا، فوقع الأمر كما أخبر سبحانه، وماتا على الكفر.

وفي هذا آية عظيمة من آيات النبوة؛ إذ كيف يجزم النبي ﷺ بأن عمه الأقرب إليه سيموت كافرًا، مع طول المدة بعد نزول السورة، إلا بوحي من الله تعالى؟

قَال ابن كثير: " قَال العُلَماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح عَلَى النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالى: (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الايمان، لم يُقَيَضْ لهما أن يؤمنا، ولا واحدٌ منهما، لا باطناً ولا ظاهراً، لا مُسِراً ولا معلناً، فكان هذا من أقوى الادلة الباهرة الباطنة عَلَى النبوة الظاهرة". [200]

فكانت هذه السورة من أعظم الشواهد على صدق الوحي، وأن القرآن كلام الله تعالى، وأن محمدًا ﷺ رسول الله حقًّا.

---

199 المسد: 1-5

200 تفسير القرآن العظيم (366/4).

المبحث الرابع

الأخبار المتعلقة بالأمم والشعوب

قتال المسلمين للترك والتتار.

صفات الترك في السنة.

قتال المسلمين للعجم.

قتال المسلمين لليهود

الأَخْبَارُ النَبَوِيَّةُ الْصادقة في الأَحْدَاثِ الْعَالمَيَّةِ المقْبِلَةِ

قِتالُ المسلمين للتُّرْكِ والتتار[201]

ومن الأخبار النبوية التي تحققت على مرِّ التاريخ ما أخبر به النبي ﷺ من قتال المسلمين للترك، وما يكون لهم من الشدة والبأس، وقد وقع ذلك كما أخبر ﷺ، ثم ظهر بعد ذلك التتار الذين كانوا من أعظم الأمم فسادًا وتدميرًا في تاريخ المسلمين.

ولفظ «الترك» في النصوص الشرعية لا يختص بسكان دولة تركيا المعاصرة، بل يدخل فيه أقوام وأعراق متعددة كانت تقطن أواسط آسيا وما حولها، ومنهم التتار والمغول.

وصف الترك في الأحاديث النبوية .

1-عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال:(لاتقوم السَّاعَة حتى يُقاتِلَ المسْلِمونَ التركَ قوماً وجوهُهُم كالمِجَانِّ المطْرَقَةِ يلبسونَ الشعرَ ويمشونَ في الشَّعْرِ) [202] .

2-وعنه قال: قال رسول الله ﷺ :(لاتقوم السَّاعَة حتى تقاتلوا الترك صغارَ الأعين حُمرَ الوجوه ، ذُلْفَ الأُنوفِ ، كأنَّ وجوهَهُمُ المِجَّانُّ المطْرَقَةُ . ولا تقوم السَّاعَة حتى تقاتلوا قوماً نعالهُم الشَّعَرُ) [203].

والمراد بالمَجَان: جمع مِجَن وهو الترس ، والميم زائدة لأنه من الجُنَّة وهي السترة [204] .وقد

([201]) . ذكر العُلَماء في أصل الترك أقوالاً كثيرة مِنْهَا :

1 = أنهم من بني قنطوراء أُمَّة كانت لابراهيم عليه السلام ، ولدت له أولاداً جاء من نسلهم الترك والصين

2 = أنهم من نسل يافث بن نوح الَّذِيْ من نسله يأجوج ومأجوج ، فهم بنو عمهم .

3 = أنهم من نسل تبع .

4= أنهم من ولد أفريدون بن سام بن نوح .

وبلادهم يقال لها تركستان ، وهي مابين مشارق خراسان إلى مغارب الصين وشمال الهند إلى أقصى المعمور(النهاية : 4 / 113 ، معجم البلدان : 2 / 23 ، الفتح : 6 / 122، أشراط الساعة : 93)

([202]) . رواه مُسْلِم في الفتن وأشراط الساعة (18 / 37 بشرح النووي) .

([203]) . رواه البُخَارِي في الجهاد والسير باب قتال الترك : (6 / 122 رقم 2928 مع الفتح) .

([204]) . النهاية في غريب الحَدِيث : 4 / 301 .

ضبط النووي رحمه الله (المِجَّان) بفتح الميم وتشديد النون جمع مِجن بكسر الميم [205] .

وأَمَّا المُطْرقَة : فبإسكان الطاء وتخفيف الراء ، هذا هو الفصيح المشهور . وهي التي ألبست العقب وأطرمت به طاقة فوق طاقة .ومعناه : تشبيه وجوه الترك في عرضها وتنور وجناتها بالترس ، قد أُلبست الأطرقة .

وأَمَّا ذُلْفُ الأُنوف : فهو بالذال المعجمة والمهملة ، والصواب : المعجمة ، وهو بضم الذال وإسكان اللام جمع أُذْلُف ، ومعناه : فطس الأنوف ، قصارها مع انبطاح ، وقيل هو غِلَظٌ في أرنبة الأنف ، وقيل تطامن فيها ، وكله متقارب [206] .

وقد وصف النبي ﷺ أولئك الترك بأنهم (يلبسون الشعر ويمشون في الشعر) ومعناه : ينتعلون الشعر كما صرح به في الرواية الأخرى وهي :(نعالهم الشعر) [207] .

قال النووي رحمه الله: (وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ، فقد وُجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ : (صغار الأعين، حمر الوجوه، ذُلْف الأُنف، عراض الوجوه، كأن وجوههم المِجَّان المطْرَقَة، ينتعلون الشعر) فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسْلِمونَ مرات، وقتالهم الآن.....) [208] .

تحقق هذه النبوءة تاريخيًا

وقد قاتل المسْلِمونَ أولئك الترك منذ عهد الصَّحَابَة رضي الله عنهم ، وكان ذلك في أول خلافة بني أمية في عهد معاوية رضي الله عنه. وقد كان مشهوراً في زمن الصَّحَابَة رضي الله عنهم

([205]) . شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 18 / 36 .

([206]) . النهاية في غريب الحَدِيث : 2/ 165 ، 3/ 122 ، وشرح النووي عَلَى مُسْلِم: 18/ 37.

([207]) . شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 18 / 37 .

([208]) . المصدر السابق .

حَدِيث: (اتركوا الترك ماتركوكم) [209].

ومن وجه آخر من حَدِيث معاوية بن حُدَيْج [210] قال: كنت عند معاوية بن أبي سفيان حين جاءه كتاب عامله يُخْبِرُه أنه وقع بالترك وهزمهم ، وكثْرة من قُتل منهم ، وكثْرة من غُنم ، فغضب معاوية من ذلك ، ثُمَّ أمر أن يكتب إليه قد فهمتُ ماذكرتَ مِمَّا قتلْتَ وغنمتَ فلا أعْلَمَنَّ ماعُدتَ لشيء من ذلك . ولا قاتلتهم حتى يأتيك أمري . قلتُ له : لِمَ ياأمير المؤمنين ؟ فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :(لتَظْهرَنَّ الترْكُ عَلَى العربِ حتى تُلحقها بمنابتِ الشِّيحِ والقيصوم) فأكره قتالهم لذلك [211] .

وقد أشار ابن حجر العسقلاني رحمه الله إلى تعاقب دول الترك، وذكر أن المسلمين قاتلوهم أولًا، ثم صار كثير من جيوش المسلمين منهم، ثم آل إليهم الملك والسلطان، حتى ظهرت بعد ذلك الطامة الكبرى بخروج التتار. [212]

التتار وغزو بغداد

وفي القرن السابع الهجري خرج التتار بقيادة هولاكو خان، فاجتاحوا بلاد المسلمين، ودمروا بغداد سنة 656 هـ، وقتلوا الخليفة العباسي، وارتكبوا مذابح عظيمة، حتى ظن كثير من الناس أن

([209]) . رواه الطبراني في الكبير (882 و 883) من حَدِيث معاوية كما قال الحافظ في الفتح : 6 / 705 وسكت عليه مستشهداً به ، وحسَّنه الزرقاني في مختصر المقاصد الحسنة ص (49) ، والألباني في الصحيحة رقم 772 ، وقوّاه العجلوني في كشف الخفاء : (1 / 38) .

([210]) . معاوية بن حُديج بن جفنة بن قنبر ، أبو نعيم الكندي ثم السكوني : الأمير الصحابي . قائد الكتائب . كما نعته الذهبي . والي مصر ، كان ممن شهد حرب (صفين) في جيش معاوية بن أبي سفيان ، ولي إمرة مصر ، وتوفي بها سنة اثنتين وخمسين ، وكان أعور ، عاقلاً حازماً واسع العلم ، مقداماً وهو ابن (كبشة بنت معدي كرب) الشاعرة . [يُنظر : طبقات ابن سعد : 7 / 503 ، السير : 3 / 37 الإصابة : 3 / 411 ، تهذيب التهذيب : 10 / 203 ، الأعلام : 7 / 260] .

([211]) . أَخرَجَه أبو يعَلَى في مسنده : (13 / 366 . 367 رقم 7376) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد : 1/ 312 و 5 / 304 وَقَالَ : (رواه أبو يعَلَى وفيه جماعة لم أعرفهم) وأورده الحافظ في المطالب العالية 4 / 337 برقم 4545 ، والفتح 6 / 705 وعزاه إلى أبي يعَلَى مستشهداً به وسكت عليه

([212]) . الفتح : 6 / 705 .

الإسلام قد انتهى.

وقد رأى العلماء أن التتار داخلون في أوصاف الترك الواردة في الأحاديث النبوية؛ لما اتصفوا به من الصفات المذكورة، وقد كان ظهورهم في زمن الإمام النووي رحمه الله [213]

وقد بوّب القرطبي رحمه الله باباً في سياقة الترك للمسلمين ، وسياقة المسْلِمينَ لهم ، وذكر فيه حَدِيث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ ، فسمعنا النبي ﷺ يقول : (إن أمتي يسوقها قوم عراض الأوجه ، صغار الأعين ، كأن وجوههم الحجف [214] ثلاث مرار حتى يلحقوهم بجزيرة العرب ، أما السابقة الأولى فينجو من هرب منه، وأَمَّا الثانية فيهلك بعض وينجو بعض وأَمَّا الثالثة فيصطلمون [215] كلهم من بقي منهم) قالوا : يانبي الله ! من هم ؟ قال : (هم الترك) قال : (أما والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى سواري مساجد المسْلِمينَ) .

قال : وكان بريدة لايفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بَعْدَ ذلك للهرب مِمَّا سمع من النبي ﷺ من البلاء من أمراء الترك) [216] .

والحوادث تدل عَلَى وقوع ذلك عَلَى نحو ماورد في هذه الرواية [217] .

وأفاد القرطبي رحمه الله (أن الحَدِيث يدل عَلَى خروجهم وقتالهم للمسلمين وقتلهم ، وقد وقع ذلك عَلَى نحو ماأخبر ﷺ فخرج منهم في هذا الوقت أنهم لايحميهم إلاّ الله [218] ولا يردهم عن

([213]) . وُلد النووي عام 631 هـ ، وتوفي في 676 هـ كما في تذكرة الحفاظ 4/ 1472 . 1473 ، وهذه الفترة هي التي ظهر فيها التتار وقضوا عَلَى الخلافة العباسية . (أشراط الساعة : 97) .

([214]) . الحجف : الترس . النهاية في غريب الحَدِيث : 1 / 345) .

([215]) . يصطلمون: الاصطلام: افتعال من الصلم وهو القطع أي يحصدون (النهاية في غريب الحَدِيث : 3 / 49 ، عون المعبود : 11 / 413) .

([216]) . أَخرَجَه أَحْمَد: 5 / 348 . 349 ، وَقَالَ أبو الخطاب عمر بن دحية: وهذا سند صحيح (التذكرة للقرطبي: 2 / 272) ، وَقَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد: 7 / 311 : رجاله رجال الصحيح .

([217]) . عون المعبود : 11 / 414 .

([218]) . هكذا في التذكرة (2 / 273) بلفظ :(أنهم لايحميهم إلا الله) وأما في عون المعبود (11 / 415) فقد نقل عن التذكرة نفسها لفظة أخرى وهي: (أمم لايحصيهم) وهي أقرب للسياق

المسْلِمينَ إلا الله حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم) [219] .

ثُمَّ نقل رحمه الله عن أبي الخطاب عمر بن دحية رحمه الله ماخلاصته :

أنه في سنة سبع عشرة وستمائة خرج جيش من الترك يقال له (الططر) [220] عَلَى المسْلِمينَ ثلاث مرات ، وكان خروجهم الأخير تدميرهم بغداد ، وقتلهم للخليفة والعُلَماء والأمراء ، والفضلاء والعباد ، وأنهم أوغلوا في البلاد حتى ملكوا الشَّام مدة يسيرة ، ودخل رعبهم الديار المصرية إلى أن تصدى لهم الملك المظفر الملقب (بقُطْز) في معركة (عين جالوت) فكان له النصر والظفر عَلَيْهِمْ كما كان النصر لطالوت ، وتفرقت جموعهم وكفى الله المسْلِمينَ شرورهم ومروقهم [221] .

وقد عدَّ العلماء هذه الوقائع من دلائل النبوة؛ لأن النبي ﷺ أخبر بصفات هؤلاء الأقوام، وبوقوع القتال بينهم وبين المسلمين، فوقعت الأحداث كما أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ.

([219]) . التذكرة : (2 / 273) .

([220]) . الططر : الَّذِيْ يظهر والله أعلم أن بعض العلماء يقول (التتار) بالمثناة ، وبعضهم بالطاء (الططار) ، وبعضهم بلا ألف فيقول (الططر) وكلها متقاربة .

([221]) . التذكرة : (2 / 273) ، عون المعبود : (11 / 415) .

قتال المسلمين للعجم

ومن أشراط الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ قتالُ المسلمين للعجم، والعجم : خلاف العرب ، مفرد عجمي ، كعربي جمعه عرب [222] .

وقد وردت في ذلك أحاديث عدة، مِنْهَا:

حَدِيث أبي هُرَيْرَة :(لاتقوم السَّاعَة حتى تقاتلوا خُوْزاً [223] وكَرْمان [224] من الأعاجم، حمرَ الوجوه، فُطْسَ الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم المِجَّان المطْرقة، نعالهم الشعر). [225] .

وخُوز وكَرمان من بلاد العجم المعروفة قديمًا، وقد أشكل على بعض العلماء أن هذه الصفات هي نفسها التي وردت في أحاديث قتال الترك، فكيف يُجمع بينهما؟

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة، منها:

أن حديث قتال العجم غير حديث قتال الترك، ولا مانع من اشتراك الطائفتين في بعض الصفات الخَلقية مع اختلاف الجنس.

وَقَالَ الطيبي [226] : (لعل المراد بهما صنفين من الترك ، فإن أحد أصول أحدهما من خُوز

([222]) . لسان العرب : 12 / 385 . 386 .

([223]) . خُوز : . بضم أوله وتسكين ثانيه وآخره زاي . ، بلاد خوزستان ، يقال لها الخُوز ، وهي من بلاد الأهواز من عراق العجم . وقيل : الخوز صنف من الأعاجم . (ينظر : معجم البلدان 2 / 404 ، وفتح الباري 6 / 703).

([224]) . كَرْمان : . بالفتح ثم السكون وآخره نون ، وربما كسرت الكاف والفتح أشهر . ، وهي بلاد واسعة مشهورة ذات قرى ومدن ، يحدها من الغرب بلاد فارس ، ومن الشمال خراسان ، وجنوبها بحر فارس . قال ياقوت : وأهلها أهل سُنّة وجماعة وخير وصلاح ، وذلك بَعْدَ فتح ال مُسْلِمين لها . (معجم البلدان 4 / 454 ، وينظر أيضاً فتح الباري 6 / 703) .

([225]) . أَخرَجَه البُخَارِي في المناقب باب علامات النبوة .... (6 / 699 رقم 3590 مع الفتح)

([226]) . الطيبي : هو شرف الدين الحسن بن مُحَمَّد بن عبد الله الطيبي من علماء الحَدِيث والتفسير والبيان ، وله عدة مصنفات ، مِنْهَا : (شرح مشكاة المصابيح) و (شرح الكشاف) وغيرها .قال عنه الحافظ ابن حجر: (كان آية في

، وأحد أصول الآخر من كَرمان) [227] .

وقد ذهب الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى أن حَدِيث قتال العجم هذا غير حَدِيث قتال الترك ، وأنهما طائفتان أُنذر بخروجهما [228] .

و مِمَّا يعضد قول ابن حجر هذا حَدِيث : ((يوشك أن يملأ الله عز وجل أيديكم من العجم ثُمَّ يكونون أُسْداً لايفرون فيقتلون مقاتلكم ويأكلون فيئكم)) [229] .

وفي رواية لأبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن يكثر فيكم من العجم أُسْد لايفرون ، فيقتلون مقاتلكم ويأكلون فيئكم) [230] .

فهذه الأحاديث تدل على أن قتال العجم من الأشراط الصغرى [231]التي أخبر بها النبي ﷺ، وقد وقع كثير من ذلك عبر التاريخ الإسلامي.

كما أن بعض الأوصاف الواردة في أحاديث الترك والعجم جاءت أيضًا في وصف بني قنطوراء، الذين ذكر أهل العلم أن الترك ينتسبون إليهم، ومن ذلك ما ورد في الحديث، عن النبي ﷺ قال : (.... فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء ، عراض الوجوه ، صغار الأعين ....) [232] . وفي هذه الأخبار دليل من دلائل نبوته ﷺ، حيث أخبر بأقوام وصفاتهم وأحوال قتالهم قبل وقوع ذلك بقرون، فوقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

استخراج الدقائق من القرآن والسنن ، مقبلاً عَلَى نشر العلم ، متواضعاً ، حسن المعتقد) ا هـ . توفي سنة 743 هـ .(يُنظر : شذرات الذهب : 6 / 137 . 138 ، كشف الظنون : 1 / 720 ، الأعلام : 2 / 256) .

([227]) . الفتح : 6 / 703 ، عمدة القاري : 13 / 195 .

([228]) . الفتح : 6 / 703 .

([229]) . رواه أَحْمَد : 5 / 11 ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد : 7 / 310) ورواه الحاكم بنحوه وَقَالَ : صحيح الإسناد ولم يقرّه الذهبي .

([230]) . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد : 7 / 311) .

([231]) . أشراط الساعة : 99 .

([232]) . أَخرَجَه أبو داود في الملاحم باب في ذكر البصرة 4 / 488 رقم 4306 وسكت عنه ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود 3 / 812 رقم 3618 .

قتال المسلمين لليهود

عن أبي هُرَيْرَة أنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ ، فيقتلُهم المسلمون ، حتى يختبيءَ اليهوديُّ من وراءِ الحجرِ و الشجرِ ، فيقولُ الحجرُ أو الشجرُ : يا مسلمُ يا عبدَ اللهِ هذا يهوديٌّ خلفي ، فتعالَ فاقْتلْه . إلا الغَرْقَدَ ، فإنه من شجرِ اليهودِ) [233]

عن أبي هُرَيْرَة أنْ رَسُولِ اللهِ قَالَ: (لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّى تُقاتِلوا اليَهودَ، حتَّى يَقولَ الحَجَرُ وراءَه اليَهوديُّ: يا مُسلِمُ، هذا يَهوديٌّ ورائي فاقتُلْه). [234]

وهذا الحديث فيه ثلاث نبوءات :

الاولى : ان يتواجد اليهود في فلسطين وقد تحقق .

والثانية : ان يقاتل المسلمون اليهود وهذا قد تحققت بدايته .

والثالثة: قتل المسلم لليهودي من خلال ارشاد الشجر والحجر وهذا لم يقع، وسيكون الحديث عنه في العلامات الكبرى .

أولا : تحقق نبوءة تواجد اليهود في فلسطين :

كان لليهود وجودٌ قديم في فلسطين قبل بعثة النبي ﷺ بقرون طويلة، وقد تعاقبت عليهم فيها فترات قوة وضعف، ثم تفرّقوا بسبب الغزوات والاحتلالات المختلفة، حتى صار وجودهم زمن النبي ﷺ محدودًا ومتفرقًا، ولم تكن لهم دولة مستقلة في فلسطين عند البعثة النبوية.

ويمكن تلخيص وجودهم زمن النبوة وما حوله في النقاط الآتية:

1- أصل وجودهم في فلسطين:

يرجع أصل وجود بني إسرائيل في فلسطين إلى العصور القديمة المرتبطة بتاريخ أنبيائهم، فقد ارتبطت الأرض المقدسة بسلسلة من الأنبياء منذ عهد إبراهيم عليه السلام، الذي هاجر من موطنه في

([233]) أخرجه البخاري (2926)، وأحمد (10857)، وإسحاق في ((مسنده)) (190) باختلاف يسير.

([234]) أخرجه البخاري (2926)، ومسلم (2922) مطولاً باختلاف يسير

العراق إلى أرض فلسطين، كما قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.[235] وفي هذه الأرض وُلد إسحاق عليه السلام، ثم يعقوب عليه السلام المعروف بإسرائيل، الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل.

وقد أقام يعقوب وأبناؤه في فلسطين مدة من الزمن، قبل انتقالهم إلى مصر في عهد يوسف عليه السلام، بعد أن استدعاهم إليها إثر توليه خزائن مصر. وكانت فلسطين آنذاك مأهولة بالشعوب الكنعانية العربية وغيرها من الأمم القديمة، ولم تكن أرضًا خالصة لبني إسرائيل، بل عاشوا فيها ضمن التركيبة السكانية القائمة.

وبعد بعثة موسى عليه السلام وخروج بني إسرائيل من مصر، بدأت مرحلة جديدة من تاريخهم، حيث دخلوا أطراف الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون عليه السلام، ثم تعاقبت عليهم مراحل سياسية متعددة، يمكن إجمالها في ثلاثة عهود رئيسة:

1- عهد القضاة:

وهو العهد الذي تلا دخولهم الأرض المقدسة، وكانوا فيه قبائل متفرقة يحكمهم القضاة والزعماء الدينيون، حتى قيام ملك طالوت.

2- عهد الملوك:

وقد بدأ بطالوت، ثم تلاه داود عليه السلام الذي جعل القدس مركزًا للحكم، ثم ابنه سليمان عليه السلام الذي جدّد بناء بيت المقدس، كما جدّد إبراهيم عليه السلام بناء الكعبة المشرفة. وقد استمرت هذه المرحلة مدة محدودة نسبيًا، ولم تتجاوز في مجموعها نحو سبعين سنة من الاستقرار السياسي القوي في القدس.

3- عهد الانقسام:

حيث انقسمت المملكة بعد سليمان عليه السلام إلى دولتين متصارعتين:

مملكة يهوذا في جنوب فلسطين وعاصمتها القدس.ومملكة إسرائيل في الشمال.

---

(235) الأنبياء: 71

ثم ما لبثت هاتان المملكتان أن سقطتا أمام القوى الكبرى المتعاقبة، فتداولت على حكم فلسطين أمم كثيرة، كالْآشُورِيِّينَ، وَالْبَابِلِيِّينَ، وَالْفُرْسِ، وَالْمِصْرِيِّينَ، وَالْيُونَانِ، وَالرُّومَانِ، وغيرهم، وكانت مدد حكم هذه الأمم لفلسطين أطول بكثير من مدة حكم بني إسرائيل لها.

ومن هنا يتبين أن وجود اليهود التاريخي في فلسطين كان مرحلة من مراحل التاريخ الطويل لهذه الأرض المباركة، وليس وجودًا دائمًا أو حصريًا، كما أن تعاقب الأمم والشعوب على الإقامة فيها لم يكن في أي زمن موجبًا لمنح حقٍّ ديني أو تاريخي مطلق لأي أمة من الأمم.

2- زوال سلطانهم قبل الإسلام بمدة طويلة

زوالُ سلطانِ بني إسرائيل عن فلسطين كان قبلَ الإسلامِ بقرونٍ طويلة، فقد تعرّضوا عبر التاريخ لغزواتٍ متتابعةٍ وعقوباتٍ متعاقبةٍ أدّت إلى انهيارِ دولتهم وتشتّتِهم في الأرض. فبعد فسادهم وطغيانهم سلّط الله عليهم أعداءهم، فكان السبي البابلي على يدِ نبوخذ نصّر في القرن السادس قبل الميلاد، حيث دُمِّرت القدسُ وسُبِيَ كثيرٌ منهم إلى بابل. ثم أعقب ذلك خضوعُهم لسلطانِ الفرسِ فاليونان، حتى جاء الاحتلالُ الروماني الذي أحكم سيطرته على فلسطين، ثم انتهى الأمرُ بتدميرِ الرومان للقدسِ والهيكلِ الثاني سنة 70م تقريبًا، وتشتيتِ اليهود في أنحاء الأرض فيما عُرف تاريخيًا بـ "الشتات اليهودي".

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما حلَّ بهم من العقوبات بسبب إفسادهم وعلوِّهم، فقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[236]

ثم بيّن سبحانه نتيجة ذلك بقوله:﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾[237]

وبذلك يتبيّن أن الوجودَ السياسيَّ لبني إسرائيل في فلسطين قد زال قبل البعثة النبوية بزمنٍ طويل، وأن فلسطين بقيت بعد ذلك تحت حكم أممٍ ودولٍ متعاقبة، كالرومان ثم البيزنطيين، حتى فتحها المسلمون في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب سنة 15هـ، فأصبحت جزءًا من ديار الإسلام.

([236]) الإسراء: 4

([237]) الإسراء: 5

3- حال فلسطين زمن النبي ﷺ

عندما بُعث النبي ﷺ كانت فلسطين تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية النصرانية، ولم يكن اليهود أصحاب حكم فيها.بل إن الرومان والبيزنطيين كانوا يضيقون على اليهود في كثير من الفترات، وكان وجودهم في فلسطين محدودًا مقارنة بوجودهم في مناطق أخرى.

4- اليهود الأقرب إلى جزيرة العرب

اليهود الذين تعامل معهم النبي ﷺ كانوا أساسًا في: المدينة المنورة (بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة) وخيبر وفدك وتيماء، أما فلسطين نفسها فلم تكن مركز الثقل اليهودي زمن البعثة.

5- فتح المسلمين لفلسطين:

دخلت فلسطين في حكم المسلمين على يد عمرو بن العاص في عهد الصديق وفي العهد العمري ثم قدم ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد فحاصرا بَيْت الْمَقْدِس في الفتح العُمَري حتى فتحت وتسلم الفاروق مفاتيحها سنة 15هـ تقريبًا . بعد بضع سنين من وفاة النبي ﷺ.في عهد عمر بن الخطاب بعد فتح القدس سنة 15هـ تقريبًا، وبقيت قرونًا طويلة تحت الحكم الإسلامي، مع وجود سكان من المسلمين والنصارى واليهود بنسب متفاوتة.

6- الوجود اليهودي الحديث:

أما التجمع اليهودي الكبير المعاصر في فلسطين فبدأ أساسًا مع الحركة الصهيونية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر، ثم ازداد عبر الهجرات المنظمة والدعم الغربي، حتى قيام إعلان قيام دولة إسرائيل سنة 1948م.

ثانيا : تحقق نبوءة قتال المسلمين لليهود في فلسطين :

يُمكن النظر إلى الصراع القائم اليوم بين المسلمين واليهود في فلسطين بوصفه صورةً من صور المواجهة التي أخبر النبي ﷺ بوقوعها قبل قيام الساعة، وذلك من حيث أصلُ وقوع القتال بين المسلمين واليهود، دون الجزم بانطباق جميع تفاصيل الأحاديث الواردة في هذا الباب على الواقع المعاصر.

فبعد قيام الدولة اليهودية في فلسطين سنة 1948م، دخلت المنطقة في سلسلةٍ متواصلةٍ من الحروب والمواجهات العسكرية والسياسية، وأصبحت القضية الفلسطينية محورًا رئيسًا في وجدان الأمة الإسلامية، لما لفلسطين وبيت المقدس من مكانة عظيمة في العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي.

ومن خلال التأمل في الأحاديث النبوية، يمكن ملاحظة أن تحقق هذا الخبر يمر بمراحل متدرجة؛ تبدأ بوجود اليهود مجتمعين في أرض فلسطين بعد تفرقهم الطويل، ثم وقوع القتال بينهم وبين المسلمين، وهو ما يشهده العصر الحديث بصورة واضحة، أما المرحلة الأخيرة المتعلقة بالحسم النهائي وبعض العلامات الغيبية المصاحبة له، فهي من أمور المستقبل التي لم يقع تمامها بعد، ويرد علم توقيتها وتفاصيلها إلى الله تعالى.

ولهذا يقرر أهل السنة والجماعة ضرورة التعامل مع هذه النصوص بمنهجٍ علميٍّ منضبط، يقوم على الإيمان بصحة الأخبار النبوية، مع الحذر من التسرع في تنزيل جميع الجزئيات على الوقائع السياسية المعاصرة، لأن أحداث الفتن والملاحم تتداخل فيها الاعتبارات الشرعية والتاريخية والواقعية، ولا يُقطع بتحقق المراد الكامل منها إلا بدليلٍ ظاهرٍ لا يحتمل التأويل.

ومن خلال النظر في الواقع المعاصر، يمكن ملاحظة عدد من المؤشرات التي يرى بعض الباحثين أنها قد تدخل في بدايات الصراع الذي أشارت إليه النصوص النبوية، ومن أبرزها ما يأتي:

1- ظهور الطائفة المنصورة في بيت المقدس وأكناف الشام:

وردت أحاديث متعددة تدل على بقاء طائفة من الأمة ظاهرة على الحق إلى قيام الساعة، ومن ذلك :

ما رواه البخاري، ومسلم، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ).[238]

وفي رواية لمسلم،:(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ). [239]

([238]) رواه البخاري (7311) ومسلم (156)

([239]) رواه مسلم (1037)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "هذا الحديث حديث ثابت متواتر من جهة استفاضة ثبوته عند الأئمة، ومخرج في الصحيحين من غير وجه وفي غيرهما. وهذا الحديث فيه تقرير لكون الأمة سيدخلها افتراق واختلاف في مسائل أصول الدين، ولهذا وصف ﷺ هذه الطائفة بأنها الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة ، وأنهم على أمر الله ورسوله ﷺ. "[240]

وما رواه عمران بن الحصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تَزالُ طائِفةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرينَ على الحَقِّ، لا يَضُرُّهم مَن خَذَلَهم، حتَّى يَأتيَ أمرُ اللهِ –وفي روايةٍ– وهم كَذلك.) [241].

هل ستكون الطائفة المنصورة بالشام؟

ورد في الصحيحين من حديث معاوية، رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ". قَالَ عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ: قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ. [242].

وروى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:(لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ لعدوِّهم قاهرين لا يضرُّهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأْواءَ فهُم كالإِنَاءِ بينَ الأَكَلَةِ حتى يأتيَهم أمرُ اللهِ وهم كذلك قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ ؟ قَالَ : بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ) [243].

([240]) رواه البخاري (3641) ومسلم (1037)

([241]) أخرجه مسلم (1920)، وسعيد بن منصور (2372) واللفظ له، وابن ماجه (10)، وأحمد (22403) باختلاف يسير.

([242]) أخرجه مسلم (1920)، وسعيد بن منصور (2372) واللفظ له، وابن ماجه (10)، وأحمد (22403) باختلاف يسير.

([243]) أخرجه أحمد (22320)، والطبراني في ((الشاميين)) (860)، والمحاملي في ((أماليه–رواية ابن يحيى البيع)) (499) باختلاف يسير. وقال شعيب الأرنؤوط معلقًا: حديث صحيح لغيره دون قوله: "قالوا: يا رسول الله، وأين هم ...؛ إلخ"، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عمرو بن عبدالله السَّيْباني الحضرمي، فقد تفرد بالرواية عنه يحيى بن أبي عمرو السيباني، ولم يوثقه غير ابن حبان والعجلي؛ [انظر: 36/ 657].

واختلف في صحة الزيادة المذكورة في الحديث وهي: فقيل: وَأَيْنَ هُمْ ؟ قَالَ : بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فقد رواها الإمام أحمد في المسند[244].وقال الهيثمي: رجاله ثقات[245] وضعفه الشيخ الألباني[246].

فإذا ثبت وجود الطائفة في آخر الزمان قطعا بما ورد في الصحيحين، فإن جل الطائفة المنصورة في الشام في آخر الزمان،كما نص الحافظ ابن حجر الحافظ وأبان بقوله:"والْمُرَاد بِالَّذِينَ يَكُونُونَ بِبَيْتِ الْمَقْدِس: الَّذِينَ يَحْصُرهُمْ الدَّجَّال إِذَا خَرَجَ، فَيَنْزِل عِيسَى إِلَيْهِمْ فَيَقْتُل الدَّجَّال" وما ثبت من وجود خلافة راشدة في بيت المقدس .

وقد ورَدَ عندَ البُخاريّ مِن حَديثِ مُعاوِيةَ أنَّهم بالشَّام وقال معاذ رضي الله عنه: (هم بالشام)، وعندَ أحمَدَ أنَّهم ببيتِ المقدسِ وأكنافِ بيتِ المقدِسِ وهي أرضٌ شاميَّةٌ و قال ابن بطال: إنها تكون في بيت المقدس. وقيل: إنَّ آخِرَهم بِبيتِ المقْدِسِ

وكونها في الشام لا يمنع من أن تتواجد في بعض الأزمنة في غيرها ،

المقصودِ بهذِه الطَّائفةِ

وقد اختُلِفَ في المقصودِ بهذِه الطَّائفةِ، فقيل: هُم العُلماءُ والفقهاء، وقيل: هُم أصحابُ الحديثِ، وقيل: هُم المجاهِدُون في سَبيلِ اللهِ تعالى، والأَولى الجَمْعُ بين هذه الأقوال كلِّها بأنَّ هذه الطَّائفةَ تكون مُتناثِرةً بَينَ طَوائفِ الأُمَّةِ؛ فَمنَ الممكنِ أن يَكونوا مِنَ العُلماءِ والمجاهِدين والفُقهاءِ والآمِرين بالمعروفِ والنَّاهينَ عنِ المنكرِ، وقَدْ يَكونون مُجتمِعينَ في مَكانٍ أو مُتفرِّقينَ في البُلدانِ.

يقول ابنُ تيميَّة أمَّا الطائفةُ بالشام فهُمْ المقاتِلون عن دِينِ الإسلام، وهُمْ كتيبةُ الإسلام، وعِزُّهم عِزُّ الإسلام، وذُلُّهم ذُلُّ الإسلام التي ذَكَرَها النبيُّ بقوله في الأحاديثِ الصحيحةِ المسْتَفيضةِ عنه التي قَالَ فيها النبي ﷺ : (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا) [247] .

([244]) رواها الإمام أحمد في المسند(21286)

([245]) مجمع الزوائد 7/ 288

([246]) السلسلة الضعيفة (698/11)

([247]) أخرجه البخاري (1037).

وقَالَ ﷺ: (عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهُ خِيرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ ، يَجْتَبِي إِلَيْهِ خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ) [248] والشامُ هي البلادُ الواقعةُ شَمالَ الجزيرةِ العربيَّةِ، وتَضُمُّ الآنَ سُوريَةَ والأُرُدنَّ ولُبنانَ وفِلَسطينَ

وقَالَ ﷺ:(طُوبَى لِلشَّامِ)، قِيلَ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ:(إِنَّ مَلائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا) [249]

وقال ﷺ:(إِنِّي رَأيتُ كأنَّ عَمودَ الكِتابِ انتُزِعَ مِن تَحتِ وِسادتي، فأَتبَعْتُه بَصري، فإذا هوَ نورٌ ساطِعٌ، عُمِدَ به إلى الشَّامِ، ألَا وإنَّ الإيمانَ إذا وَقَعَتِ الفِتنُ بِالشَّامِ.) [250]

وقَالَ ﷺ: (أَلا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) [251].

وقد اعتنى العلماء ببيان فضل الشام ومكانتها في نصوص الوحي، وعدّوها موطنًا عظيمًا من مواطن الثبات والنصرة في آخر الزمان.

2-- **الإشارة إلى مواضع المواجهة في أرض الشام وفلسطين**: ورد في بعض الآثار والأحاديث الإشارة إلى وقوع المواجهة في محيط نهر الأردن وأرض فلسطين،ومنها:

عن نهيك بن صريم السكوني قال النبي ﷺ :(لتقاتِلُنَّ المشرِكينَ، حتَّى يقاتلَ بقيَّتُكُمُ الدَّجَّالَ علَى نَهْرِ الأردُنِّ أنتُمْ شَرقيَّهُ وَهُم غربيَّهُ). [252]

([248]) أخرجه أبو داود (2483)، وأحمد (20356)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (570) واللفظ لهم. وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب " (رقم/ 3087)

([249]) رواه الترمذي (رقم/3954) وقال : حسن غريب . والإمام أحمد في " المسند " (483/35) طبعة مؤسسة الرسالة ، وصححه المحققون . وصححه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (رقم/503)

([250]) أخرجه أحمد (17775) باختلاف يسير، والطبراني (637/13) (14561) بنحوه، والحاكم (8554) واللفظ له وانظر: صحيح الترغيب، للالباني (3092).

([251]) أخرجه أحمد (16965) بلفظه، والنسائي (3561) باختلاف يسير، وابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (2460) بنحوه.واورده الالباني في السلسلة الصحيحة(1961).

([252]) أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (9585)، وابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (2458)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (638) رواه البزار (رقم 3387 زوائده). وابن قانع في معجم الصحابة (3/ 167). وابن منده في الصحابة (الإصابة 6/ 476) ، و هذا إسناد ضعيف ، محمد بن أبان القرشي قال الذهبي في " الميزان " :

أما العبارة المضافة " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود انتم شرقيّ النهر وهم غربيه " قال الراوي : ما كنت أدري ما الأردن يومئذ ! فلا أساس لها في أي من كتب الحديث الشريف، لا في صحيحها ولا في ضعيفها. ولا تعدو أكثر من كونها عبارة مضافة إلى نص الحديث والله أعلم وما قَالَه رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَإِنَّ أَفْضَلَ جهادِكُمُ الرِّبَاطُ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رباطِكُمْ عَسْقَلَانُ) [253].

وعسقلان مدينة تاريخية تقع في جنوب فلسطين قرب غزة.

وقد فهم العلماء من هذه النصوص عظم شأن الرباط في الشام عامة وبيت المقدس خاصة، لما لها من مكانة دينية، ولما تشهده عبر العصور من صراعٍ متكررٍ بين أهل الإسلام وأعدائهم. ولذلك كان كثير من العلماء والزهاد يقصدون الثغور الشامية والفلسطينية طلبًا لفضل الرباط والجهاد وحراسة ثغور المسلمين. كالإمام سفيان الثوري وكالإمام عطاء بن رباح .

وفي الجملة؛ فإن الواجب في مثل هذه النصوص هو الإيمان بما صح منها، مع التزام العدل والإنصاف، وترك الجزم بالتطبيقات التفصيلية المستقبلية إلا بدليل واضح، مع اليقين بأن ما أخبر به النبي ﷺ حق، وأن المستقبل لهذا الدين مهما اشتدت الفتن وتعاظمت المحن.

" ضعفه أبو داود و ابن معين ، و قال البخاري : ليس بالقوي " .

و وافقه العسقلاني في " اللسان " ونقل تضعيفه عن أئمة آخرين منهم ابن حبان ،و نص كلامه في " الضعفاء و المتروكين" (260/2):" كان ممن يقلب الأخبار، و له الوهم الكثير في الآثار ".و أما قول الهيثمي في" مجمع الزوائد" (349/7) :" رواه الطبراني و البزار ، و رجال البزار ثقات ".و أقره الشيخ الأعظمي في تعليقه على "كشف الأستار " و ذلك من أوهامهما ، فإنه عند البزار من طريق محمد بن أبان القرشي أيضا . وفي اعتقادي أن سبب الوهم هو أنهما ظنا أنه محمد بن أبان بن وزير البلخي و هو ثقة حافظ من شيوخ البخاري ،و ليس به .. انظر : ضعيف الجامع . (4656)

([253]) أخرجه الطبراني (11/ 88) (11138) واللفظ له. أورده السيوطي رحمه الله في "اللآلئ المصنوعة" (422/1) قال الهيثمي رحمه الله في "المجمع" (190/5): " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ ". وقال الألباني رحمه الله:

" وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات؛ غير سعيد بن حفص النفيلي، ففيه كلام يسير، وقد وثقه ابن حبان (268/8)، وأخرج له في "صحيحه "ثلاثة أحاديث، ومسلمة بن قاسم "تهذيب التهذيب" (4/ 17) والذهبي، والعسقلاني فقال: "صدوق تغير في آخر عمره ". وقال العيني في "مغاني الأخيار" (3/ 558): " صدوق، تغير في آخر عمره ". وقال الذهبي في "الكاشف" (433/1): " ثقة ". انتهى من "سلسلة الأحاديث الصحيحة " (7/ 803) .

المبحث الخامس

الأخبار المتعلقة بأحوال الأمة

أولًا: فساد الزمان وانتشار المعاصي

ثانيًا: زخرفة المساجد

ثالثًا: انتشار الجهل وقلة العلم

رابعًا: تغيّر الأحوال القضائية والاقتصادية والاجتماعية

خامسًا: تغيّر الظواهر الكونية والطبيعية

سادسا : تغيّر نظام الحكم والسياسة

فساد الزمان وانتشار المعاصي

ورد في السنة النبوية جملة من الأخبار التي تُشير إلى تحوّلاتٍ تطرأ على أحوال الأمة عبر الزمن، في مجالاتها الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وذلك على سبيل الإخبار عن الواقع المستقبلي، لا على جهة الحصر في أبواب علامات الساعة، وإنما لبيان سنن التغيّر في المجتمعات وما يصيبها من تبدلات في القيم والسلوكيات.

أخبرت النصوص الشرعية عن ظهور الفتن وكثرة المعاصي في بعض الأزمنة، بما يدل على ضعف الالتزام الديني عند بعض الناس وازدياد مظاهر الانحراف السلوكي. وقد ورد في السنة النبوية ذكر جملة من هذه المظاهر، منها: شيوع شرب الخمر واستحلاله، وظهور الفحش والتفحش، واختلال الموازين الأخلاقية بحيث يُؤتمن الخائن ويُخوَّن الأمين، ويُصدَّق الكاذب ويُكذَّب الصادق. كما ورد الإخبار عن مظاهر أخرى كظهور شهادة الزور وكتمان شهادة الحق، وانتشار الزنا، وظهور الشرك في بعض صور الانحراف العقدي.

وكذلك ورد في بعض النصوص الإشارة إلى مظاهر اجتماعية وسلوكية في آخر الزمان، مثل: تشبّب المشيخة، وانتشار الصبغ بالسواد، وظهور المعازف والقينات واستباحتها، مع كثرة الكذب وقلة التثبت في نقل الأخبار.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«لا يأتي عليكم زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم»

زخرفة المساجد

ورد في السنة النبوية الإشارة إلى بعض التحولات التي تطرأ على واقع التدين في آخر الزمان، ومنها الاهتمام بالمظاهر الشكلية في عمارة المساجد على حساب المقاصد التعبدية، وما يصاحب ذلك من مظاهر انحراف في السلوك الديني والاجتماعي.

ومن صور ذلك: زخرفة المساجد والتباهي بها، وتحلية المصاحف وتزيينها، ورفع المنابر وتطويلها، وظهور بعض المظاهر غير المنضبطة داخل المساجد كارتفاع أصوات الفسقة، وتصدر من لا فقه له للإمامة، واتخاذ القرآن وسيلة للتطريب لا للتدبر، وكذلك ما يُذكر من إمامة من يُعرف بالغناء أو اللهو، وتدافع الناس على الإمامة مع غياب أهل الكفاءة، وما يُفهم منه ضعف العناية بالعبادة الحقيقية وما يقابله من مظاهر إهمال الصلاة أو تضييعها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى يَتَباهى النَّاسُ في الْمَساجِدِ » (254) يَعني: مِن عَلاماتِ القيامةِ أن يَتَفاخَرَ كُلُّ واحِدٍ بمَسجِدٍ، ويَقولُ: مَسجِدي أرفَعُ وأكثَرُ زينةً مِن مَسجِدِ فُلانٍ(255)

وقد علّق بعض أهل العلم على هذا الحديث ببيان دلالته على وقوع التنافس في زخرفة المساجد، ومن ذلك ما ذكره ابنُ رسلان: (هذا الحَديثُ فيه مُعجِزةٌ ظاهِرةٌ؛ لإخبارِه ﷺ عَمَّا سَيَقَعُ بَعدَه، فإنَّ تَزويقَ الْمَساجِدِ والمباهاةَ بزَخرَفَتِها كَثُرَ مِنَ الْمُلوكِ والأمراءِ في هذا الزَّمانِ بالقاهِرةِ، والشَّامِ، وبَيتِ الْمَقدِسِ، وغَيرِها، بأخذِهم أموالَ النَّاسِ ظُلمًا وعُدوانًا، وعِمارَتِهم بها الْمَدارِسَ على شَكلٍ بَديعٍ، فنَسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافيةَ). (256)

---

(254) أخرجه أبو داود (449)، وابن ماجه (739)، وأحمد (12379). صحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (1614)، والنووي في ((الخلاصة)) (305/1)، وابن دقيق العيد في ((الاقتراح)) (114)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (449)، والوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (41).

(255) يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (2/ 74).

(256) يُنظر: ((شرح سنن أبي داود)) (3/ 258)

انتشار الجهل وقلة العلم

أخبرت النصوص الشرعية عن من مظاهر التغير في بعض الأزمنة رفع العلم وذهابه، وظهور الجهل وانتشاره، وما يترتب على ذلك من اختلال في المرجعية العلمية والدينية، وذلك نتيجة قلة العلماء وذهاب أهل الفضل، واستمرار الحاجة إلى من ليسوا بأهل للفتوى أو التعليم.

ومن صور ذلك:أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ويقبض،أن يظهرَالْجَهْلُ، هلاك الوعول(الأئمة الكبار) موت العُلَماء,استشارة الجهلاء, ظهور القلم وكثرة الكتابة وانتشارها,ذهاب الصالحين , أن يأخذ الله شريطته من أهل الخير والدين , التماس العلم عند الأصاغر .

عَن أنسِ بن مالِك رَضِيَ الله عَنه قال: قال رَسولُ الله ﷺ: ((مِن أشراطِ السَّاعةِ أن يُرفَعَ العِلمُ ويَثبُتَ الجَهْلُ) (257)

قال ابنُ حَجَرٍ مُعَقِّبًا: (الذي يَظهَرُ أنَّ الذي شاهَده كان مِنه الكَثيرُ مَعَ وُجودِ مُقابِلِه، والمرادُ مِنَ الحَديثِ استِحكامُ ذلك حَتَّى لا يَبقى بما يُقابِلُه إلَّا النَّادِرُ، وإليه الإشارةُ بالتَّعبيرِ بقَبضِ العِلمِ، فلا يَبقى إلَّا الجَهْلُ الصِّرفُ، ولا يَمنَعُ مِن ذلك وُجودُ طائِفةٍ مِن أهلِ العِلمِ؛ لأنَّهم يَكونونَ حينَئِذٍ مَغمورين في أولَئِكَ) (258)

وقَد بينَ كيفيَّةَ رَفعِ العِلمِ وظُهورِ الجَهْلِ في حَديثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو الذي قال فيه: ((إنَّ الله لا يَقبِضُ العِلمَ انتِزاعًا يَنتَزِعُه مِنَ النَّاسِ، ولَكِن يَقبِضُ العِلمُ بقَبضِ العُلَماءِ... الحَديثُ))

وقال النَّوَويُّ: (هذا الحَديثُ يُبَيِّنُ أنَّ الْمُرادَ بقَبضِ العِلمِ في الأحاديثِ السَّابِقةِ الْمُطلَقةِ لَيسَ هو مَحوَه مِن صُدورِ حُفَّاظِه، ولَكِن مَعناه: أنَّه يَموتُ حَمَلَتُه، ويَتَّخِذُ النَّاسُ جُهَّالًا يَحكُمونَ بجَهالاتِهم، فيَضِلُّونَ ويُضِلُّونَ) (259)

---

(257) أخرجه مُطَوَّلًا البخاري (80)، ومسلم (2671) واللَّفظُ له.

(258) يُنظر: ((فتح الباري)) (16/13).

(259) يُنظر: ((شرح مسلم)) (223/16).

تغيّر الأحوال القضائية والاقتصادية والاجتماعية

أولًا: النظام القضائي والعقوبات:

تشير النصوص الشرعية إلى وقوع تحولات في أنظمة الحكم والقضاء، تتمثل في ضعف الالتزام بالمرجعية الشرعية، وظهور مظاهر الانحراف في تولي المناصب العامة، وغياب الكفاءة في إدارة الشأن العام.

ومن ذلك: نقض العهود، وعدم الحكم بما أنزل الله، وتعطيل بعض الأحكام الشرعية، وظهور ولاة غير مؤهلين، وإسناد المسؤوليات إلى غير أهلها، وظهور من يُوصَفون بالسفه في مواقع القيادة، وكثرة أعوان الظلم وأجهزة القهر، وظهور من يسيء معاملة الناس ويضربهم بغير حق، مع ارتفاع شأن من هم في مرتبة أدنى من حيث الكفاءة أو القيمة الاجتماعية، وتعطيل الحدود، وظهور إمارة السفهاء، وكثرة أعوان الظلم وأجهزة القهر، وتصدر من ليس بأهل للقيادة، وارتفاع شأن من هو دون ذلك في الكفاءة والقيمة، إضافة إلى انتشار مظاهر القسوة في التعامل مع الناس بغير حق، وظهور من يُعرفون بأدوات البطش التي تُستعمل في ظلم الناس.

ثانيًا: النظام الاقتصادي:

تُشير الإخبارات النبوية إلى توسع المال وكثرته في بعض الأزمنة، وما يرافق ذلك من تغيّر في السلوك الاقتصادي، سواء في الإنتاج أو التداول أو الإنفاق.

ومن أبرز هذه المظاهر: استِفاضةُ الْمالِ وكثرته، وفشو التجارة، وضعف الحاجة إلى الصدقة، ونقص البركة في بعض المعاملات، وظهور الشح، وانتشار البخل، وعدم الاكتراث بمصادر الكسب، حتى لا يُبالَى بالحلال والحرام. كما وردت إشارات إلى التطاول في البنيان، وضعف العمل، وانتشار الربا، وتعطل بعض أحكام الميراث، وترك الزكاة، مع تركز الأموال في أيدي فئة معينة، وازدياد التنافس على الدنيا.

عَن عَوفِ بن مالِكٍ الأشجَعيّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: (اعْدُدْ سِتًّا بيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ:... ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المالِ حتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا!) [260]

وقال رسول الله ﷺ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ). [261]

وفي رواية حتَّى يُهِمَّ ربَّ المالِ مَن يقبلُ صدقتَهُ وحتَّى يعرِضَهُ فيقولَ الَّذي يُعرَضُ علَيهِ : لا أَرَبَ لي) [262]. وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ ؛ قال: " ليَأتينَّ على النَّاسِ زَمانٌ يطُوفُ الرَّجُلُ فيه بالصَّدَقةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لا يَجِدُ أحَدًا يَأخُذُها مِنه "[263].

وتَعُمَّ الثَّروةُ في أيدي النَّاسِ جميعًا، فلا يَحتاج أحدٌ إلى الزَّكاةِ، حتَّى يَحزَنَ ويَهتمَّ ويَغتَمَّ ربُّ المالِ وصاحِبُه؛ لأنَّه لم يجِدْ مَن يَقبَلُ صدَقتَه، «لا أَرَبَ لِي»، أي: لا حاجةَ لي في هذه الصَّدقةِ.

وفي تَتِمَّةِ (الْمَفاتيحِ في شَرحِ الْمَصابيحِ): (((فيَفيضُ الْمالُ)) أي: يَكثُرُ ويَتَّسِعُ بحَيثُ لا يوجَدُ فقيرٌ في ذلك الزَّمانِ البَتَّةَ. وتَلخيصُ الْمَعنى: أنَّه عِبارةٌ عَن كثرةِ الأيادي والنِّعَمِ في أيدي جَميعِ النَّاسِ، وسَعةِ أرزاقِهم بحَيثُ لا ضِيقَ لأحَدٍ، ولا حِرصَ فيهم، بَل قَطَعَ كُلُّ واحِدٍ مِنهم النَّظَرَ عَمَّا في أيدي صاحِبِه، وذلك فضلٌ ورَحمةٌ مِنَ الله. [264].

قال ابنُ عُثَيمين: (أخبَرَ النَّبيُّ ﷺ: أنَّه لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى يَكثُرَ الْمالُ، وقَد كثُرَتِ الأموالُ، وسَوفَ تَزدادُ حَتَّى يُهِمَّ الرَّجُلَ من يَقبِضُ صَدَقَتَه، وحَتَّى يَعرِضَ الرَّجُلُ الْمالَ على الرَّجُلِ هِبَةً أو صَدَقةً، فيَقولَ: لا حاجةَ لي به) [265].

ثالثًا: النظام الاجتماعي:

تشير النصوص إلى تغيّرات عميقة في البنية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، تؤدي إلى ضعف الروابط الأخلاقية وتراجع القيم الاجتماعية في بعض الأزمنة.

---

(260) أخرجه البخاري (3176) مُطَوَّلًا.
(261) أخرجه البخاري (1412)،
(262) أخرجه البخاري (1412)، ومسلم (157) واللَّفظُ له.
(263) أخرجه البخاري (1414)، ومسلم (1012) مُطَوَّلًا.
(264) يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (5/ 453).
(265) يُنظر: ((الضياء اللامع من الخطب الجوامع)) (8/ 637).

ومن صور ذلك: انتشار الفواحش ومنها الزنا، وظهور مظاهر الانحراف في اللباس والسلوك، ومن ذلك ما ورد في وصف النساء الكاسيات العاريات، وازدياد مظاهر التبرج، وكثرة الخبث، وارتفاع معدلات الطلاق، وظهور التشبه بين الجنسين، وتغير بعض الأدوار الاجتماعية، وازدياد بعض الظواهر السلبية التي تؤثر في توازن المجتمع، مع الإشارة إلى كثرة النساء وقلة الرجال في بعض الحالات، وما يترتب على ذلك من خلل اجتماعي.

العلاقات الانسانية : تُظهر النصوص الشرعية تحولات في طبيعة العلاقات بين الناس، تتمثل في ضعف الثقة وتراجع القيم الأخلاقية.

ومن ذلك: ضعف صفة الأمانة، وانتشار الخيانة، وكتمان الشهادة، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وسوء الجوار، وفساد العلاقات الاجتماعية، وازدياد الجفاء بين الناس، حتى يصل الحال إلى أن لا يكاد الإنسان يعرف غيره إلا من خلال المصلحة أو المعرفة الخاصة، مع انتشار السلام على المعرفة فقط دون عمومه.

تغيّر نظام الحكم والسياسة

من الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل ما ورد في بيان المراحل السياسية التي تمر بها الأمة الإسلامية عبر تاريخها، وما يطرأ على نظام الحكم فيها من تحولات متتابعة.

ومن أشهر الأحاديث في ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عَنِ حُذَيْفَةُ،رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:(تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ). [266].

كما ورد عن عبد الله بن عباس بلفظ حسنه الألباني: (أَوَّلُ هَذَا الأَمْرِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ خِلافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَتَكادَمُونَ عَلَيْهِ تَكادُمَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ جهادِكُمُ الرِّبَاطُ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رباطِكُمْ عَسْقَلانُ .

وتُعد هذه الأحاديث من دلائل النبوة؛ لاشتمالها على الإخبار بأحوالٍ سياسية مستقبلية مرت بها الأمة الإسلامية عبر عصورها المختلفة، حيث بينت انتقالها من مرحلة النبوة، إلى الخلافة الراشدة، ثم إلى أنظمة الحكم الملكي، ثم إلى صورٍ أخرى من الحكم يغلب عليها التسلط والقهر.

---

(266) أخرجه أحمد (18406)، والبزار في ((مسنده)) (2796) واللفظ لهما، و البيهقي في ((دلائل النبوة)) (6/ 491) بنحوه. وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:" ومن طريق أحمد رواه الحافظ العراقي في "محجة القرب إلى محبة العرب "(17/2)، وقال: " هذا حديث صحيح، وداود بن إبراهيم الواسطي وثقه أبو داود الطيالسي، وابن حبان، وباقي رجاله محتج بهم في الصحيح ". يعني "صحيح مسلم".لكن حبيبا هذا قال البخاري: فيه نظر.وقال ابن عدي: ليس في متون أحاديثه حديث منكر، بل قد اضطرب في أسانيد ما يروى عنه، إلا أن أبا حاتم وأبا داود وابن حبان وثقوه.فحديثه حسن على أقل الأحوال إن شاء الله تعالى، وقد قال فيه الحافظ: لا بأس به " انتهى من "السلسلة الصحيحة" (1 / 34 – 35).

المرحلة الأولى: عهد النبوة

وهي المرحلة التي قاد فيها النبي ﷺ الأمة الإسلامية بالوحي والشرع، وامتدت منذ بعثته حتى وفاته ﷺ، ومدتها ثلاثة وعشرين عاما.وتميزت بكمال التشريع ووحدة الأمة واجتماعها على القيادة النبوية. وقد بدأت الدعوة في مكة ثم انتقل مركز الدولة إلى المدينة المنورة بعد الهجرة.

المرحلة الثانية: الخلافة على منهاج النبوة

وهي مرحلة الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وقد قامت على الشورى والبيعة اي اختيار الخليفة من العلماء والفضلاء ووجوه الناس والالتزام العام بمنهج النبوة في الحكم والسياسة.

وقد استدل العلماء على هذه المرحلة بحديث: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكًا».

قال سفينة مولى رسول الله ﷺ : خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي ست سنين).

ويرى جمهور أهل العلم أن هذه المرحلة تمثل النموذج الأكمل للحكم الإسلامي بعد عهد النبوة، لما تميزت به من العدل ووحدة الأمة وقوة الالتزام بأحكام الشريعة.

المرحلة الثالثة: الملك العاضّ

ويقصد به الحكم الوراثي الذي يتحول فيه نظام اختيار الحاكم إلى التوريث داخل الأسرة الحاكمة، وهذا يعد إساءة لنظام البيعة في في الإسلام، ولكنه لا يعد خروجًا على الإسلام ، اذ يبقى الانتماء العام إلى الإسلام وتحكيم الشريعة في الجملة ولهذا وصف النبي ﷺ هذه المرحلة في حديث اخر ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةً.

وقد بدأت هذه المرحلة مع الدولة الأموية، وتحديدا بمعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه الذي قال عنه شيخ الاسلا م: ومعاوية . رضي الله عنه كان أفضل ملوك هذه الأمة مرورا بعمر بن عبد العزيز الذي وصف بالخليفة الراشدي الخامس . ثم استمرت في العهود العباسية والعثمانية، وتحديدا بالسلطان عبد الحميد الثاني في عام 1923 .

وشهدت اتساع الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام في أقطار واسعة، رغم ما وقع فيها من تفاوت بين العدل والظلم، والقوة والضعف، بحسب أحوال الحكام والأزمنة.

وقد وصف بعض العلماء هذا العهد بأنه جمع بين جوانب القوة الحضارية والعسكرية، وبين ظهور بعض صور الاستبداد السياسي التي أشار إليها الحديث بلفظ «الملك العاضّ».

المرحلة الرابعة: الملك الجبري

وهو الحكم الذي يغلب عليه التسلط والإكراه والقهر السياسي، ويرى عدد من الباحثين أن بدايته التاريخية الكبرى كانت بعد سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924م، على يد مصطفى كمال اتاتورك بالتعاون مع الإنجليز، وما تبع ذلك من تفكك العالم الإسلامي إلى دول متعددة، وظهور أنظمة حكم قومية ووطنية متفرقة،

وكل ذلك وصفه النبي ﷺ بقوله مما رواه عبد الله بن عباس بلفظ قال عنه الالباني واسناده جيد : (ثُمَّ يَتَكادَمُونَ عَلَيْهِ تَكادُمَ الْحُمُرِ، (يتمسكون بالحكم بقوة كما تتمسك الحمير بالاعشاب بقوة)

كما شهد هذا العصر ازدياد التدخل الأجنبي في شؤونها، وضعف المرجعية الشرعية الجامعة، إضافة إلى احتلال فلسطين وقيام الدولة اليهودية الحديثة، وما ترتب على ذلك من صراعات سياسية وعسكرية مستمرة.

المرحلة الخامسة: عودة الخلافة عَلَى مِنْهَاجِ النُبُوَّة

ختم الحديث بذكر عودة الخلافة عَلَى مِنْهَاجِ النُبُوَّة ، وهي مرحلة مستقبلية أخبر بها النبي ﷺ، دون تحديد زمنها على وجه الدقة. عن عبد الله بن حوالة ؛ قال: وضع رسول الله ﷺ يدي على رأسي – أو على هامتي –، فقال: "يا ابن حوالة! إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة؛ فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والسَّاعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك). [267]

(267) "مسند أحمد" (5/ 288- بهامشه منتخب الكنز)، و"سنن أبي داود"، كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة (7/ 209، 210- مع عون المعبود)، و"مستدرك الحاكم" (45/ 425)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني. انظر: "صحيح الجامع الصغير" (263/6) (ح7715).

يقول الإمام أحمد في هذا الحديث الصحيح. بعد ذلك: (ثم سكت). أي ثم سكت رسول الله ﷺ ، ولم يتحدث عن عهدٍ سادس، وهذا يقول إن عهد عودة الخلافة على منهاج النبوة سيبقى هو الأخير في مسيرة الأمة الإسلامية، ولن يرفعه الله تعالى عنها حتى قيام الساعة

ومن علامات خروج الخلافة عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ ما رواه معاذ في الحديث الذي حسنه الالباني : قال رسول الله ﷺ " عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة).

يقول ابن كثير : (عمارة بيت المقدس سببا في خراب المدينة النبوية).وهذا الخراب هو الخراب الجزئي لان الخراب الكلي يكون بعد خروج الدجال وموته .

تغيّر الظواهر الكونية والطبيعية

تشير النصوص الشرعية إلى جملة من الإخبارات المتعلقة بتغير بعض الظواهر الكونية والطبيعية في آخر الزمان، بما يعكس قدرة الله تعالى في تصريف الكون وتقلب أحواله، ومن ذلك تغير طبيعة بعض البلاد، وانحسار بعض الأنهار، وظهور آيات كونية غير معتادة، إضافة إلى وقوع بعض الخوارق والعقوبات الكونية.

أولًا:عَودةُ جَزيرةِ العَرَبِ جَناتٍ وأنهارًا:

ورد في السنة النبوية الإخبار عن تحولات تقع في طبيعة أرض العرب، حيث تعود إلى حالة من الخصب وكثرة المياه بعد أن كانت في مراحل مختلفة من الجفاف أو العمران المتغير.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم السَّاعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا" [269] [268].

قال رسول الله ﷺ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا) [270].

وقد بيّن بعض أهل العلم أن هذا الوصف يدل على تغير أحوال الأرض من حيث الخصب والزرع وكثرة المياه، بعد أن كانت في بعض الأزمنة أقل خصوبة.

قال الْمظهريُّ: (قيلَ: في زَمانٍ قَديمٍ كان أكثَرُ أرضِ العَرَبِ مُروجًا وصَحارى مُتَدَفِّقةً بالمياه، ذاتَ أشجارٍ وثِمارٍ، فتَبَدَّلَ العُمرانُ بالخَرابِ، والرِّيفُ بالتَّبابِ، والِاجتِماعُ بالِافتِراقِ، وذلك دَأبُ الله تعالى في البِلادِ والعِبادِ... «الْمُروجُ»: جَمعُ مَرْجٍ، وهو الرَّوضةُ) [271].

---

(268) (المروج): جمع مرج، وهوة الفضاء الواسع، ويقال للأرض ذات الكلأ: مرج. ومنه قولهم: مرج الدابة يمرجها: إذا أرسلها ترعى في المرج.انظر: "لسان العرب" (2/ 364).

(269) "صحيح مسلم"، كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة، (7/97- مع شرح النووي).

(270) أخرجه مسلم (157).

(271) يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (5/ 392).

وقال ابنُ الْملكِ الكرمانيُّ: (وحَتَّى تَعودَ أرضُ العَرَبِ مُروجًا) أي: رياضًا ومَزارِعَ. (وأنهارًا): قيلَ: كانت أكثَرُ أراضيهم أوَّلًا مُروجًا وصَحارى ذاتَ مياهٍ وأشجارٍ، فخَرِبَت، ثُمَّ تَكونُ مَعمورةً باشتِغالِ النَّاسِ في آخِرِ الزَّمانِ بالعِمارةِ) [272].

والذي يؤيد هذا أنه ظهر في هذا العصر عيون كثيرة تفجرت كالأنهار، وقامت عليها زراعات كثيرة، وسيكون ما أخبر به رسول الله ﷺ ، فقد روى معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال في غزوة تبوك: "إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله عين تبوك،...."يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هُنا مُلِئ جِناناً [273].

ثانيًا:انحِسارُ الفُرَاتِ عَن جَبَلٍ من ذَهَبٍ:

بمعنى انخفاض منسوب المياه في نهر الفرات وهو النَّهرُ الْمَعروفُ الذي ينبع من تركيا ويمر في سوريا ويصب في شط العرب في العراق بطول 2940 كم.

قال رسول الله ﷺ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو) [274].

وعَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: (يوشِكُ الفُرَاتُ أن يَحْسِرَ عَن كنزٍ من ذَهَبٍ، فمَن حَضَرَه فلا يَأخُذْ مِنه شَيئًا) [275].

وقوله : يَحْسِرُ عَن ذَهَبٍ؛أي: جَبَلٍ من ذَهَبٍ أو كنزٍ من ذَهَبٍ، ذلك الْمَعدِنُ الأصفَرُ الْمَعروفُ.

قال أبو العَبَّاس القُرطُبيُّ: (قَولُه: ((فمَن حَضَرَه فلا يَأخُذْ مِنه شَيئًا)) نَهيٌ على أصلِه مِنَ التَّحريمِ؛ لأنَّه لَيسَ مِلكًا لأحَدٍ، ولَيسَ بمَعدِنٍ ولا رِكازٍ، فحَقُّه أن يَكونَ في بَيتِ الْمالِ، ولِأنَّه لا يُوصَلُ إليه إلَّا بقَتْلِ النُّفوسِ، فيَحرُمُ الإقدامُ على أخذِه) [276].

---

(272) يُنظر: ((شرح المصابيح)) (5/ 539).

(273) "صحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ ، (15/40-41- مع شرح النووي).

(274) أخرجه مسلم (2894).

(275) أخرجه البخاري (7119)، ومسلم (2894).

(276) يُنظر: ((المفهم)) (7/ 229).

وقال ابنُ حَجَرٍ: (إنَّ السَّبَبَ في النَّهيِ عَنِ الأخذِ مِنه ما يَترَتَّبُ على طَلَبِ الأخذِ مِنه مِنَ الِاقتِتالِ فضلًا عَنِ الأخذِ) [277].

يقول النووي ، وقد يكون ذلك بسبب تحول مجراه، فينكشف جبل من الذهب قد طمر تحته .

وليس المقصود بهذا الجبل من ذهب (النفط/ البترول الأسود)؛ كما يرى ذلك أبو عبية في تعليقه على "النهاية/ الفتن والملاحم" لابن كثير [278]، وذلك من وجوه:

1-أن النص جاء فيه: "جبل من ذهب"، والبترول ليس بذهب على الحقيقة؛ فإن الذهب هو المعدن المعروف.

2-أن النبي ﷺ أخبر أن ماء النهر ينحسر عن جبل من ذهب، فيراه الناس، والنفط أو (البترول) يستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة.

أن النبي ﷺ خص الفرات بهذا دون غيره من البحار والأنهار، والنفط نراه يستخرج من البحار كما يستخرج من الأرض، وفي أماكن كثيرة متعددة. أن النبي ﷺ أخبر أن الناس سيقتتلون عند هذا الكنز، ولم يحصل أنهم اقتتلوا عند خروج النفط من الفرات أو غيره، بل إن النبي ﷺ نهى من حضر هذا الكنز أن يأخذ منه شيئًا؛ كما في الرواية الأخرى عن أبي بن كعب رضي الله عنه؛ قال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدُّنيا .... إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يوشك الفرات أن يحسر عن جبلٍ من ذهبٍ، فمن حضره، فلا يأخذ منه شيئًا" [279]، ومن حمله على النفط؛ فإنه يلزمه على قوله هذا النهي عن الأخذ من النفط، ولم يقل به أحد [280].

وقد رجح الحافظ ابن حجر أن سبب المنع من الأخذ من هذا الذهب لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه [281].

وبالمناسبة : فان الزلزال الذي اصاب تركيا بدرجة 7، 7 اصاب اربعة مدن تقع على نهر الفرات وهي جرابلس في سوريا وهالفتي اديامان ملاطية في تركيا ، وفي اديامان ظهرت تشققات واسعة في

(277) يُنظر: ((فتح الباري)) (13/ 81).

(278) "النهاية/ الفتن والملاحم" (208/1)، تحقيق محمد فهيم أبو عبية.

(279) "صحيح مسلم"، كتاب الفتن وأشراط الساعة، (19/18- مع شرح النووي).

(280) انظر: "إتحاف الجماعة" (489/1-490).

(281) انظر: "فتح الباري" (81/13).

الارض اضافة الى تحرك تركيا ثلاث امتار، نهر فيه جبل تحدث فيه زلازل وانشقاقات في الارض يجعل المياه تتسرب عبر الانشقاقات مما يؤدي الى انخفاض منسوب المياة وظهور الجبل . انهيار سد من السدود القائمة على نهر الفرات .

ثالثا: تكليم السّبَاع والجمَاد للانسان:

ومن الخوارق التي أخبر بها النبي ﷺ وقوع تغيّرات غير مألوفة في إدراك بعض المخلوقات وكلامها في آخر الزمان:

سلام الحجر عليه ،«إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».وشكوى الجمل له، فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ فَجَرْجَرَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ. إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ . تُكْرِهُهُ وَتُتْعِبُهُ .».

وتكلم الشاة المسمومة حتى قال ﷺ لاصحابه «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ».

ومثل هذا يحدث اخر الزمان فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ)

رابعا: الخسف والمسخ والقذف

تشير النصوص الشرعية إلى وقوع بعض الظواهر الكونية غير المعتادة في بعض الأزمنة، والتي تُعد من الآيات الإلهية الدالة على قدرته سبحانه وتعالى، ومنها الخسف والمسخ والقذف، وهي صور من العقوبات التي تقع عند انتشار الفساد وظهور الانحرافات العظيمة.

الخسف: وهو ذهاب الأرض بمن عليها أو انهيار جزء منها.

المسخ: تحويل صورة الإنسان إلى صورة أخرى عقوبةً له.

القذف: إنزال العذاب من السماء على بعض الأمم.

قال رسول الله ﷺ:(سيكونُ في آخرِ الزمانِ خَسْفٌ وقذفٌ ومَسْخٌ ، إذا ظَهَرَتِ المعازِفُ والقَيْناتُ ، واسْتُحِلَّتِ الخمْرُ). (282)

(282) أخرجه الترمذي (2212) واللفظ له، والديلمي في ((الفردوس)) (8725)

إذا ظهَرَتْ في هذِه الأُمَّةِ بعضُ المعاصي والآثامِ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يُعاقِبُها ببعضِ ما عاقبَ به الأُمَمَ الهالِكةَ؛ زجْرًا لتلك الأُمَّةِ أنْ تأخُذَ طريقَ العِصيانِ.

وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النَّبيُّ ﷺ: "في هذِه الأُمَّةِ"، أي: يقَعُ فيها، والمرادُ أُمَّةُ الإجابةِ، "خسْفٌ" وهو الهُبوطُ الَّذي يقَعُ بجُزْءٍ مِن الأرضِ، "ومسْخٌ"، وهو تَحويلُ الصُّورةِ وتبْديلُها إلى أقبَحَ منها، كما مُسِخَت بنو إسرائيلَ قِردةً وخنازيرَ. وقيل: المرادُ بالمسْخِ هنا على ظاهرِه لِمَن أراد اللهُ أنْ يُعجِّلَ له العُقوبةَ في الدُّنيا، "وقذْفٌ"، وهو الرَّمْيُ بالحِجارةِ كما حدَثَ لقَومِ لُوطٍ، قال عِمرانُ رضِيَ اللهُ عنه: "فقال رجُلٌ مِن المسلِمينَ: يا رَسولَ اللهِ، ومتى ذلك؟" أي: يَسأَلُ عن أَسبابِ وُقوعِ هذا العَذابِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: "إذا ظَهَرَتِ القِيانُ"، جمْعُ القَيْنَةِ، وهي الأَمَةُ الَّتي تُغنِّي، "والمعازفُ، وشُرِبَت الخُمورُ"، والمرادُ: أنَّ هذا العَذابَ يقَعُ بالأُمَّةِ إذا اسْتُحِلَّ شُربُ الخَمْرِ الَّذي هو مِن الكَبائرِ، والإقبالُ على اللَّهوِ بسَماعِ الأغاني والمعازِفِ.

خامسا : كثرةُ الزَّلازِلِ

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسولُ الله ﷺ: ((لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى يُقبَضَ العِلمُ، وتَكثُرَ الزَّلازِلُ، ويَتقارَبَ الزَّمانُ، وتَظهَرَ الفِتَنُ، ويَكثُرَ الهَرْجُ، وهو القَتْلُ القَتْلُ ...) [283]

قال الْمظهريُّ: (((حَتَّى تَكثُر الزَّلازِلُ)) الزَّلازِلُ: جَمعُ زَلزَلةٍ، وهيَ تَحريكُ الأرضِ. يَعني: يَكونُ تَحريكُ الأرضِ في آخِرِ الزَّمانِ كثيرًا) [284]

وقال ابنُ عُثَيمين: (أخبَر النَّبيُّ ﷺ أنَّه لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى تَكثُر الزَّلازِلُ، وهيَ نَوعانِ: زَلازِلُ حِسِّيَّةٌ تَهُزُّ الأرضَ، فتُدَمِّرُ القُرى والمساكِنَ، وزَلازِلُ مَعنَويَّةٌ تُزَلزِلُ الإيمانَ والعَقيدةَ والأخلاقَ والسُّلوكَ، حَتَّى يَضطَرِبَ النَّاسُ في عَقائِدِهم وأخلاقِهم وسُلوكِهم، فيَعودَ الحَليمُ العاقِلُ حيرانَ، والحَديثُ مُحتَمِلٌ لكُلٍّ مِنهما، وهو في الأوَّلِ أظهَرُ) [285]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الزلازل من الآيات التي يخوف الله بها عباده كما يخوفهم بالكسوف وغيره من الآيات والحوادث لها أسباب وحكم، فكونها آية يخوف الله بها عباده هي من حكمه

(283) أخرجه البخاري (1036) واللَّفظُ له، ومسلم (157).

(284) يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) (5/ 369).

(285) يُنظر: ((الضياء اللامع من الخطب الجوامع)) (8/ 638).

ذلك، وأما أسبابه فمن أسبابه انضغاط البخار في جوف الأرض كما ينضغط الريح والماء في المكان الضيق، فإذا انضغط طلب مخرجا فيشق ويزلزل ماقرب منه من الأرض" اهـ .

ويضيف ابن القيم: "فتحدث فيها الزلازل العظام فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية والإنابة والإقلاع عن معاصيه والتضرع إليه والندم" اهـ

المبحث السابع

تغيّر الحرم المكي والمدني وخرابهما

خراب المدينة النبوية.

استحلال البيت الحرام وهدم الكعبة.

هدم الكعبة في آخر الزمان.

خراب (يثرب) المدينة المنورة

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (عمران بيت المقدس خرابُ يَثْرب ، وخراب يثرب خُروج الملحمة ، وخُروج الملحمة فتح قسطنطينية ، وفتح القسطنطينينة خروج الدجال ...) [286] .

ومعنى (عُمران بيت المقدس) أي : عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال .وعمرانه سبب خراب يثرب وهو وقت خرابها . لأن عمرانه يَكُوْن باستيلاء الكفار . وقيل المراد بعمران بيت المقدس : عمرانه بَعْدَ خرابه ، فإنه يخرب في آخر الزمان ثُمَّ يعمره الكفار .

والأصح : أن المراد بالعمران : الكمال في العمارة ، أي عمران بيت المقدس كاملاً مجاوزاً عن الحد . وقت خراب يثرب . ، فإن بيت المقدس لايخرب [287] .

وأَمَّا قوله ﷺ : (خراب يثرب) فيثرب اسم المدينة المشرفة [288] ، مدينة سيدنا رسول ﷺ[289]، فقد كانت تسمى بذلك في الجاهلية ، فكره رسول الله ﷺ تسميتها بهذا الاسم [290]، كما في حَدِيث أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أُمرت [291] بقرية تأكل [292] القُرى ، يقولون يثرب، وهي المدينة.) الحَدِيث [293] فيُفهم من هذا الحَدِيث النهي عن تسمية المدينة (يثرب

([286]) أَخرَجَه أبو داود في الملاحم باب في امارات الملاحم : 4/ 482 رقم 4294 ، وجوّد إسناده وحسنه ابن كثير في النهاية في الفتن : 1/ 94 ، وكذلك حسنه الألباني في المشكاة : 3 / 1494 رقم 5424 .

([287]) عون المعبود : 11 / 400 . 401 .

([288]) المصدر السابق .

([289]) لسان العرب : 1/ 235 .

([290]) الأَحَادِيث الواردة في فضائل المدينة 34 .

([291]) أي : أُمرت بالهجرة اليها ، قاله الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه : 105 .

([292]) أي : انها مركز جيوش الاسلام في أول الأمر فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها وهناك وجه آخر وهو أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها . [ينظر : شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 9 / 154 ، غريب الحَدِيث : 1/ 434 للخطابي ، شرح السنة : 7 / 320 للبغوي] .

([293]) أَخرَجَه مُسْلِم في الحج باب المدينة تنفي شرارها : 2/ 1006 رقم 1382 .

) .

قال النووي رحمه الله عند شرحه لهذا الحَدِيث : (يعني أن بعض الناس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب ، وإنَّمَا اسمها المدينة وطابة وطيبة ، ففي هذا كراهة تسميتها يثرب) [294] .

وسبب كراهيته ﷺ لهذا الاسم لأنه مأخوذ من الثَّرْب ، وهو فساد في كلام العرب [295] ، أو من التثريب ، وهو التوبيخ والملامة ، وكان النبي ﷺ يغير الاسم القبيح إلى الحسن [296] .

وذكر النووي: أن تسميتها في القرآن (يثرب) إنَّمَا هو حكاية عن قول المنافقين الَّذِينَ في قلوبهم مرض [297]

وأَمَّا مايتعلق بخراب المدينة ، فقد ثبت في الأَحَادِيث الصحيحة مايدل عَلَى حدوث ذلك في آخر الزمان ، قرب قيام السَّاعَة ، وأن الناس يخرجون مِنْهَا بالكلية ، ففي الحَدِيث عن أبي هُرَيْرَة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(تتركون المدينة عَلَى خير ماكانت لايغشاها إلا العوافي . يريد عوافي السباع والطير– وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً ، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا عَلَى وجوههما)) [298] .

وفي رواية : ((لتُتْرَكَنَّ المدينة عَلَى أحسن ماكانت حتى يدخل الكلبُ أو الذئب فَيُغَذّي [299] عَلَى بعض سواري المسجد أو عَلَى المنبر)) فقالوا : يارسول الله فلمن تكون الثمار ذلك الزمان ؟ قال :

([294]) شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 9 / 154 .

([295]) لسان العرب : 1 / 235 ، غريب الحَدِيث : 1 / 119 لابن الجوزي ، الأَحَادِيث الواردة في فضائل المدينة : 34 .

([296]) الأَحَادِيث الواردة في فضائل المدينة : 34 . 35 ، ولمزيد من التفصيل في هذا الموضوع يرجع إلى هذا الكتاب فإنه نافع في بابه .

([297]) شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 9 / 155 .

([298]) أَخرَجَه البُخَارِي في فضائل المدينة باب من رغب عن المدينة (4 / 107 رقم 1874 مع الفتح) . و مُسْلِم (9 / 160 بشرح النووي) .

([299]) يُغَذّي : أي يبول عليها ، يقال غذي ببوله إذا ألقاه دفعة دفعة . (النهاية في غريب الحَدِيث 3 / 347) .

((للعوافي . الطير والسباع)) [300] .

قال ابن كثير: (والمقصود أن المدينة تكون عامرة أيام الدجال ، ثُمَّ تكون عامرة في زمان عيسى بن مريم رسول الله ﷺ حتى تكون وفاته بها ودفنه فيها ، ثُمَّ يخرج الناس مِنْهَا بَعْدَ ذلك) [301] .

وعن عوف بن مالك قال : دخل رسول الله ﷺ . المسجد ثُمَّ نظر إلينا فقال :(أما والله ليدعنها أهلها مُذَلَّلَةً أربعين عاماً للعوافي . أتدرون ماالعوافي ؟ الطير والسباع) [302] .

قال الحافظ بن حجر عقب ذكره لهذا الحَدِيث مانصه : (وهذا لم يقع قطعاً) [303]

والحاصل : أنه يُستدل من هذه النصوص ومن كلام العُلَماء عليها أن المدينة النبوية تخرب فيخرج الناس مِنْهَا بالكلية في آخر الزمان قرب قيام السَّاعَة بَعْدَ خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم كما تقدم من كلام ابن كثير

هذا مايتعلق بالسلسلة الثانية المذكورة في حَدِيث معاذ السابق وهي (خراب يثرب) بَعْدَ أن ذكر أن عمران بيت المقدس سبب لخرابها ، ثُمَّ ذكر ﷺ في حَدِيث معاذ السابق السلسلة الثالثة في الحَدِيث وهي خروج الملحمة فقال : ((... وخراب يثرب خروج الملحمة ....)) أي : أن خرابها سبب لظهور الملحمة والحرب العظيمة بين أهل الشَّام والروم ، وقيل : بين تاتار و الشَّام . والأظهر هو الأول [304] .

([300]) أَخرَجَه مالك في الموطأ : 2 / 888 ، وقد استشهد بهذا الحَدِيث الحافظ بن حجر في الفتح 4 / 108 وَقَالَ عقبه : (رواه جماعة من الثقات خارج الموطأ) ، وأصله في الصحيحين كما في الحَدِيث الَّذِيْ قبله .

([301]) النهاية في الفتن : 1 / 207 .

([302]) رواه عمر بن شبة بإسناد صحيح كما قال الحافظ في الفتح : 4 / 108 ، وأصله في صحيح مُسْلِم (9 / 159 . 160 بشرح النووي) بنحو هذا اللفظ .

([303]) الفتح : 4 / 108 .

([304]) عون المعبود : 11 / 401 .

وعن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: « آخر قرية من قرى الإسلام خرابًا المدينة » [305].

وعن حذيفة رضي الله عنه؛ قال: "أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم السَّاعَة، فما منه شيء؛ إلا قد سألته؛ إلا أني لم أسأله: ما يخرج أهل المدينة من المدينة ؟ » [306].

وعن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه: أنه قال: "لا يأتي عليكم إلا قليل، حتى يقضي الثعلب وسنته بين ساريتين من سواري المسجد (يعني: مسجد المدينة، يقول: من الخراب) ". [307]

قال ابن الأثير : "أي: يقضي نومته؛ يريد خلو المسجد من الناس بحيث ينام فيه الوحش".

([305]) رواه: التِّرْمِذيّ، وابن حبان في "صحيحه"، وَقَالَ التِّرْمِذيّ : "هذا حَدِيث حسن غريب".

([306]) رواه الإمام أَحْمَد . وأبو داود الطيالسي، و مُسْلِم .

([307]) رواه ابن أبي شيبة .

استحلال البيت الحرام وهدم الكعبة

عن عبد اللَّه بن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن رَسُول اللَّه ﷺ قَال يوم فتح مكة :(إن هذا البلد حَرَّمه اللَّه يوم خلق السموات و الْأَرْض ، فهو حرام بحرمة اللَّه إلى يوم الْقِيَامَة) [308].فلا يحل لساكن الحرم وقاصده أن يهتك حرمته بإذاء النَّاس فيه ، فإن اللَّه يقول : (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا). [309]

قَال ابن كثير:(يعني حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء) وقَال عبد العَزِّيز بن باز : « يعني وجب أن يأمَّن ، وليس المعنى أن لايقع فيه أذى لأحد ، ولا قتل ، بل ذلك قد يقع ،و إنَّمَا المقصود أنَّ الواجب تأمين من دخله وعدم التعرض له بسوء .)

وهذا مصداق قول اللَّه تعالى : « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا »[310]. الا أن هذا الحرمَ حرمٌ آمن ما لم يستحله أهله ، فإن استحله أهله فقد الا من وهذا عند قرب يوم الْقِيَامَة وخراب الدُّنْيَا كما يقول النووي لذلك حدث القتال في مكة مراتٍ عديدة ، وأعظم ذلك ما وقع من القرامطة في القرن الرابع الهجري ، حيث قتلوا المسْلِمينَ في المطاف ، وقلعوا الحجر الاسود ، وحملوه الى بلادهم ، ثُمَّ أعادوه بَعْدَ مدة طويلة ، وهذا مِمَّا لا يتعارض مع الا ية لأنه وقع بأيدي المسْلِمينَ والمنتسبين إلى الا سلام وهو مطابق لما رواه الامام أَحْمَد أن رَسُول اللَّه ﷺ قَال : « ولن يستحل البيت الا أهله ، فإن استحلوه ، فلا يُسأل عن هلكة العرب).

وعليه ، فلا يستحل البيت الحرام الا اهله ، وأهلُه هم المسْلِمون ، فإذا استحلوه ، فإنه يصيبهم الهلاك ثُمَّ يخرج رجلٌ من أهل الحبشة ، يقَال له : ذوالسُّوَيْقَتَيْنِ ، فيُخْرب الكعبة ،وينقضها حجراً حجراً، ويسلبها حليتها ، ويجردها من كسوتها.

---

308 /

309 / آل عمران : 97

310 / العنكبوت : 67

1-عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَمْعَانَ قَال : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَة يُخْبِرُ أَبَا قَتَادَةَ أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَال (يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ الا أَهْلُهُ ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا يُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ[311] .

2-عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرٍو قَال : سَمِعْتُ رَسُول اللَّه ﷺ يَقُولُ : « يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصَيْلِعَ ، أُفَيْدِعَ يَضْرِبُ عَلَيْهِ ا بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ . [312]

أصليع : قَال ابن الاثير : تصغير أصلع ، وهو الَّذِيْ انحسر الشعر عن رأسه

أُفيدع : قَال ابن الاثير : تصغير أفدع ، والفدع بالتحريك زيغ بين القدم وبين عظم الساق ، وكذلك يَكُوْن في اليد ، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها .

3-عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَال : قَال رَسُول اللَّه ﷺ : يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ[313]

ذُوالسُّوَيْقَتَيْنِ : تَثْنِيَة سُوَيْقَة وَهِيَ تَصْغِير سَاقَ أَيْ لَهُ سَاقَانِ دَقِيقَانِ . قَال ابن الاثير : السويقة : تصغير الساق ، وهي مؤنثة ، فلذلك ظهرت التاء في تصغيرها ، وإنَّمَا صغر الساق لأن الغالب عَلَى سوق الحبشة الدقة والحموشة . فالمقصود صاحب الساقين الدقيقتين ، الَّذِيْ انحسر شعره عن رأسه وبه زيغ بين القدم وبين عظم الساق وكذلك مفاصله

4-عَنْ ابْنَ عَبَّاس أَخْبَرَهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَال : :« كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَنْقُضُهَا حَجَرًا

---

311 / رواه الامام أَحْمَد

312 / رواه الامام أَحْمَد وهذا إسناد جيد قوي.

313 / رواه الشيخان والامام أَحْمَد

حَجَرًا .[314] يَعْنِي الْكَعْبَةَ . ».وفي رواية : (فيهدمها) . أفحج : قَال ابن الا ثير في النهاية : الفحج تباعد ما بين الفخذين .

والمقصود أنه رجل أسود في مشيته فحج أي : تداني صدور قدميه وتباعد عقباه أو تباعد ما بين الفخدين .

5–عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قَال: (اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة الا ذو السُّوَيْقَتَيْنِ من الحبشة) [315].

إيـرادٌ : هل هناك تعارض بين قوله تعالى : « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا »[316]. وبين الأحاديث الآنفة الذكر ؟ قَال الحافظ ابن حجر في الفتح : قِيلَ : هَذَا الحَدِيث يُخَالِف قَوْله تَعَالَى " :« أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا »[317]. وَلِأَنَّ اللَّه حَبَسَ عَنْ مَكَّة الْفِيل وَلَمْ يُمَكِّن أَصْحَابه مِنْ تَخْرِيب الْكَعْبَة وَلَمْ تَكُنْ إِذْ ذَاكَ قِبْلَة , فَكَيْفَ يُسَلِّط عَلَيْهِ ا الْحَبَشَة بَعْدَ أَنْ صَارَتْ قِبْلَة لِلْمُسْلِمِينَ ؟ وَأُجِيبَ بِأَنَّ ذَلِكَ مَحْمُول عَلَى أَنَّهُ يَقَع فِي آخِر الزَّمَان قُرْب قِيَام السَّاعَة حَيْثُ لَا يَبْقَى فِي الْأَرْض أَحَد يَقُول اللَّه اللَّه ,كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيح مُسْلِم " لَا تَقُوم السَّاعَة حَتَّى لَا يُقَال فِي الا رْض اللَّه اللَّه " وَلِهَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَة سَعِيد بْن سَمْعَان " لَا يَعْمُر بَعْده أَبَدًا " وَقَدْ وَقَعَ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهِ مِنْ الْقِتَال وَغَزْو أَهْل الشَّامّ لَهُ فِي زَمَن يَزِيد بْن مُعَاوِيَة ثُمَّ مِنْ بَعْده فِي وَقَائِع كَثِيرَة مِنْ أَعْظَمهَا وَقْعَة الْقَرَامِطَة بَعْدَ الثَّلَاثمائَةِ فَقَتَلُوا مِنْ المسْلِمِينَ فِي الْمَطَاف مَنْ لَا يُحْصَى كَثْرَة وَقَلَعُوا الْحَجَر الاسْوَد فَحَوَّلُوهُ إِلَى بِلَادهمْ ثُمَّ أَعَادُوهُ بَعْدَ مُدَّة طَوِيلَة , ثُمَّ غُزِيَ مِرَارًا بَعْدَ ذَلِكَ , كُلّ ذَلِكَ لَا يُعَارِض قَوْله تَعَالَى : « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا »[318]. لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ بِأَيْدِي المسْلِمِينَ فَهُوَ مُطَابِق لِقَوْلِهِ ﷺ " وَلَنْ يَسْتَحِلّ هَذَا الْبَيْت الا أَهْله ",فَوَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيّ ﷺ, وَهُوَ مِنْ عَلَامَات نُبُوَّته , وَلَيْسَ فِي الايَة مَا يَدُلّ عَلَى اِسْتِمْرَار الامْن الْمَذْكُور فِيهَا) .

---

314 / رواه البخاري وأَحْمَد

315 / رواه أبو داود

316 / العنكبوت : 67

317 / العنكبوت : 67

318 / العنكبوت : 67

اختلافُ العُلَماء في تحديدِ زمن تخريب الكعبة:

لقد نقل المباركفوري محقق كتاب السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها لأبي عمر الداني الخلاف بين العُلَماء فقَال : ووقع اختلاف بين العُلَماء في تحديد الزمن الَّذِيْ يقع فيه تخريب الكعبة عَلَى عدة أقوال :

مِنْهَا : أنه يقع في زمن عِيسَى عَلَيْهِ السلام ، وهو مروي عن كعب الا حبار ، واختاره الحليمي ، وذكره ابن كثير عن كعب ، ثُمَّ عقب عَلَيْهِ بقوله : " قلت : وتقدم في الحَدِيث الصحيح : أن عِيسَى عَلَيْهِ السلام يحج بَعْدَ نزوله إلى الْأَرْض . وقيل : إنه يقع في زمنه ، وبَعْدَ هلاك يأجوج ومأجوج ، للحديث المذكور ، ولما ثبت : " لحجن هذا البيت وليعتمرن بَعْدَ خروج يأجوج ومأجوج . "قَال في الاجابة عنه:إن المراد بذلك ليحجن مكان البيت .

وقيل أيضا : إنه يقع قبل خروج الدجال ونزول عِيسَى عَلَيْهِ السلام ذكره القرطبي عن أبي حامد الغزالي وقيل : إنه يقع بَعْدَ خروج الدابة وقيل : إنه يقع بَعْدَ الايات كلها قرب قيام السَّاعَة حين ينقطع الحج ، ولا يبقى في الا رض من يقول : اللَّه ، اللَّه ، ذكر هذا و الَّذِيْ قبله البرزنجي والسفاريني ، وذكرا في تأييد الا خير أن زمن عِيسَى عَلَيْهِ السلام كله زمن سلم و بركة وأمان وخير ، وأن البيت قبلة الا سلام ، والحج إِلَيْهِ أحد أركان الدين ، فالحكمة تقتضي بقاءه ببقاء الدين ، فإذا جاءت الريح الباردة الطيبة ، وقبضت المؤمنين فبعد ذلك يهدم البين . ونقل السفاريني عن الشيخ مرعي الكرمي كلاما طويلا في ذلك ، خلاصته أن هدم الكعبة بَعْدَ الايات كلها ، ثُمَّ قَال : وإن كان هذا لا يخلو من تأمل . وذهب القرطبي وابن كثير إلى أن ذلك يقع بَعْدَ موت عِيسَى عَلَيْهِ السلام . ويبدو لي أن الانسب هو عدم التعرض لتحديد الوقت الَّذِيْ يقع فيه هدم الكعبة لكون أحاديث الباب مطلقة ، الا أنه من كبرى العلامات التي تعقبهاالسَّاعَة ، لأنه جاء في حَدِيث أبي هُرَيْرَة : فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا .

الفصل الثاني

الأخبار النبوية في الملاحم والمعارك العالمية

المبحث الأول

الملحمة الكبرى والمقتلة العظمى

زمان الملحمة.مكانها.

من هم الروم؟

وصف المعركة.

عدد الجيوش.

نتائج الملحمة.

الملحمة الكبرى والمقتلة العظمى

فمن علامات الساعة والأَخْبَار النَبَوِيَّة الصادقة في الأَحْدَاثِ الْعَالميَّةِ المقْبِلَةِ التي يجب الايمان بوقوعها وتبعث الأمل في قلوب المؤمنين وترسخ الوعي بما سيحدث من المعارك العظام في مستقبل الأيام حرب تسمى "الملحمة الكبرى والمقتلة العظمى".

فهذه البلاد الشامية بأرضها المباركة وبجنودها المكفولة من رب البرية ستخوض معركة مستقبلية، معركة فاصلة قاطعة صارمة حاسمة ، سميت بالملحمةِ لشدة اختلاط الناس فيها، وكثرة القتل حتى يصير القتلى كاللحم الملقى.

زمان الملحمة :

تقع الملحمة الكبرى في آخر الزمان، بعد خراب المدينة المنورة، وقبل فتح القسطنطينية [319] وخروج الدجال، لما ثبت في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (عمران بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ) [320] .

وقد ذكر أهل العلم أن هذه الأحداث تأتي متتابعة، بحيث يكون كل واحد منها علامةً على قرب ما بعده، وإن وُجدت بينها مهلة زمنية. "فكل واحد من هذه الأمور أمارة لوقوع مابعده وإن وقع هناك مُهْلَة". [321] .

([319])القسطنطينية: هي مدينة الروم، ويقال لها: قُسطَنطينيَّة . بإسقاط ياء النسبة وتُعرف الْيَوْم بـ (اصطنبول) أو (استانبول) ، وهي من مدن تركيا ، وكانت تُعرف قديماً باسم (بيزنطة) ثم لما ملك قسطنطين الأكبر . ملك الروم . بَنَى عليها سوراً وسماه قسطنطينية ، وجعلها عاصمة ملكه ، ولها خليج من جهة البحر يطيف بها من وجهين مِمَّا يلي الشرق والشمال ، وجانباها الغربي والجنوبي في البحر . (ينظر : معجم البلدان : 4 / 347 . 348 بتصرف وزيادة) .

([320])أَخرَجَه أبو داود في الملاحم باب في امارات الملاحم : 4/ 482 رقم 4294 ، وجوّد إسناده وحسنه ابن كثير في النهاية في الفتن : 1/ 94 ، و حسنه الألباني في المشكاة : 3 / 1494 رقم 5424 .

([321])عون المعبود : 11 / 401 ، بذل المجهود : 17 / 209 .

طرفا النزاع :

طرفا هذه المعركة هما: المسلمون والروم.

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن الروم هم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. [322] وذهب بعض المعاصرين إلى أن المراد بالروم في هذا العصر: الدول الغربية ذات الامتداد الأوروبي والأمريكي، باعتبارها الامتداد الحضاري والسياسي للروم.

مكان الملحمة :

تكون الملحمة بأرض الشام، كما دلت على ذلك النصوص الصحيحة.:

1- عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ :(لاتقوم السَّاعَة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق [323] فيخرجُ إليهم جيشٌ من المدينة ، من خيار أهل الْأَرْض يومئذٍ...).

2-عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ:(إن فُسْطَاطَ [324] المسْلِمينَ يوم الملحمة بالغُوطَة [325] إلى جانب مدينة يقال لها دِمَشق [326] من خير مدائن الشَّام). [327]

([322])لسان العرب : 12/ 258 ، ومعجم البلدان : 3/ 97 ، ومختار الصحاح : 264 النهاية في الفتن : 1/ 92 .

([323])الأعماق ودابق : موضعان بالشام ، بقرب حلب . (شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 18 / 21 ، معجم البلدان 1 / 222 ، 2 / 416) .

([324])الفسطاط : بضم الفاء وكسرها : المدينة التي فيها مجتمع الناس ، وكل مدينة فسطاط . (النهاية في غريب الحَدِيث : 3/ 445) .

([325])الغُوطة : . بضم الغين ثم واو ساكنة وطاء مهملة . موضع بالشام تحيط به جبال عالية وبها أنهار وأشجار متصلة ، وفيها تقع مدينة دمشق . (معجم البلدان : 4/ 219) . الغوطة مكان معروف الآن في دمشق الشرقية ومنها دوما، وجرمانا، عقربا والغربية ومنها داريا، معضمية الشام،

([326])دمشق : هي قصبة الشام وجنة الْأَرْض

([327])رواه أبو داود في الملاحم باب في المعقل من الملاحم : 4/ 484 رقم 4298، و أَحْمَد: 197/5، والربعي في فضائل الشام : 38 رقم 15 بتخريج الألباني ، والحاكم: 4/ 486 وَقَالَ: (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي وأقرّه المنذري في الترغيب : 4/ 63 ، وَقَالَ الألباني في تخريج فضائل الشام 38 الحَدِيث 15 (وهو كما قالوا) وكان قد صححه في أول هذا الموضع وقبل تخريجه له فقال: (حَدِيث صحيح) ثم خرجه .

فيدل الحديثان على أن أرض الشام ستكون ميدان هذه المعركة الكبرى، وأن غوطة دمشق ستكون مركز تجمع المسلمين وقيادتهم العسكرية يومئذ.

وقد وصف النبي ﷺ دمشق بأنها من خير مدائن الشام، بل هي خيرها عند كثير من أهل العلم. لأن بعض الأفضل قد يَكُوْن أفضل بدليل خبر عائشة رضي الله عنها : (كان ـ أي النبي ﷺ ـ من أحسن الناس خلقاً) [328] ، مع كونه أحسنهم [329]

أما دابق والأعماق فهما منطقتان قرب حلب شمالي الشام، مما يؤكد أهمية بلاد الشام في أحداث آخر الزمان، وأنها ستكون موطن الصراع الفاصل بين قوى الإيمان والكفر.

وهذا يدل على أهمية هذه البلاد الشامية في مستقبل امة الإسلام وأن هذه الأرض ستكون ميدان العز والانتصار المؤزر في معركة الحق مع الباطل؛ فلا يستكينوا لطاغية ولا يستسلموا لمكر داهية. بل يقبلون على الإعداد والجمع لاعداء ماكرة ، فما هو آتٍ أعظم مما فات .

بداية الملحمة والهدنة مع الروم

تبدأ أحداث الملحمة بهدنة وصلح آمن بين المسلمين والروم، كما ثبت عَنْ ذِي مِخْبَرٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا) [330]وقوله : آمناً ، **أي** : ذا أمن .

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ: (اعْدُدْ سِتاً بين يَدَي السَّاعَة) فذكر مِنْهَا : (.. ثُمَّ هُدْنَةٌ [331] تكون بينكم وبين بني الأصفر). [332] [333]

وسُمِّي الروم ببني الأصفر لشقرة ألوانهم.

وتكون هذه الهدنة بعد قتال سابق، ثم يقع تعاون عسكري بين المسلمين والروم ضد عدو

([328])أَخرَجَه مُسْلِم في الفضائل ، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً 4/ 1805 رقم 2310 .

([329])فيض القدير : 2/ 463 ، عون المعبود : 11/ 406 .

(**330**) أخرجه أبو داود (4292) على الشك في اسم الراوي "ذو مخبر" أو "ذو مخمر"، وابن ماجه بعد حديث (4089)، وأحمد (16825) باختلاف يسير وسميا الراوي "ذو مخمر"

([331])أن الهدنة هي الصلح عَلَى ترك القتال بَعْدَ التحرك فيه .

([332])بنو الأصفر : هم الروم

([333])رواه البُخَارِي (3176)

مشترك، كما جاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي: (فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَ هُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ) [334] أي : أن المسْلِمينَ والروم يغزون معاً عدواً آخرين بالمشاركة والاجتماع . بسبب الصلح الَّذِيْ بينهم، أو أن المسْلِمينَ يغزون عدوهم لوحدهم، والروم يغزون عدوهم بالإنفراد . والاحتمال الأول قيل هو الظاهر .

ولم تُبيّن النصوص هوية هذا العدو المشترك، ولذلك يبقى تعيينه من أمور الغيب التي لا يجوز الجزم فيها بغير دليل.

غدر الروم ونقض العهد

ثُمَّ أخبرﷺ أنهم يُنصرون بَعْدَ غزوهم هذا ويغنمون الأموال ويسلمون من القتل والجرح في القتال كما جاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي: (فَتُنْصَرُونَ وَ تَغْنَمُونَ وَ تَسْلَمُونَ) [335]

وبعد انتصار الطرفين على العدو المشترك، يرجع المسلمون والروم حتى ينزلوا بِمَرْجٍ ذي تُلولٍ، أي بأرض واسعة ذات نبات وتلال مرتفعة. كما أخبر النبي ﷺ بقوله : (ثُمَّ تَرْجِعُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ) [336]

وعند ذلك يقع الغدر من الروم، بسبب تعصبهم لدينهم، كما أخبر النبي ﷺبقوله: (فَيَغْدِرُونَ) وفي رواية أخرى (فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ) [337] .

وسبب الغدر هو ما يقوم به رجل من أهل النصرانية فيرفع الصليب الَّذِيْ هو عبارة عن خشبة مربعة يدَّعون أن عيسى عليه السلام صلب عَلَى خشبة كانت عَلَى تلك الصورة ، فيقول هذا الرجل الَّذِيْ من الروم : غَلَب الصَّليبُ ، أي : دين النَّصَارَى ، قاصداً بذلك إبطال الصلح أو مجرد الافتخار وإيقاع المسْلِمينَ في الغيظ،فحينئذٍ يغضب المسْلِمونَ فيقوم رجل منهم فيدُقُّه،أي: فيكسر الصليب، فعند ذلك تَغْدِرُ الروم،أي: تنقض العهد فتجمع رجالها وجيوشها ، ويجتمعون

(**334**) أخرجه أبو داود (4292) على الشك في اسم الراوي "ذو مخبر" أو "ذو مخمر"، وابن ماجه بعد حديث (4089)، وأحمد (16825) باختلاف يسير وسميا الراوي "ذو مخمر"

(**335**) سبق تخريجه

(**336**) سبق تخريجه

(**337**) سبق تخريجه

للملحمة ، أي للحرب [338] .

كما أخبر النبي ﷺ بقوله : (فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنْ المسْلِمينَ فَيَدُقُّهُ). [339]

وقال ﷺ:(فيقولُ قائلٌ مِن الرُّومِ: غلَب الصَّليبُ، ويقولُ قائلٌ مِن المسلِمينَ: بلِ اللهُ غلَب، ويتداوَلونَها وصليبُهم مِن المسلِمينَ غيرُ بعيدٍ، فيثُورُ إليه رجُلٌ مِن المسلِمينَ فيدُقُّه، ويثُورونَ إلى كاسرِ صليبِهم فيضرِبونَ عُنقَه).

(ويثُورُ المسلِمونَ إلى أسلحتِهم، فيقتَتِلونَ فيُكرِمُ اللهُ تلك العِصابةَ بالشَّهادةِ) [340].أي:بَعْدَ أن تغدِر الروم وتجمع رجالها للحرب،حينئذ يثور ويهوج المسْلِمونَ فيقومون مسرعين إلى أسلحتهم فيقتتلون معهم ، فيكرم الله تلك العصابة ، أي : جماعة المسْلِمينَ بالشهادة [341] .وبذلك تُقْتلُ تلك الفئةُ المسلمة، لتفنى دنياهم، وتُعمَرَ آخرتُهم، بعدما أكرمهم اللهُ بالشهادةِ في سبيله.

فيقول الروم لقائدهم وأميرهم كفيناك حد العرب وبأسهم، بمعنى ان الجيش النصراني سيقولوا لقائدهم قضينا على العرب! و يغترُّ الرومُ بقوتِهم، فيعزِمُون على القتال

تجمع الجيوش

تبدأ الجيوش بالتجمع بعد غدر الروم في ساحة المعركة : كما ثبت عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ [342] قالَ: قال عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ الذي سمع تفاصيل المعركة من النبي وقد نحا بيده الى الشام : عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإسْلَامِ[343]، وَيَجْمَعُ لهمْ أَهْلُ الإسْلَامِ، فقال الصحابي يُسَيْرُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قالَ: نَعَمْ.

([338])عون المعبود : (11/398 . 399) .

(**339**) سبق تخريجه

([340])رواه أبو داود في الملاحم باب مايذكر من ملاحم الروم : 4 / 481 . 482 رقم 4293 ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود : 3 / 809 رقم 3608 .

([341])عون المعبود : 11 / 399 .

([342])يُسَيْر بن جابر : وقيل ابن عمرو الكوفي ، وقيل أصله : أُسير ، فسُهِّلت الهمزة ، ورجح البُخَارِي بأنه أُسير بن عمرو ، واختلفوا في نسبته ، قيل : كندي ، وقيل غير ذلك ، كان من أصحاب ابن مسعود ، وقد روى عنه وعن عمر

وكما في حَدِيث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ: (فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً) [344] أي: فيأتونكم تحت ثمانين راية وتحت كل راية اثنا عشر ألفاً ، يعني جيش قُوامُه تسعَمائة وستين ألفا. فجملة العدد المشار إليه في حَدِيث عوف تسعمائة ألف وستون ألفاً [345]

فالروم يومئذ أكثر عددا كما جاء في حَدِيث المستورد القرشي [346]قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(تقوم السَّاعَة والروم أكثر الناس) [347] .

أما المسلمون فتجتمع لهم جموع كثيرة من بلاد متعددة، ويكون مركز تجمعهم بالشام. وقد وردت نصوص في فضل بعض الطوائف المشاركة في الملاحم، كأهل اليمن، وبني تميم، وطوائف من الموالي الذين يؤيد الله بهم الدين.

1-جيش من مدينة حلب القريبة او من مدينة دمشق لأنها مركز تجمع المسلمين كما ورد عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ : ((لاتقوم السَّاعَة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق [348] فيخرجُ إليهم جيشٌ من المدينة ، من خيار أهل الْأَرْض يومئذٍ ..) [349]

وعلي رضي الله عنهم ، ويقال : أنه رأى النبي ﷺ ، ووثقه العجلي وابن سعد . (يُنظر : التهذيب : 11 / 378 ، 379 ، والتقريب : 607 كلاهما لابن حجر) .

([343])(لأهل الإسلام) : أي لقتالهم .

([344])الغاية : هي الراية وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف وقيل : لأنها تشبه السحابة لمسيرها في الجو ، ولأنها تظل الأجناد لكثرة راياتهم ، واتصال ألويتهم وعلاماتهم كالسحاب الَّذِيْ يظل الإنسان

([345])التذكرة : (2 / 267) ، الفتح : 6 / 321 ، عمدة القاري 12 / 245 .

([346])المستورد القرشي : هو المستورد بن شداد بن عمرو القرشي الفهري ، صحابي ، من أهل مكة ، سكن الكوفة ثم مصر وشهد فتحها ، له سبعة أحاديث ، مِنْهَا حديثان في مُسْلِم ، توفي بالاسكندرية سنة خمس وأربعين من الهجرة .(ينظر : الإصابة : 3 / 387 ، الاستيعاب : 3 / 460 مع الإصابة ، خلاصة تذهيب الكمال : 3 / 21) .

([347])رواه مُسْلِم في الفتن وأشراط الساعة : (18 / 22 بشرح النووي) .

([348])الأعماق ودابق : موضعان بالشام ، بقرب حلب . (شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 18 / 21 ، معجم البلدان 1 / 222 ، 2 / 416) .

([349])أَخرَجَه مُسْلِم في الفتن وأشراط الساعة باب في فتح القسطنطينية (4/2221 رقم 2897) .

2-أهلُ اليمن، فيقول النبي" :يخرجُ من عدَنِ أبْيَنَ اثنا عَشرَ ألفًا، ينصُرونَ اللَّهَ ورسولَهُ، هُم خيرُ مَن بَيني وبينَهُم" عدَنِ أبْيَنَ مدينة يمنية تبعد عن صنعاء 427 كلم وقد كان أهلُ اليمَنِ دائمًا أهلَ مَدَدٍ للمُسلِمينَ في جميعِ الحُروبِ والفُتوحاتِ، منذ حروبِ الرِّدَّةِ فحارَبوا معَ أبي بكرٍ الصدِّيقِ ، عُمَرَ بنِ الخطَّابِ.

3-بنو تميمٍ القبيلةُ العربيةُ التي تفرعت من شبه الجزيرة لتمتد في دول خليجية وشامية ومغربية حاليا ، فيقول النبيُّ عنهم" :هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ قِتَالًا في المِلَاحِمِ."

4-الموالي المسلمون غير العرب : إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثًا من الموالي يؤيد الله بهم الدين.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ـ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ») .[350]

حوار قبل المعركة

ويبدأ حوار بين الفريقين قبل المعركة وبعد ان يتقابلوا كجيشين جيش مقابل جيش.

عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ :فإذا تصافُّوا قالت الروم : خَلُّوا بينَنا وبين الَّذِينَ سُبُّوا منَّا نُقاتِلُهم . فيقول المسْلِمونَ : لا . وَاللهِ ! لانُخَلِّي بينكم وبين إخواننا. فيُقاتِلونَهُم.

أي :نحن لا نريد قتالكم أيها المسلمون وانما نريد أن نقاتل الروم الذين هم من اصلنا وقد أسلموا فاتركونا نقاتلهم "فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا" فهؤلاء اسلموا وهم منا ولا نتخلى عنهم،فالمسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يسلمه.

أحداث المعركة

ثم تبدأ المعركة العظمى، وتكون من أشد المعارك وأعظمها قتالًا، حتى وصفها النبي ﷺ بأنها مقتلة عظيمة. ووصفها عبد الله بن مسعود بانها معركة شديدة مدتها أربعة أيام تتقدم فيها طائفةً مِنَ الجيشِ الإسلامي لِلقتالِ في اليوم الأول والثاني والثالث حتى المساء ، وكل منها تشترط الموت وتعزم ان لا ترجع الا غالبة والنتيجة هو مقتل الفرقة كاملة ودون ان تتحقق الغلبة لاي من الفريقين وياتي اليوم الرابع فيهجم بَقِيَّةُ أَهْلِ الإسْلَامِ فينتصرون .

([350])أَخرَجَه مُسْلِم في الفتن وأشراط الساعة باب إقبال الروم في كثرة القتل(4 / 2223 رقم 2899) .

"..... وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ [351].فَيَشْتَرِطُ [352]المسْلِمونَ شُرْطَةً [353]لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ [354]هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ.ثُمَّ يَشْتَرِطُ المسْلِمونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ المسْلِمونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ [355]إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّيْرَةَ عَلَيْهِمْ [356] . فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا . وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا . حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ [357]فَمَا يُخَلِّفُهُمْ [358]حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا ، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ [359]كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمْ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ فَيَرْفُضُونَ [360]مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً)

([351]) (ردة شديدة) : أي : عطفة قوية .

([352])(فيشترط) ضبطوه بوجهين : أحدهما فيشترط ، والثاني فيتشرط .

([353]) (شرطة) الشُّرْطَة بِضَمِّ الشِّين طَائِفَة مِنْ الْجَيْش تُقَدَّم لِلْقِتَالِ. وفي النهاية : (2 / 460) لابن الأثير : الشُّرطة أول طائفة من الجيش تشهد الوقعة .

([354]) (فيفيء) : أَيْ يَرْجِع..

([355])(نهد) هُوَ بِفَتْحِ النُّون وَالْهَاء أَيْ نَهَضَ وَتَقَدَّمَ. ومنه سُمِّيَ النَّهد نهداً لتقدمه الصدر .

([356])(فيجعل الله الدبرة عَلَيْهِمْ) بِفَتْحِ الدَّال وَالْيَاء أَيْ الْهَزِيمَة ، وَرَوَاهُ بَعْض رُوَاة مُسْلِم (الدَّائِرَة) بِالْأَلِفِ وَبَعْدهَا هَمْزَة ، وَهُوَ بِمَعْنَى الدَّيْرَة.وَقَالَ الأزهري : الدائرة هم الدولة تدور عَلَى الأعداء . وقيل : وهي الحادثة . (ينظر : شرح النووي عَلَى مُسْلِم 18/24 – 25 ، والتذكرة 2/ 268) .

([357])(بجنباتهم) أَيْ نَوَاحِيهِمْ. وحكى القاضي عن بعض رواتهم : بجثمانهم ، أي شخوصهم

([358]) (فما يخلفهم) أَيْ يُجَاوِزهُمْ.. وحكى القاضي عن بعض رواتهم : فما يلحقهم ، أي يلحق آخرهم .

([359])(فَيَتَعادَّ بنو الأب) أي يعد بعضهم بعضاً (النهاية في غريب الحَدِيث 3 / 189) .

([360])(فيرفضون) أي : يرمون ويتركون ، كما قال القرطبي في التذكرة (2 / 269) ، وفي لسان العرب : (7 / 156) . الرفض : تركُكَ الشيء .

ويقول النبي في حديثٍ آخرَ يبين لنا نتائجَ المعركةِ وما يعقبُها: قال: فيَنْهزم ثُلُثٌ لايتوبُ الله عَلَيْهِمْ أبداً [361] ويُقْتَلُ ثُلُثُهُم . أفضَلُ الشهداء عند الله ، ويَفْتَتِحُ الثلث.لايُفْتَنون أبداً، فيفتَتِحون قُسطَنطينيَّةَ

يبين النبي ثلاثة اثلاث لجيش المسلمين : فار وشهيد وفاتح

الأول : ثلث مهزوم لا يتوب الله عليه أبداً بسبب فرارهم من القتال

الثاني : ثلث سيقتلون وهؤلاء أفضل الشهداء عند الله

الثالث : ثلث سينتصرون، وهؤلاء لا يُبتلَوْنَ بِبليَّةٍ في حياتهم

وبينما هم يَقتسمون الغنائمَ ، قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون، إذْ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلَفَكُم في أهليكم .فيخْرُجُون. وذلك باطل. فإذا جاؤا الشَّأْم خرج . فبينما هم يُعِدُّون للقتال، يُسَوُّون الصفُوف، إذ أُقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم ﷺ..)) الحَدِيث [362]

وهذا كُله يَكُوْن في آخر الزمان ، ويَكُوْن انتصار المسْلِمينَ عَلَى الروم في هذه الملحمة الكبرى تهيئة لفتح مدينة القُسطَنطينيَّة عَلَى أيديهم ، ثُمَّ يخرج الدجال بَعْدَ فتح المسْلِمينَ لها .

هذا وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله أن الروم يسلمون في آخر الزمان مستنبطاً ذلك من حَدِيث المستورد القرشي رضي الله عنه قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تقوم السَّاعَة والروم أكثر الناس) قَالَ فبلغ ذلك عمرَو بن العاصِ فقال : ماهذه الأَحَادِيث التي تُذكر عنك إنك تقولها عن رسول الله ﷺ ؟ فقال له المستوردُ : قلتُ الَّذِيْ سمعتُ من رسول الله ﷺ. قَالَ : فقال عمرُو : لئن قلت ذلك ، إنهم لأحلمُ الناس عند فتنةٍ ، وأجبَرُ الناس عند مُصيبةٍ ، وخير الناس لمساكينهمْ وضعفائهم [363]

وفي رواية : لَئِن قلت ذلك ، إن فيهم لخصالاً أربعاً : إنهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إصابة بَعْدَ مصيبة ، وأوشكُهم كرَّةً بَعْدَ فرَّةً . وخيرُهم لمسكينٍ ويتيمٍ وضعيفٍ وخامسةٌ حسنةٌ جميلةٌ

([361])لايتوب الله عَلَيْهِمْ أبداً : أي : لايلهمهم التوبة . (شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 18 / 21) .

([362])أَخرَجَه مُسْلِم في الفتن وأشراط الساعة باب في فتح القسطنطينية (4/2221 رقم 2897) .

([363]) أَخرَجَه مُسْلِم في الفتن باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس 4 / 2222 رقم 2898 .

وأمْنَعُهُم من ظُلم الملوك .

وقد ترجم ابن كثير رحمه الله وعَنْون لهذا الحَدِيث بقوله: (بعض خصال الروم الحسنة) ثُمَّ قَالَ عقب الحَدِيث مانصه: (وهذا يدل عَلَى أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القُسطَنطينيَّة يَكُوْن عَلَى يدي طائفة منهم كما نطق به الحَدِيث المتقدم أنه : (يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق) [364] والروم من سلالة العيص بن اسحاق بن إِبْرَاهِيم الخليل ، فمنهم أولاد عم بني إسرائيل ، وهو يعقوب بن اسحق ، فالروم يكونون في آخر الزمان خيراً من بني إسرائيل ، فإن الدجال يتبعه سبعون الفاً من يهود أصبهان ، فهم أنصار الدجال ، وهؤلاء . أعني الروم . قد مُدِحوا في هذا الحَدِيث فلعلهم يُسلمون عَلَى يدي المسيح بن مريم ، والله أعلم) [365] انتهى كلام ابن كثير رحمه الله .

ومِمَّا يدل . أيضاً . عَلَى ماذكره ابن كثير رحمه الله من أن الروم يسلمون في آخر الزمان حَدِيث أبي هُرَيْرَة . رضي الله عنه في قتال الروم ، وفيه أن الروم يقولون للمسلمين: (...خلُّوا بيننا وبين الَّذِينَ سُبُوا منا نُقاتلهم . فيقول المسْلِمونَ : لا . والله ! لانُخَلِّي بينكم وبين إخواننا ..) فالروم يطلبون من المسْلِمينَ أن يتركوهم يقاتلون الروم الَّذِينَ سبوا منهم ، لأنهم أسلموا . فيرفض المسْلِمونَ ذلك بقولهم : (لا.والله ! لانخلي بينكم وبين إخواننا...)، فيبينون للروم أن من أسلم منهم فهو من إخواننا لانسلمه لأحد .

وكون غالب جيش المسْلِمينَ ممن سُبِيَ من الكفار ليس بمستغرب كما أفاد النووي . رحمه الله . حيث قَالَ مانصه : (وهذا موجود في زماننا ، بل معظم عساكر الإسلام في بلاد الشَّام ومصر سُبُوا ، ثُمَّ هم الْيَوْم . بحمد الله . يَسْبُون الكفار، وقد سَبَوْهم في زماننا مراراً كثيرة ، يسبون في المرة الواحدة من الكفار أُلوفاً ، ولله الحمد عَلَى إظهار الإسلام وإعزازه) [366] .

و مِمَّا يُؤيد كون هذا الجيش الَّذِيْ يفتح القُسطَنطينيَّة من بني إسحاق ، أن جيش الروم يبلغ

([364])رواه مُسْلِم في الفتن باب لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يَكُوْن مكان الميت : 4 / 2238 رقم 2920 .

([365])النهاية في الفتن والملاحم : 1 / 92 . 93 .

([366])شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 18 / 21 .

عددهم قريباً من ألف ألف ، وبالتحديد تسعمائة ألف وستون ألفاً (960000) ، ويَكُوْن من أسلم من الروم مع جيش المسْلِمينَ الَّذِيْ يفتح القُسطَنطينيَّة كما تقدم قريباً من قول ابن كثير رحمه الله .

فتح القسطنطينية وخروج الدجال

بعد انتصار المسلمين في الملحمة الكبرى، يتوجه الجيش المنتصر إلى فتح القسطنطينية، وهو الفتح الأعظم الذي يقع قبيل خروج الدجال.قال النبي ﷺ:«وخروج الملحمة فتح قسطنطينية». ثم ما يلبث المسلمون بعد فتحها أن يسمعوا بخروج الدجال، فيتركون ما بأيديهم ويتوجهون إلى الشام، وهناك ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام.

ففتح القُسطَنطينيَّة إذن الفتح الأعظم والأخير الَّذِيْ قبل خروج الدجال، يَكُوْن عَلَى يدي جيش المسْلِمينَ الَّذِيْ من بينه الروم الَّذِينَ اسلموا . و الَّذِيْ تدل عليه الأَحَادِيث السالفة أن هذا الفتح العظيم يَكُوْن بَعْدَ قتال الروم في الملحمة الكبرى وانتصار المسْلِمينَ عَلَيْهِمْ ، وقبل خروج الدجال .

خاتمة

تُعد الملحمة الكبرى من أعظم أحداث آخر الزمان، وقد أخبر بها النبي ﷺ بأوصاف دقيقة تدل على صدق نبوته، وتؤكد أن الصراع بين الحق والباطل باقٍ إلى قرب قيام الساعة.

كما تُظهر هذه النصوص مكانة بلاد الشام في مستقبل الأمة، وأن النصر النهائي يكون لأهل الإيمان، مهما اشتدت الفتن وعظمت التحديات، تحقيقًا لوعد الله تعالى بنصرة دينه وإعلاء كلمته.

المبحث الثاني

الفتوحات الكبرى آخر الزمان

الفتح الثاني للقسطنطينية.

فتح روما.

مستقبل الصراع مع النصرانية.

الفتح الثاني للقُسطَنطينيَّة

1-روى مُسْلِم في صحيحة عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن النبي ﷺ قَال : « سمعتم بمدينة جانبٌ مِنْهَا في البر وجانبٌ مِنْهَا في البحر ؟ » قَالوا : نعم يا رَسُول اللَّه ﷺ. قَالَ : « لا تقوم السَّاعَة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق ، فإذا جاؤوها نزلوا ، فلم يقاتلوا بسلاح ، ولم يرموا بسهم ، قَالوا : لا إله الا اللَّه والله أكبر فيسقط احد جانبيها . قَالَ ثور [367] (أحد رواة الحَدِيث) : لا أعلمه الا قَالَ : - الَّذِيْ في البحر ثُمَّ يقولوا الثانية : لا إله الا اللَّه والله وأكبر ، فيسقط جانبها الآخر ثُمَّ يقولوا لا إله الا اللَّه والله أكبر ، فيفرج لهم ، فيدخلوها ، فيغنموا فبينما هم يقتسمون الغنائم ، إذ جاءهم الصريخ فقَال إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون.) [368]

ما هي المدينة ؟ ذهب العُلَماء إلى أن هذه المدينة هي القُسطَنطينيَّة، وان لم يسمها الرسول ﷺ بدليل ما رواه مُسْلِم من حَدِيث ابي هُرَيْرَة المتقدم في وصف قتال المسْلِمينَ للروم. وكما نقله النووي عن القاضي عياض ـ رحمهما الله ـ [369] .

من يفتح قُسْطَنْطِينِيَّة في المرة الثانية ؟ورد في الحَدِيث السابق قول رَسُول اللَّه ﷺ « يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق » والروم من بني اسحاق لإنهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إِبْرَاهِيم الخليل عَلَيْهِ ما السلام فكيف يَكُوْن فتح قُسْطَنْطِينِيَّة عَلَى أيديهم ؟ قَالَ القاضي عياض : « كذا هو في جميع أصول « صحيح مُسْلِم » : من بني اسحاق و قَالَ ابن كثير إنّ هذا الحَدِيث : « يدل عَلَى أن الروم يسلمون في آخر الزمان ، ولعل فتح قُسْطَنْطِينِيَّة يَكُوْن عَلَى أيدي طائفة منهم كما نطق به الحَدِيث المتقدم ، أنه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق « قَالَ يوسف الوابل : « ويدل عَلَى أن

([367]) هو ثور بن زيد الديلي مولاهم المدني الثقة ، توفي سنة 135 هـ ـ رحمه الله ـ (شرح النووي عَلَى مُسْلِم 18 / 43 ، وتهذيب التهذيب 2 / 31 ـ 32) .

([368]) رواه مُسْلِم في الفتن .... باب لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يَكُوْن مكان الميت .... (4 / 2238 رقم 2920) .

([369]) شرح النووي عَلَى مُسْلِم : 18 / 43 ـ 45 .

الروم يسلمون في آخر الزمان حَدِيث أبي هُرَيْرَة الوارد في قتال الروم وفيه أن الروم يقولون للمُسْلِمين « خلّو بيننا وبين الَّذِينَ سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسْلِمونَ : لا والله لا نخلّي بينكم وبين اخواننا »فالروم يطلبون من المسْلِمينَ أن يتركوهم يقاتلون من سُبي منهم ، لأنهم أسلموا فيرفض المسْلِمونَ ذلك ، ويبنون للروم أن من أسلم منهم فهو من إخواننا لا نسلمه لأحد ، وكون غالب جيش المسْلِمينَ ممن سبي من الكفار ليس بمستغرب ويؤيد كون هذا الجيش الَّذِيْ يفتح قُسْطَنْطِينِيَّة من بني إسحاق أن جيش الروم يبلغ عددهم قريباً من ألف ألف ، فيقتل بعضهم ، ويسلم بعضهم ويَكُوْن من أسلم مع جيش المسْلِمينَ الَّذِيْ يفتح القُسطَنطينيَّة.

و قَالَ أَحْمَد شاكر رحمة الله : « فتح قُسْطَنْطِينِيَّة المبشر به في الحَدِيث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله عَزَّ وَجَلَّ وهو الفتح الصحيح لها ... وأَمَّا فتح الترك الَّذِيْ كان قبل عصرنا هذا ، فإنه كان تمهيداً للفتح الاعظم ثُمَّ هي قد خرجت بَعْدَ ذلك من أيدي المسْلِمينَ منذ أن أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية ، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام ، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة ،... وسيعود الفتح الاسلامي لها إن شاء الله كما بشر به الرسول ﷺ وهذا الفتح . للقُسطَنطينيَّة . يفتحه الله للمسلمين بدون قتال ، وسلاحهم فيه التكبير والتهليل [370].

ففتح القُسطَنطينيَّة بدون قتال بسلاح لم يقع إلى الآن [371].

فعن أنس رضي الله عنه قَالَ : ((فتحُ القُسطَنطينيَّة مع قيام السَّاعَة)) [372] أي : مع قرب قيامها كما قَالَ المباركفوري [373] .

وَقَالَ الحافظ ابن كثير: (فإن معاوية بعث إليها ابنه يزيد في جيش فيهم أبو أيوب الأنصاري ، ولكن لم يتفق أن فتحها ، وحاصرها مسلمة بن عبد الملك بن مروان في زمان دولتهم

([370]) حاشية عمدة التفسير عن ابن كثير : 2 / 256 .

([371]) أشراط الساعة : 166 بتصرف .

([372]) أَخرَجَه التِّرْمِذيّ في الفتن باب ماجاء في علامات خروج الدجال : 4 / 510 رقم 2239 ، وَقَالَ الألباني في صحيح التِّرْمِذيّ : 2 / 248 (صحيح الإسناد موقوف) .

([373]) تحفة الإحوذي : 6 / 498 .

ولم تفتح أيضاً ، ولكن صالحهم عَلَى بناء مسجد بها) [374]

([374]) النهاية في الفتن والملاحم : 1 / 97 .

فتح روما عاصمة إيطاليا

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ بينما نحن جلوس حول رَسُول اللَّه ﷺ نكتب اذ سئل رَسُول اللَّه ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً أقَسطَنطينية أو رومية ؟ فقَال رَسُول اللَّه مدينة هرقل تفتح أولاً يعني قُسْطَنْطِينِيَّة . (375)

فقد بشر الرسول ﷺ بفتح روما مقر الفاتيكان وعاصمة ايطاليا إحدى الدول الصناعية السبع الكبرى واحدى الدول الغنية التي تتمتع بالرفاهية في ظاهرهاالأن الوجه الحقيقي لها يختلف كثيرا عن ذلك فالفساد السياسي والاجتماعي والخلقي وعصابات المافيا بأنواعها وأشكالها تنحز في كل أركان الدولة وزواياها بما يجعل الصورة من الداخل تتجه في حقيقتها الى الفناء والدمار

وروى الحافظ نُعيم في الفتن بإسناد حسن عن أبي يزيد بن شريح عن كعب قَال:في فتح رومية يخرج جيش من المغرب بريح شرقية لا ينكسر لهم مقذاف ، ولا ينقطع حبل ، ولا ينحرف لهم قلع ، ولا ينتقض لهم قرنه ، حتى يرسلوا برومية فيفتحوها قَالَ كعب : عمورية قبل نقية ، ونقية قبل قُسْطَنْطِينِيَّة، وقُسْطَنْطِينِيَّة قبل رومية . قلت : وهذا يؤخذ من أصول الاحاديث الصحيحية في ترتيب الحدثان والوقائع آخر الزمان.

(375) أخرجه أحمد (6645) واللفظ له، وابن أبي عاصم في ((الأوائل)) (110)، والدارمي (486)

مستقبل الصراع بين المُسْلِمينَ والنَّصَارَى

من خلال الأحاديث الواردة في الملحمة يتضح بعض الحقائق، التي تبين مستقبل الصراع مع النَّصَارَى:

أولا: أن صراع المسْلِمينَ مع النَّصَارَى صراع قديم، بدأ هذا الصراع مع غزوة مؤته، وكان هذا أول التقاء للمسلمين مع النصرانية، في جماد الأولى سنة ثمان من الهجرة، وانتهت المعركة الَّذِيْ كان عدد المسْلِمينَ فيه ثلاثة آلاف وعدد النَّصَارَى مائة ألف، انتهت بانسحاب الجيش المسلم بدون هزيمة، لكن قذف الله الرعب في قلوب النَّصَارَى، وبدأ الخوف من هذه القوة الجديدة التي ظهرت في جزيرة العرب.

وقبل هذه الغزوة بعث الرسول ﷺ بالرسائل إلى ملوك عصره يدعوهم للإسلام، فكان من جملة ما بعث رسالة إلى قيصر ملك الروم – وهم النَّصَارَى في ذلك الوقت ((بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّد بن عبدالله إلى هرقل عظيم الروم، سلام عَلَى من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين)).

فينبغي أن نعلم بأن من سنن الله الثابتة في هذا الكون هو ديمومة الصراع مع النَّصَارَى، وإنه سيستمر إلى نهاية العالم، وقد ورد ما يشير إلى بقاء هذا الصراع في كتاب النبي ﷺ بطريق غير مباشر حيث قَالَ : فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، والأصرح منه قول الله تبارك وتعالى: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [376].

إذن صراع الإسلام مع النصرانية، سيستمر إلى قيام السَّاعَة، وهو فتنة ابتلى الله بها المسْلِمونَ، وهذا قدرهم وما عَلَيْهِمْ إلا الصبر و حتمية المواجهة، وسيكون هذا الصراع بين مد وجزر، تنتهي بالمعركة الفاصلة، وبالملحمة الكبرى التي يحشد لها النَّصَارَى قرابة مليون شخص تنتهي بالهزيمة النهائية حيث لا يقف الجيش الإسلامي إلا بَعْدَ أن يفتح روما العاصمة الروحية للنصرانية، وعند هذا الفتح تنتهي

([376]) المائدة: 14

معركة الروم، ويتحقق ما أخبر به النبي ﷺ بأنه يتم فتح الروم، ويتبع ذلك مباشرة المعارك مع الدجال الَّذِيْ ينتهي الأمر بقتله، وعندئذٍ تضع الحرب أوزارها ويقرب العالم من نهايته، ويتحقق وعد الله بتبديل الْأَرْض غير الْأَرْض، ويعود الخلق جميعهم إلى موجدهم لنبدأ بَعْدَ ذلك الحياة السرمدية الأخروية.

ثانيا: أن هذه الهيمنة من قبل النَّصَارَى الْيَوْم عَلَى العالم ستزول، وأن هذه القوة المادية وهذه التقنية لن تستمر حتى نهاية العالم. قَالَ الله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [377].

إذن فهذه العقلية التي يعيشها الغرب الْيَوْم، ويرون أنهم قادرون عَلَى فعل كل شيء، وهذا التباهي بالقوة العقلية والمادية والعسكرية والتقنية، ستزول بقوة الواحد الأحد.

ثالثا: يشير الحَدِيث إلى خفض الهيمنة العالمية المعاصرة للنصارى، وفك ارتباط الحكومات العربية المعاصرة مع العدو الصليبي الْيَهُودِيّ، وابتعاد النفوذ الصليبي عن المنطقة مِمَّا يتيح للمسلمين تسلم زمام الأمور وتكوين دولة إسلامية تمثل قوة جديدة في العالم، يلتجئ إليها النَّصَارَى، ويطلبون الصلح للحصول عَلَى مساعدة لمحاربة عدوها الَّذِيْ سينزل بها الدمار.

رابعا: إن هذا الصلح الَّذِيْ سيتم مع النَّصَارَى في آخر الزمان يتم بناءً عَلَى رغبة من النَّصَارَى، فهم الَّذِينَ يطلبون الصلح بقصد الاستعانة بالمسْلِمينَ ، وهذا يؤكد أنه سيكون للمسلمين دولة قوية، وهو مؤشر إلى أنه قبل الملحمة ستقوم للمسلمين دولة قوية، يخشاها النَّصَارَى، ولمعرفتهم بقوة المسْلِمينَ يحشدون لهم ما يقارب من مليون شخص – ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألف –

خامسا: يفهم من هذا الحَدِيث أن الفكر العلماني المعاصر التي تتبناه الدول النصرانية، سوف يحل محله الفكر الديني الصليبي، وأن الدول النصرانية ستعود إلى دينها، بَعْدَ أن قضت ردحاً من الزمن وهي غارقة في شهواتها وعلمنتها، وأن الدين سيكون هو المحرك لهذه الدول، وهذا يؤخذ من الحَدِيث من قيام رجل منهم برفع الصليب بقصد إظهار القوة النصرانية، فيغضب المسْلِمونَ لذلك، فيعمدون

([377]) يونس : 24

إلى الصليب فيكسرونه مِمَّا يثير غضب النَّصَارَى، فيقومون بقتل الجيش الَّذِيْ كان معهم، وبهذا ينقضون الصلح مع الدولة الإسلامية.

سادسا: إن هذا الحَدِيث وأمثاله من علم الغيب الَّذِيْ أخبر به الرسول ﷺ ونحن أُمَّةٌ تؤمن بالغيب (الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (378).

فانطلاقاً من إيماننا بالغيب، وثقة بما أخبر به الرسول ﷺ فنحن عَلَى موعد مع الروم وسيتحقق كل ما أخبر به الرسول ﷺ وسترفرف رايات المجاهدين فوق دول النَّصَارَى، وسيطأ المسْلِمونَ بأقدامهم عاصمة الفاتيكان الحالية – روما –، وستلتحم هذه الأمة مع أعدائها ويَكُوْن الغلبة لها، وستقع المعركة الفاصلة مع الروم، وسيكسر الصليب فوق رؤوس أصحابها، وستكون معركة شديدة قوية، وسيكون قتلاها عدد كبير من الطرفين.

(378) البقرة : 1-2

المبحث الثالث

المعركة الفاصلة مع اليهود

الأحاديث الواردة فيها.

نطق الجمادات.

صفات المعركة الأخيرة.

المعركة الفاصلة مع الْيَهُود

الأحاديث الواردة فيها

عن أبي هُرَيْرَة أنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَة حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ :يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ. (379)

وفي رواية للبخاري أيضًا: تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ »(380)

وفي رواية لمسلم أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَة حَتَّى يُقَاتِلَ المسْلِمونَ الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمْ المسْلِمونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ ، يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»(381)

الجمادات تنطق حقيقة بنداء المُسْلِمينَ ودلالتهم عَلَى الْيَهُود:

قَالَ الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": "وفي الحَدِيث ظهور الآيات قرب قيام السَّاعَة؛ من كلام الجماد من شجر وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز؛ بأن يَكُوْن المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى".

قلت: بل هو المتعين، ولا ينبغي أن يقال فيه باحتمال المجاز، لا سيما وقد صرح في حَدِيث أبي أمامة بأن الجمادات والدواب تنطق بالدلالة عَلَى الْيَهُود، وهذا ينفي احتمال المجاز، وصرح أيضا في حَدِيث سمرة بأن الجمادات تنادي المسْلِمينَ وتدلهم عَلَى الْيَهُود، وهذا أيضا ينفي احتمال المجاز، وأيضا فحمل كلام الجمادات وندائها عَلَى المجاز ينفي وجود المعجزة في قتال الْيَهُود في آخر الزمان، ويقتضي التسوية بينهم وبين غيرهم من أصناف الكفار الَّذِينَ قاتلهم المسْلِمونَ وظهروا عَلَيْهِمْ، إذ لا

---

(379)رواه البُخَارِي .

(380)رواه البُخَارِي ومُسْلِم.

(381)رواه مُسْلِم. قال النووي : (الْغَرْقَد نَوْع مِنْ شَجَر الشَّوْك مَعْرُوف بِبِلَادِ بَيْت الْمَقْدِس ، وَهُنَاكَ يَكُوْن قَتْل الدَّجَّال وَالْيَهُود) وَقَالَ أبو حنيفة الدينوري : "إذا عظمت العوسجة؛ صارت غرقدة".

بد أن يختبئ المختبئ منهم بالأشجار والأحجار، ومع هذا لم يرد في أحد منهم مثل ما ورد في الْيَهُود، فعلم اختصاص قتال الْيَهُود بهذه الآية، وأن الجمادات تنطق حقيقة بنداء المسْلِمينَ ودلالتهم عَلَى الْيَهُود.

ونظير هذا قوله ﷺ: « و الَّذِيْ نفسي بيده؛ لا تقوم السَّاعَة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » [382].

هكذا قَالَ رسول الله ﷺ فلا داعي أن نضرب ونرجم بالغيب بَعْدَ كلام الصادق المصدوق ﷺ فوالله الَّذِيْ لا إله غيره ما كَذَبْنا ولا كُذِبْنا، فهكذا قَالَ رسول الله ﷺ الَّذِيْ أخبر الله تعالى عنه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) [383] .وجاء في رواية أخرى: "عَلَى نهر الأردن، أنتم شرقيُّه، وهم غربيُّه [384]فحين دُوِّنت الكتب من قبل وأُلِّفت، لم يكن لليهود وجود يذكر في فلسطين، ولم يكونوا قريبين من نهر الأردن، لكنهم وجدوا بَعْدَ ذلك خاصة في هذا الزمن.

و مِمَّا يجدر التنبه اليه في هذه المعركة :

أولاً: هذه المعركة حق، وكل مسلم يصدق رسول الله ﷺ عليه أن يؤمن بها، وأن يعلم أنها قادمة لا محالة، عَلَى رغم كل العقبات والظلمات والحواجز؛ فهذا غيب أخبر عنه الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

ثانيًا: هذا لا يعني أبدًا القعود وترك الأمر؛ بحجة أن المعركة قادمة، والنصر قادم، لا.. فالنصر ليس هبة للقاعدين والكسالى؛ بل النصر هبة من الله عز وجل للمجاهدين والمضحِّين والصابرين والمرابطين، قَالَ عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [385]

ثالثًا: هذه المعركة لا تعني ألا نهتم بما يجري الآن،ولا نكترث له، ونقول دعهم يفعلون ما يشاؤون؛ لأن الاهتمام بالواقع هو جِبِلّة وطبيعة عند الإنسان، فالرسول ﷺ كان موعودًا بالنصر،

([382]) رواه: الإمام أَحْمَد ، والتِّرْمِذيّ؛ من حَدِيث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وَقَالَ التِّرْمِذيّ : "هذا حَدِيث حسن صحيح غريب".

([383]).النجم:3،4

([384])وهذه راوية إسنادها فيه ضعف يسير، لكن حسنه جماعة من أهل العلم، والواقع يصدقه، ويشهد عَلَى ثبوته.

([385])آل عمران:200.

حتى إنه في مكة –كما في صحيح البخاري– كان يقول لأصحابه: ((والله ليَتِمَّنَّ هذا الامر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف الا الله أو الذئب عَلَى غنمه، ولكنكم تستعجلون)).[386]

ومع ذلك في معركة بدر، لما رأى النبي ﷺ قوة العدو وبأسه وكثرته، وقلة أصحابه، رفع يديه إلى السماء، ودعا الله عز وجل ، وخشع وابتهل، وَقَالَ : "اللهم، إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الْأَرْض" ، فهذه طبيعة الإنسان، أن يهتم بواقعه ويتابعه؛ إذ الاهتمام به جِبلّة.

رابعًا: لننظر ماذا يقول القرآن عن خصومنا من الْيَهُود: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ الله وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ الله وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ) [387] ، ويقول سبحانه: (لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) [388].

وقد عاش الْيَهُود زمانًا طويلاً تحت ظل البطش والإرهاب في أكثر من بلد، وهم الآن يتحركون بالعقلية ذاتها.. عقلية الْيَهُودِيّ المضطهد، فهي عقلية تبالغ في التخوف من كل شيء، مِمَّا قد يبدو للناس أنه مكر ودهاء.

والواقع أن عقلية الشعور بالاضطهاد تجعل الْيَهُود دائمًا خائفين، حتى وهم متمكنون الآن، فشعور التوتر والقلق وعدم الاستقرار الأمني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي يطاردهم.

إن الْيَهُود طائفة محصورة محدودة، غير قابلة للنماء والزيادة؛ لأنهم لا يقبلون انضمام أحد إليهم، وهذه بحد ذاتها معضلة كبرى، خاصة والْيَهُود يواجهون الشعوب الإسلامية وهي تتزايد بشكل غريب جدًّا، وكثافة عددية هائلة لا يقاس بها أي شعب آخر.

فكم يجني أولئك الَّذِينَ يمنحون إسرائيل السلام والاستقرار، وكم يقدمون من خير!

---

386 رواه البُخَارِي ح (3612).

(**387**)آل عمران:112

(**388**)الحشر:14

خامسا : نحن نؤمن بأن الانتصار عَلَى الْيَهُود قضاء قدري كوني وشرعي ، حيث ثبت عن المصطفى ﷺ في كثير من الأحاديث . والانتصار النهائي والمعركة الفاصلة ستكون آخر الزمان حين يَكُوْن المسْلِمونَ تحت راية المسيح عليه السلام وأميرهم الْمَهديّ ويَكُوْن الْيَهُود تحت راية المسيح الدجال . ومقتضى الإيمان بهذا النصر أن نعمل بجد ويقين لا أن نتكل ونتخاذل فترك القتال والاستعداد له بحجة أن تلك المعركة الفاصلة لم يحن وقتها خطأ لأمور :

1- أن النصوص المبشرة بانتصار المسْلِمينَ جاء بعضها مطلقاً لا تقييد فيه بكون المعركة بين جيش الإسلام بقيادة المسيح عليه السلام والْمَهديّ وجيش الْيَهُود بقيادة الدجال ، فحمل بعض هذه النصوص عَلَى بعض ليس متعيناً وليس من شرط حدوث الخارق (تكليم الحجر والشجر) أن يَكُوْن في آخر الزمان فليس عَلَى الله بعزيز أن يَكُوْن في جولة قبل ذلك بل في هذه الجولة .

2-أننا لا نعلم متى تقع المعركة الفاصلة ولا ما مقدماتها ولم نُتعبَّد بانتظارها وإنَّمَا تعبدنا الله بالجهاد والإعداد لليهود وغيرهم .

3-أن عموم الأدلة يدل عَلَى أن المعركة مع الكفر مستمرة دائمة وليس هناك من دليل شرعي أو تاريخي يمنع وقوع معارك أخرى بيننا وبين الْيَهُود قبل المعركة الفاصلة فإن الحرب سجال حتى يأتي الفتح الأعظم ، وهكذا كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

وقد ثبت في الحَدِيث الصحيح عن النبي ﷺ قوله: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ إلى يوم الْقِيَامَة ، قَالَ : فينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام – فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا ، فيقول: لا . إن بعضكم عَلَى بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الأمة) . وفي رواية :«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ »[389] وإن المسلم عندما يطرق سمعه هذا الوصف ليتمنى من أعماق قلبه أن يَكُوْن من هذه الطائفة وأن

([389])رواه مُسْلِم.

يضرب معها بسهم في نصرة دين الله وإعلاء كلمته ، فتتحول هذه الأمنية وقودًا تشعل في نفسه الحماسة والسعي الدؤوب للدعوة لدين الله عَلَى منهج الطائفة الناجية أهل السنة والجماعة.

فنحن نؤمن بوعد الله الحق وهم يؤمنون بوعد مفترى مكذوب عَلَى الله تعالى والوعدان لا يجتمعان أبدًا . والفرق أننا بحمد الله نستند في وعدنا إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ وحقائق الواقع

نحن في كل ركعة من صلاتنا نقرأ الفاتحة ونقرأ فيها كلام الله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) فالمغضوب عَلَيْهِمْ هم الْيَهُود ، والضالون هم النَّصَارَى، إذن فنحن في كل ركعة نقرأ ما لازمه ومفهومه أن الوعد الَّذِيْ يزعمه هؤلاء منسوخ وباطل ومفترى ، وإنه إذا كان إِبْرَاهِيم ﷺ أعطى وعدًا فإن هذا الوعد هو وعد الله تعالى لهذه الأمة الموحدة . . ويدخل في ذلك كل الآيات والأحاديث المبشرة بظهور الإسلام وتمكينه أما الْيَهُود فوعد الله تعالى فيهم واضح جلى قَالَ تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) قَالَ ابن كثير رحمه الله : تأذن : تفعل ، من الأذان ، أي أعلم ، قاله مجاهد ، وَقَالَ غيره : أمر، وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ولهذا أتبعت باللام في قوله (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ) أي عَلَى الْيَهُود (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)... ثُمَّ فسر ذلك تاريخيا فقال : ((ويقال إن موسى عليه السلام ضرب عَلَيْهِمْ الخراج ..ثُمَّ كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين ، ثُمَّ صاروا إلى قهر النَّصَارَى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج ، ثُمَّ جاء الإسلام و مُحَمَّد ﷺ فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية)) إلى أن قَالَ : (قلت : ثُمَّ آخر أمرهم أن يخرجوا أنصارًا للدجال فيقتلهم المسْلِمونَ مع عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك آخر الزمان).

الفصل الرابع

الأخبار النبوية في خروج الأشخاص والأقوام

المبحث الأول

شخصيات تظهر قبل قيام الساعة

تمهيد : ترتيب أشرأط السَّاعة الكبرى

1–خُروجُ رَجُلٍ من قَحْطانَ يَسوقُ النَّاسَ بعَصاه

2–خروج الْجَهْجَاه الْمُلْك

تمهيد

أولًا: ترتيب أشرأط السَّاعة الكبرى:

لم أجد نصًا صريحًا يبين ترتيب أشراط السَّاعة الكبرى حسب وقوعها، وإنما جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب، إذ كان ترتيبها في الذكر لا يقتضي ترتيبها في الوقوع، فقد جاء العطف فيها بالواو، وذلك لا يقتضي الترتيب.

ومن النصوص ما خالف ترتيبها فيه ترتيبها في نص آخر.

ولكي يتبين هذا، فسأذكر نماذج من ذلك بذكر بعض الأحاديث التي تعرضت لذكر الأَشْرَاط الكبرى جملة أو ذكر بعضها:

1- روى الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ؛ قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: "ما تذاكرون"؟ قالوا: نذكر السَّاعة. قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات"، فذكر: الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم" [390].

(390) "صحيح مسلم"، كتاب الفتن وأشراط الساعة، (18/27-28- مع شرح النووي).

وروى مسلم هذا الحديث عن حذيفة بن أسيد بلفظ آخر، وهو: "إن السَّاعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدُّخان، و الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس".

وفي رواية: "والعاشرة: نزول عيسى بن مريم" (391).

فهذا حديث واحد عن صحابي واحد جاء بلفظين مختلفين في ترتيب الأَشْرَاط.

2- وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدُّخان، أو الدجال، أو الدابة، أو الخاصة أحدكم، أو أمر العامة" (392).

وروى مسلم هذا الحديث عن أبي هريرة بلفظ آخر: "بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدُّخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويضة أحدكم" (393).

وهذا أيضًا حديث واحد عن صحابي واحد جاء بلفظين مختلفين في ترتيب بعض الأَشْرَاط وفي أداة العطف، حيث جاء مرة بـ(أو) والأخرى بـ(الواو)، وهما لا يدلُّان على الترتيب.

والذي يمكن معرفته هو ترتيب بعض الأَشْرَاط من خلال حدوث بعضها إثر بعض؛ كما ورد في بعض الروايات؛ مثل ما جاء في حديث

النواس بن سمعان ﷺ؛ كما سيأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى، فقد ذكر فيه بعض الآيات مرتبة؛ حسب وقوعها؛ فإنه ذكر أولًا خروج الدجال على الناس، ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، ثم خروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عليه السلام، وذكر دعاءه عليهم بالهلاك.

وكذلك جاء في بعض الروايات أن أول الآيات كذا، وفي بعضها آخر الآيات كذا، ومع هذا؛ فإن هناك اختلافًا في هذه الأولية بين العلماء، وهذا الاختلاف موجود في عصر الصحابة ﷺ، فقد روى الإمام أحمد ومسلم عن أبي زرعة (394)؛ قال: جلس إلى مروان بن الحكم بالمدينة ثلاثة نفر من

---

(391) "صحيح مسلم"، (28/18- 29- مع شرح النووي).

(392) "صحيح مسلم"، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، (87/18- مع شرح النووي).

(393)

(394) قيل: اسمه هرم. وقيل: عبد الله. وقيل: عبد الرحمن بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي من علماء التابعين، رأى عليًا، وروى عن أبي هريرة ومعاوية وعبد الله بن عمرو بن العاص.
انظر: "تهذيب التهذيب" (99/12).

المسلمين، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات أن أولها خروجًا الدجال، فقال عبد الله بن عمر: لم يقل مروان شيئًا، قد حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على إثرها قريبًا". هذا لفظ مسلم.

وزاد الإمام أحمد في روايته: "قال عبد الله – وكان يقرأ الكتب–: وأظن أولادها خروجًا طلوع الشمس من مغربها" (395).

نعم؛ جمع الحافظ ابن حجر بين أولية الدجال وأولية طلوع الشمس من مغربها، فقال: "الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام السَّاعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب".

ثم قال: "والحكمة في ذلك أنه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة؛ تميز المؤمن من الكافر؛ تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام السَّاعة النار التي تحشر الناس" (396).

ويرى الحافظ ابن كثير أن خروج الدابة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمألوفة؛ فإن الدابة التي تكلم الناس وتعين المؤمن من الكافر أمر مخالف للعادة المستقرة.

وأما طلوع الشمس من مغربها، فهو أمر باهر جدًا، وذلك أول الآيات السماوية.

أما ظهور الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، وخروج يأجوج ومأجوج؛ فإنهم وإن كان ظهورهم قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل ظهور الدابة؛ إلا أنهم بشر، مشاهدتهم وأمثالهم من الأمور المألوفة؛ بخلاف ظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها، فهو ليس من الأمور المألوفة (397).

---

(395) "مسند أحمد" (110/11- 111) (ح6881)، تحقيق أحمد شاكر، و"صحيح مسلم"، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال، (77/18-78- مع شرح النووي).

(396) "فتح الباري" (353/11).

(397) انظر: "النهاية/ الفتن والملاحم" (164/1- 168)، تحقيق د. طه زيني.

والذي يظهر أن المعول عليه ما ذهب إليه ابن حجر؛ فإن خروج الدجال من حيث كونه بشرًا ليس هو الآية، وإنما الآية خروجه في حالته التي هو عليها من حيث كونه بشرًا، ومع ذلك يأمر السماء أن تمطر، فتمطر، والأرض أن تنبت، فتنبت، ويكون معه كذا وكذا مما ليس مألوفًا؛ كما سيأتي في الكلام على الدجال.

فالدجال في الحقيقة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمألوفة.

وقال الطيبي [398]:

"الآيات أمارات للساعة، إما على قربها، وإما على حصولها، فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف. ومن الثاني: الدُّخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس" [399].

وهذا ترتيب بين جملة من الآيات وجملة أخرى منها؛ دون تعرض لترتيب ما اندرج تحت هاتين الجملتين، مع أنه يظهر لي أن الطيبي يرى ترتيب الآيات حسب ما ذكره في كل قسم؛ فإن هذا التقسيم – الذي ذهب إليه – تقسيم حسن ودقيق؛ فإنه إذا خرج القسم الأول الدال على قرب السَّاعة قربًا شديدًا؛ كان فيه إيقاظ للناس؛ ليتوبوا ويرجعوا إلى ربهم، ولم يكن هنالك تمييز بين المؤمن والكافر، وهذه العلامات التي ذكرها في القسم الأول سبق أن ذكرت أنه جاء ترتيبها حسب وقوعها، وأضاف إ ليها الخسوفات، وذلك مناسب لها.

وأما إذا ظهر القسم الثاني – الدال على حصول السَّاعة – فإن الناس يتميزون إلى مؤمن وكافر؛ كما سيأتي أنه عند ظهور الدُّخان يصيب المؤمن كهيئة الزكام، والكافر ينتفخ من ذلك الدُّخان، ثم تطلع الشمس من مغربها، فيقفل باب التوبة، فلا ينفع الكافر إيمانه، ولا التائب توبته، ثم تظهر بعد ذلك

---

(398) هو شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان، وله عدة مصنفات؛ منها: "شرح مشكاة المصابيح"، و"شرح الكشاف"، و"الخلاصة في أصول الحديث"، وغيرها.

قال فيه الحافظ ابن حجر: "كان أية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلًا على نشر العلم، حسن المعتقد" أهـ.

توفي رحمه الله سنة (743هـ).

انظر ترجمته في: "شذرات الذهب" (6/137- 138)، و"كشف الظنون" (1/720)، و"الأعلام" (2/256) للزركلي.

(399) "فتح الباري" (11/352-353).

الدابة، فتميز بين الناس، فيعرف الكافر من المؤمن؛ لأنها تسم المؤمن وتخطم الكافر؛ كما سيأتي ذكر ذلك، ثم يكون آخر ذلك ظهور النار التي تحشر الناس.

وقد جريت فيث ذكري لأشراط السَّاعة الكبرى على هذا الترتيب الذي ذكره الطيبي؛ لأنه – في نظري- أقرب إلى الصواب، والله أعلم.

وقبل ذكري لهذه العلامات العشر الكبرى تحدثتُ عن الْمَهديّ؛ لأن ظهوره يكون سابقًا لهذه العلامات، فهو الذي يجتمع عليه المؤمنون لقتال الدجال، ثم ينزل عيسى عليه السلام، ويصلي خلفه؛ كما سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

ثانيًا: تتابع ظهور الأَشْرَاط الكبرى:

إذا ظهر أول علامات السَّاعة الكبرى؛ تتابعت الآيات كتتابع الخرز في النظام، يتبع بعضها بعضًا.

روى الطبراني في "الأوسط" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: "خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام[400]" [401].

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "الآيات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك؛ يتبع بعضها بعضًا" [402].

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن المراد بهذه الآيات هي علامات السَّاعة الكبرى؛ فإن ظاهر هذه الأحاديث يدلُّ على تقارب ظهورها تقاربًا شديدًا.

ويؤيد ذلك ما سبق ذكره في الكلام على ترتيب أشراط السَّاعة الكبرى؛ من بعض الأحاديث ذكرت أن بعض هذه العلامات تظهر في زمن متقارب؛ فإن أول العلامات الكبرى بعد الْمَهديّ ظهور الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، ثم ظهور يأجوج ومأجوج، ودعاء عيسى عليه السلام عليهم، فيهلكهم

---

(400) (النظام): العقد من الجوهر والخرز ونحوهما. و(سلكه): خيطه.
انظر: "النهاية في غريب الحديث" (79/5)، و"جامع الأصول" (411/10).

(401) قال الهيثمي: "رواه الطبراني في "الأوسط"، ورجاله رجال الصحيح؛ غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وداود الزهراني، وكلاها ثقة". "مجمع الزوائد" (331/7).
وقال الألباني: "صحيح". انظر: "صحيح الجامع الصغير" (110/3) (ح3222).

(402) "مسند أحمد" (6/12- 7) (ح7040)، شرح أحمد شاكر، وقال: "إسناده صحيح".
وقال الهيثمي: "رواه أحمد، وفيه علي بن زيد، وهو حسن الحديث". "مجمع الزوائد" (321/7).

لله، ثم قال عيسى عليه السلام: "ففيما عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك كذلك؛ فإن السَّاعة كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلًا أو نهارًا" (403).

وهذا دليل ع لى قرب السَّاعة قربًا شديدًا؛ فإن بين موت عيسى عليه السلام وقيام السَّاعة شيء من العلامات الكبرى؛ كطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدابة، والدُّخان، وخروج النار التي تحشر الناس، فهذه العلامات تقع في وقت قصير جدًا قبل قيام السَّاعة؛ مثلها كمثل العقد الذي انفرط نظامه، والله أعلم.

وقد وجدت ما يؤيد ما ذكرته، فقد قال الحافظ ابن حجر: "وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك، إذا انقطع؛ تناثر الخرز بسرعة، وهو عند أحمد"(404).

(403) "مسند الإمام أحمد" من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (5/189- 190) (ح3556)، تحقيق أحمد شاكر، وقال: "إسناده صحيح".

(404) "فتح الباري" (13/77).

خُروجُ رَجُلٍ من قَحْطانَ يَسوقُ النَّاسَ بعَصاه

في آخر الزمان يخرج رجل من قحطان، تدين له الناس بالطاعة، وتجتمع عليه، وذلك عند تغير الزمان، ولهذا ذكره الإمام البخاري في باب تغير الزمان.

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ " (405).

قال القرطبي: "قوله: ((يَسوقُ النَّاسَ بعصاه)) كِنايةً عَنِ استِقامةِ النَّاسِ وانقيادِهم إليه واتِّفاقِهم عليه، ولَمْ يُرِدْ نَفْسَ العَصا، وإنَّما ضَرَبَ بها مَثَلًا لطاعَتِهم لَه واستيلائِه عليهم، إلَّا أنَّ في ذِكرِها دَليلًا على خُشونَتِه عليهم وعَسفِه بهم. وقَد قيلَ: إنَّه يَسوقُهم بعَصاه كما تُساقُ الإبلُ والماشيةُ؛ وذلك لشِدَّةِ عُنفِه وعَدواه..) (406).

قلت: نعم؛ سوقه الناس بعصاه كناية عن طاعة الناس له، ورضوخهم لأمره؛ إلا أن ما أشار إليه القرطبي من خشونته عليهم ليس بالنسبة للجميع؛ كما يظهر من كلامه، بل إنما يقسو على أهل المعصية منهم، فهو رجل صالح، يحكم بالعدل، ويؤيد ذلك ما نقله ابن حجر

عن نعيم بن حماد (407) أنه روى من وجه قوي عن عبد الله بن عمرو أنه ذكر الخلفاء، ثم قال: "ورجل من قحطان".

---

(405)"صحيح البخاري"، كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، (76/13- مع الفتح)، و"صحيح مسلم"، كتاب الفتن وأشراط الساعة، (36/18- مع شرح النووي).و "مسند أحمد" (18/ 103) (ح9395)، شرح أحمد شاكر، أتمه وأكمله د. الحسيني عبد المجيد هاشم. و

(406) يُنظر: ((التذكرة)) (2/ 348).

(407) نعيم بن حماد الخزاعي، من الحفاظ الكبار، روى عنه البخاري مقرونًا، وروى له مسلم في المقدمة، وأصحاب السنن إلا النسائي، وثقه الإمام أحمد، ويحيى بن معين، والعجلي، وقال أبو حاتم: "صدوق"، وضعفه النسائي، وقال الذهبي: "أحد الأئمة الأعلام على لين في حديثه"، وقال ابن حجر: "صدوق يخطئ كثيرًا"، ونقل الذهبي عن نعيم أنه قال: "كنت جهميًا، فلذلك عرفت كلامهم فلما طلبت الحديث علمت أن مآلهم إلى التعطيل"، توفي سنة (228هـ)رحمه الله. انظر: "تذكرة الحفاظ" (418/2- 420)، و"ميزان الاعتدال" (267/4- 270)، و"تهذيب التهذيب" (458/10-463)، و"تقريب التهذيب" (305/2)، و"هدى الساري مقدمة فتح الباري" (ص447)، و"خلاصة تذهيب تهذيب الكمال" (ص403).

وأيضًا ما أخرجه بسند جيد عن ابن عباس أنه قال فيه: "ورجل من قحطان، كلهم صالح" [408].

ولما حدث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بأنه سيكون ملك من قحطان؛ غضب معاوية ﷺ، فقام، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ فإنه بلغني أن رجالًا منكم يتحدثون بأحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ ، فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد؛ إلا كبه الله على وجهه؛ ما أقاموا الدين". رواه البخاري [409].

وإنما أنكر معاوية خشية أنة يظن أحد أن الخلافة تجوز في غير قريش، مع أن معاوية ﷺ لم ينكر خروج القحطاني؛ فإن في حديث معاوية قوله: "ما أقاموا الدين"، فإذا لم يقيموا الدين؛ خرج الأمر من أيديهم، وقد حصل هذا؛ فإن الناس لم يزالوا في طاعة قريش إلى أن ضعف تمسكهم بالدين، فضعف أمرهم، وتلاشى، وانتقل الملك إلى غيرهم [410].

وهذا القحطاني ليس هو الجهجاه [411]؛ فإن القحطاني من الأحرار؛ لأنه نسبه إلى قحطان الذي تنتهي أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمدان وغيرهم إليه [412]، وأما الجهجاه؛ فهو من الموالي.

ويؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي؛ يقال له: جهجاه" [413].

قال ابنُ حَجَرٍ : "فظاهِرُه أنَّه مِنَ الأحرارِ، وتَقييدُه في جَهْجاه بأنَّه مِنَ الْمَوالي[414].

---

(408) "فتح الباري" (535/6).

(409) "صحيح البخاري"، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، (532/6- 533).

(410) انظر: "فتح الباري" (115/13).

(411) خلافًا للقرطبي؛ فإنه قال في "التذكرة" (ص636): "ولعل هذا الرجل القحطاني هو الرجل الذي يقال له الجهجاه".

(412) انظر: "فتح الباري" (545/6و 78/13).

(413) "مسند أحمد" (156/16) (ح8346)، شرح وتعليق أحمد شاكر، وقال: "إسناده صحيح، والحديث في صحيح مسلم "(36/18) بدون لفظة: "من الموالي".

(414) يُنظر: ((فتح الباري)) (13/ 78).

خروج الْجَهْجَاه الْمُلْك

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: ((لا تَذهَبُ الأيَّامُ واللَّيالي حَتَّى يَملِكَ رَجُلٌ يُقالُ لَه: الجَهْجَاهُ)) (415).

قال القُرطُبيُّ: وأصلُ الجَهجَهةِ الصِّياحُ بالسَّبُعِ، يُقالُ: جَهجَهتُ بالسَّبعِ، أي: زَجَرتُه بالصِّياحِ، ويُقالُ: جَهْجِهْ عَنِّي: أي انتَهِ. (416).

وعَنه رَضِيَ الله عَنه قال: قال رَسولُ الله ﷺ: ((لا يَذهَبُ اللَّيلُ والنَّهارُ حَتَّى يَملِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوالي يُقالُ لَه جَهْجَاه) (417).

قال أبو العُلا الْمُباركفوريُّ: (أي: لا يَنقَطِعُ الزَّمانُ ولا تَأتي القيامةُ «حَتَّى يَملِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوالي» أي: على سَبيلِ التَّغَلُّبِ لا بشُورى أهلِ الحَلِّ والعَقدِ) (418).

---

(415) أخرجها مسلم (2911).

(416) يُنظر: ((التذكرة)) (2/ 348).

(417) أخرجه الترمذي (2228)، وأحمد (8364). صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2228)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (156/16)، وشعيب الأرناؤوط على شرط مسلم في تخريج ((مسند أحمد)) (8364).

(418) يُنظر: ((تحفة الأحوذي)) (6/ 400).

المبحث الثاني

الْمَهديّ

اسمه ونسبه وصفته.

الأحاديث الواردة فيه.

أقوال العلماء في شأنه.مهمته وإصلاحه للأمة.

ظُهورُ الْمَهديّ عَلَيْهِ السلام

من هو الْمَهديّ ؟

هو مُحَمَّد بن عبدالله أحد الخلفاء الراشدين والأئمة الْمَهديّين, من أهل بيت النبوة من ولد السيد الحسن بن علي بن أبي طالب من ولد فاطمة الزهراء بنت سيدنا رَسُول اللَّه ﷺ (419).

ليس بنبي ولا يدعي النبوة تواترت فيه الأحاديث وأخبرت عنه بأنه خليفة راشد ، ولا يختلف أهل السنة أنه بشر من البشر ليس بنبي ولا معصوم.

مكان خروجه: يكون ظهور الْمَهديّ من قبل المشرق، فقد جاء في الحديث عن ثوبان ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: " يَقتَتِلُ عندَ كنزِكُمْ هذا ثلاثةٌ كلُّهم ابنُ خليفةٍ، ثمَّ لا يصِلُ إلى واحدٍ منهُم، ثمَّ تُقبِلُ الرَّاياتُ السودُ من قِبَلِ المشرِقِ، فيَقتلونَكُم قتلًا لَم يقتلْهُ قومٌ ثمَّ ذكرَ شيئًا فإذا رأيتُموه فبايِعوه ولَو حَبْوًا على الثَّلجِ، فإنَّه خليفةُ اللهِ المهْديُّ " (420).

---

(419)وأما الامامية فيقولون: هو مُحَمَّد بن الحسن العسكري المنتظر ، من ولد الحسين بن علي ، لا من ولد الحسن ، الحاضر في الامصار الغائب عن الابصار. قال ابن كثير رحمه الله: ويَكُوْن ظهوره من بلاد المشرق – يعني مهدي أهل السنة – لامن سرداب سامرا، كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، شديد من الشيطان، إذ لا دليل عَلَى ذلك ولا برهان، لامن كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح ولا استحسان.

(420) "أخرجه ابن ماجه (4084)، والحاكم (8432)، والروياني (637) واللفظ لهم جميعا وقال الحاكم :"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي.وقال ابن كثير: "هذا إسناد قوي صحيح". "النهاية/ الفتن والملاحم" (29/1) تحقيق د. طه زيني.وقال الألباني: "الحديث صحيح المعنى دون قوله: "فإن فيها خليفة الله المهدي". فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعًا نحو رواية عثمان الثانية، وإسناده حسن، وليس فيه: "خليفة الله"، وهذه الزيادة: "خليفة الله" ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهد لها، فهي منكرة.. ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: خليفة الله. لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز".

ثم نقل عن "الفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كلامًا ير د فيه على من قال: إن الخليفة هو الخليفة عن الله؛ لأن الله تعالى لا يجوز له خليفة، فهو الحي الشهيد المهيمن القيوم الرقيب الحفيظ الغني عن العالمين، وإن الخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، والله منزه عن ذلك.

انظر: "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة"، المجلد الأول، (ص119- 121) (ح85).

قال ابن كثير رحمه الله: "و المراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذوه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان، فيخرج الْمَهديّ، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامرا؛ كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، شديد م الشيطان، إذ لا دليل على ذلك، ولا برهان؛ لا من كتاب، ولا سنة، ولا معقول صحيح، ولا استحسان".

وقال أيضًا: "ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سود أيضًا وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العقاب".

إلى أن قال: "والمقصود أن الْمَهديّ الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويباع له عند البيت؛ كما دل على ذلك بعض الأحاديث" [421].

صفته الخَلقية:

قال رسول الله ﷺ:(المهديُّ منّي أجْلَى الجبهةِ أقْنى الأنفِ) [422].

أي: مِن نسْلِي؛ يَعني: من ولَدِ فاطِمَةَ، ثمَّ بيَّن صِفَتَه، "أجْلَى الجبْهَةِ"، أي: لا يُوجَدُ شَعْرٌ في مُقدَّمِ رأْسِه أو واسِعُ الجبْهَةِ، "أقْنَى الأنْفِ"، أي: طَويلُ الأنْفِ مع دِقَّةِ طرَفِها يشبه الرسول ﷺ في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق .

مهمته الدينية :

يبعث عَلَى اختلاف من النَّاس ، وزلازل يملأ الْأَرْض قسطا وعدلا بَعْدَ ما ملئت الْأَرْض جوراً وظلماً ، مهمته الإصلاح والحكم بالعدل ، والقسط ، والقضاء عَلَى الظلم والجور ، وهدم القوانين الوضعية ، والتشريعات الجاهلية ، بمعاول الحق والحكمة ، ويكافح أهل الخرافات والدجالين الكذابين الذين ابتلوا بالهوس والجنون ، والذين استحكمت فيهم الأمراض النفسانية ، واستحوذ عليهم الشيطان فصدهم عن سواء السبيل , يرضى عنه ساكن السماء وساكن الْأَرْض ، يقسم المال صحاحاً بالسوية ويملا اللَّه قلوب أُمَّة مُحَمَّد ﷺ غناء ، ويسعهم عدله ويملك سبع سنين وينصر اللَّه

(421) "النهاية/ الفتن والملاحم: (29/1- 30).

(422) أخرجه أبو داود (4285) واللفظ له، والحاكم (8670) باختلاف يسير.

به الدين وينصر اللَّه عَلَى يديه المسْلِمينَ ، وينزل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في عهده البركة فلا تحبس السماء شيئاً من قطرها ، ولا تمنع الْأَرْض شيئاً من ثُمَّرها.

قَالَ في حقه الحافظ ابن كثير : في زمن الْمَهديّ تكون الثمار كثيرة والزروع غزيرة، والمال وافر ، والسلطان قاهر ، والدين قائم ، والعدو راغم ، والخير في أيامه دائم .

مما ورد في الصحيحين من الأحاديث مما له تعلق بشأن الْمَهديّ :

1-عن أبي هُرَيْرَة أن النبي قَالَ: "كيفَ أنتُم إذا نَزَلَ ابنُ مَريَمَ فيكُم، وإمامُكُم مِنكُم. " (423)

وقوله :«وإمامُكم مِنكُم»، أي: إنَّه يُصلِّي الجَماعةَ مع المسلِمين، ويكونُ الإمامُ مِن أُمَّةِ النَّبيِّ ﷺ، ولا يكونُ عِيسى عليه السَّلامُ الإمامَ، وهذا تَكريمٌ لهذه الأُمَّةِ، فيُصلِّي مأمومًا؛ حتَّى يُعلِمَ الجميعَ أنَّه لم يَنزِلْ بشَرعٍ أو رِسالةٍ جَديدةٍ، وقيل: معنى: «وإمامُكم مِنكُم»، أي: إنَّه يَحكُمُ بشَريعةِ المسلِمين، فيَحكُمُ بالكتابِ والسُّنَّةِ.

2-عن جابر بن عبد اللَّه أن النبي ﷺ قَالَ : " لا تَزالُ طائِفةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلونَ على الحَقِّ ظاهِرينَ إلى يَومِ القيامةِ، قال: فيَنزِلُ عيسى ابنُ مَريَمَ ﷺ، فيَقولُ أميرُهم: تَعالَ صَلِّ لَنا، فيَقولُ: لا، إنَّ بَعضَكُم على بَعضٍ أُمَراءُ؛ تَكرِمةَ اللهِ هذه الأُمَّةَ. " (424)

وفي رِوايةِ أحمدَ من حَديثِ جابِرٍ رَضيَ اللهُ عَنهُ: «وإذا هُمْ بِعِيسَى، فيُقالُ: تَقدَّمْ يا رُوحَ اللهِ، فيَقُولُ: لِيَتقدَّمْ إمامُكمْ، فَلْيُصَلِّ بِكُمْ». (425)

فهذا مما ورد في الصحيحين ، وإن لم يكن فيها التصريح بلفظ الْمَهديّ ، وانما يدل عَلَى صفات رجل صالح يؤم المسلمين في ذلك الوقت . وقد جاءت الاحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لمثل هذه الاحاديث التي في الصحيحين ، ودالة عَلَى أن ذلك الرجل الصالح اسمه محمد ، ويقال له الْمَهديّ . والسنة يفسر بعضها بعضاً .

(**423**)رواه البُخَارِي في أحاديث الانبياء (3449) و مُسْلِم في الايمان (244/155).

(**424**)رواه مُسْلِم في الايمان (247/156) .

(**425**)أخرجه أحمد (14954) واللفظ له، وابن خزيمة في ((التوحيد)) (102/1)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (5694)

مما ورد في غير الصحيحين حول الْمَهديّ عَلَيْهِ السلام:

1– عَن عليٍّ رَضِيَ الله عَنه عَنِ النَّبيّ ﷺ قال: ((لَو لَم يَبقَ مِنَ الدَّهرِ إلَّا يَومٌ، لبَعثَ اللهُ رَجُلًا من أهلِ بيتي يَملَؤُها عَدْلًا كما مُلِئَت جَورًا)) (426)

2–عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عَنه قال: قال رَسولُ الله ﷺ: ((لَو لَم يَبقَ مِنَ الدُّنيا إلَّا لَيلةٌ، لمَلَكَ فيها رَجُلٌ من أهلِ بَيتِ النَّبيّ ﷺ)) . (427)

3–عَن عَبد اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عَنه عَنِ النَّبيّ ﷺ قال: ((يَلي رَجُلٌ من أهلِ بيتي يواطِئُ اسمُه اسمي)) (428)

4–عَن عَبدِ الله بن مَسعودٍ عَنِ النَّبيّ ﷺ قال: ((لا تَذهَبُ الدُّنيا، أو لا تَنقَضي الدُّنيا، حَتَّى يَملِكَ العَرَبَ رَجُلٌ من أهلِ بيتي يواطِئُ اسمُه اسمي) (429)

5–عَن جابِرِ بنِ عَبد الله رَضِيَ الله عَنهما عَنِ النَّبيّ ﷺ قال: ((لا تَزالُ طائِفةٌ من أمتي يُقاتِلونَ على الحَقِّ ظاهِرينَ إلى يَومِ القيامةِ. قال: فيَنزِلُ عيسى بنُ مَريَمَ ﷺ، فيَقولُ أميرُهم: تَعالَ صَلِّ لَنا، فيَقولُ: لا، إنَّ بَعضَكم على بَعضٍ أُمَراءُ؛ تَكرمةَ اللهِ هَذِه الأمَّة) (430)

(**426**)أخرجه أبو داود (4283) واللَّفظُ له، وأحمد (773). صحَّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (4283)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (118/2)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (4283)، وقال الذهبي في ((تلخيص العلل المتناهية)) (316): إسناده صالح ، وقال البزار في ((البحر الزخار)) (134/2): لا نعلمه يُروى بإسناد أحسن من هذا الإسناد.

(**427**)أخرجه ابن حبان (5953) واللَّفظُ له، والداني في ((السنن الواردة في الفتن)) (572)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (287/71). صحَّحه ابن حبان، والألباني في ((صحيح الموارد)) (1572)، وقال العراقي في ((ذيل الميزان)) (393/1): له طريقان.

(**428**)أخرجه أبو داود (4282) مُطَوَّلًا، والترمذي (2231) واللَّفظُ له، وأحمد (3571) بزيادة (لا تقوم الساعة حتى) في أوله. صحَّحه الترمذي، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2231)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (197/5)، وحسَّنه شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (3571).

(**429**)أخرجه أبو داود (4282)، والترمذي (2230)، وأحمد (4098) واللَّفظُ له. صحَّحه الترمذي، والذهبي في ((تاريخ الإسلام)) (379/18)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2230)، وصحَّحه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (4282)، وحسَّنه الوادعي في ((الصَّحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (891).

6-عن أم سلمة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ا أن النبي ﷺ قَالَ: **(المَهْديُّ من عِترتي من ولدِ فاطمةَ)** [431]

والعِتْرَةُ أخَصُّ الأقارِبِ؛ فعِتْرةُ النَّبيِّ ﷺ بنو عبدِ المطَّلِبِ، وقيل: قُرَيْشٌ، وقيل: العِتْرَةُ هم ولَدُ الرَّجلِ من صُلْبِه، "من ولَدِ فاطِمَةَ"، أي: يَنتهي نسَبُه عند إحدى أوْلادِ فاطِمةَ بنتِ النَّبيِّ ﷺ.

7-عن علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن النبي ﷺ قَالَ : (**المَهديُّ منَّا أَهلَ البيتِ، يصلحُهُ اللَّهُ في ليلةٍ**). [432] أي: مِن ولَدِ فاطمةَ رضِيَ اللهُ عنها، ويعده الله ويهيئه للخلافة الراشدة لقيامة الأمة المسْلِمة في زمن الفتن والملاحم.

8- عَن عَبدِ الله بن مَسعودٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: " **لا تَذهَبُ الدُّنيا، أو لا تَنقَضي الدُّنيا، حَتَّى يَملِكَ العَرَبَ رَجُلٌ من أهلِ بيتي يواطِئُ اسمُه اسمي**" [433]

"يُواطِئُ"، أي: يوافِقُ ويطابِقُ، "اسْمُه اسْمي"؛ فيكونُ اسمُ المهديِّ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ.

9-عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ أن النبي ﷺ قَالَ: " **لَتُمْلَأَنَّ الأرضُ ظلمًا وعدوانًا ، ثُمَّ لَيَخْرُجَنَّ رجلٌ مِنْ أهلِ بيتي ، حتَّى يملأَها قِسْطًا وعدلًا ، كما مُلئَتْ ظلمًا وعدوانًا** "[434]

أي: وجْهَ الأرضِ، "قِسْطًا"، أي: عدْلًا، "وعدْلًا" وهو تأْكيدٌ لِما قبلَها، "كما مُلِئتْ" الأرضُ قبلَ ظهورِه، "ظُلمًا"، "وجَوْرًا"، أي: ظلمًا، وهو تأكيدٌ لِما قبلَه أيضًا.

(**430**)أخرجه مسلم (156).

(**431**)أخرجه أبو داود (4284) واللفظ له، وابن ماجه (4086) مختصراً

(**432**)أخرجه ابن ماجه (4085)، وأحمد (645) بسند صحيح من حَدِيث علي رضي الله عنه

(**433**)أخرجه أبو داود (4282)، والترمذي (2230)، وأحمد (4098) واللَّفظُ له. صحَّحه الترمذي، والذهبي في ((تاريخ الإسلام)) (379/18)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2230)، وصحَّحه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (4282)، وحسَّنه الوادعي في ((الصَّحيح المسند مما ليس في الصحيحين)) (891).

(**434**)رواه الطبراني في الكبير (32،33/19) رقم (68) وابن حبان (6832 إحسان) وفي (1880 موارد) والحاكم (557/4) وصححه ووافقه الذهبي ، و قَال الهيثُمَّي في المجمع (314/7) : رواه البزار من طريق داود بن المحبر بن قحذم عن أبيه وكلاهما ضعيف .

10-عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قَالَ : " **ينزل عِيسَى ابن مريم فيقول أميرهم الْمَهديّ تعال صل بنا ، فيقول عِيسَى للمهدي : لا إن بعضكم أمير بعض تكرمة الله لأمة مُحَمَّد** "(435).

وتدبر فإن الْمَهديّ يَكُوْن في زمنه عِيسَى ابن مريم ، وإذا نزل عِيسَى ابن مريم يَكُوْن في زمانه الدجال ، فالذي يقتل الدجال عِيسَى ومعه الْمَهديّ ، ففي زمن عِيسَى يَكُوْن الْمَهديّ وفي زمن الْمَهديّ يَكُوْن عِيسَى ، وفي زمن عِيسَى يَكُوْن الدجال ، وفي زمن عِيسَى يخرج يأجوج ومأجوج ، فالعلامات خرزات منظومة في سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً ، كما في حَدِيث أبي هُرَيْرَة أن النبي ﷺ قَالَ : " العلامات – وفي لفظ الامارات – خرزات منظومات في سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً" (436)

11- عن أبي سعيد الخدري قال : «قال رسول الله ﷺ: **أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس** وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً فقال له رجل ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غناً ويسعهم عدله »(437)

12-عن أم المؤمنين عائشة قَالت : عَبَثَ رَسولُ اللهِ ﷺ في مَنامِه، فقُلنا: يا رَسولَ اللهِ، صَنَعتَ شيئًا في مَنامِكَ لَم تَكُنْ تَفعَلُه، فقال: العَجَبُ! إنَّ ناسًا مِن أُمَّتي يَؤُمُّونَ بالبَيتِ برَجُلٍ مِن قُرَيشٍ، قد لَجَأ بالبَيتِ، حتَّى إذا كانوا بالبَيداءِ خُسِفَ بهِم، فقُلنا: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ الطَّريقَ قد يَجمَعُ النَّاسَ، قال: نَعَم، فيهمُ المستَبصِرُ والمجبورُ وابنُ السَّبيلِ، يَهلِكونَ مَهلَكًا واحِدًا، ويَصدُرونَ مَصادِرَ شَتَّى، يَبعَثُهمُ اللهُ على نيَّاتِهم. (438)

(**435**)رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند صحيح

(**436**)رواه أَحْمَد (219/2) و قَال محققه : إسناده صحيح . والحاكم (546/4) وصححه ووافقه الذهبي

(**437**)أخرجه أحمد (37/3) (11344). قال الهيثمي في مجمع الزوائد : «رواه أحمد بأسانيد أبي يعَلَى باختصار كثير» .

(**438**)رواه البُخَارِي في البيوع (2118) و مُسْلِم في الفتن وأشراط السَّاعَة (8/2884) واللفظ له .

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّه في آخِرِ الزَّمانِ يَقصِدُ جَيشٌ عَظيمٌ الكَعْبةَ لتَخريبِها، حتَّى إذا كانَوا في بَيْداءَ مِن الأرضِ -أي: بأرْضٍ مُتَّسعةٍ مَلْسَاءَ لا شَيءَ بِها، ويَعني مَوضعًا مِن الصَّحارَى فيما بيْن مكَّةَ والمدينةِ- خَسَفَ اللهُ الأرضَ مِن تَحتِهم، فوَقَعوا فيها مِن أوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ، فَعمَّهُم كلَّهُم بالخسْفِ، وزاد مُسلمٌ في رِوايةٍ: «فلا يَبْقى إلَّا الشَّريدُ الَّذي يُخبِرُ عنهم». فَتَساءلتْ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها: كيفَ يَعُمُّ العِقابُ الجميعَ وفيهم أهْلُ سُوقِهم ممَّن يَبِيعون ويَشترُون، ومَن ليس منْهم ممَّن صادَفَ وُجودُه معهم عندَ وُقوعِ الخسْفِ، ولمْ يَنوِ غَزْوَ الكَعبةِ، ولا التَّعرُّضَ لها؟ فاستَشْكَلَت أمُّ المؤمنينَ وُقوعَ العذابِ على مَن لا إرادةَ له في القتالِ الَّذي هو سَببُ العُقوبةِ، فبَيَّن ﷺ أنَّ الخَسْفَ يَعُمُّهم، ثمَّ يَبعَثُهم اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القِيامةِ، فيُحاسَبُ كلٌّ منهم بحسَبِ نِيَّتِه وقصْدِه؛ إنْ خَيرًا فخَيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ.

وفي لفظ مُسْلِم من حَدِيث أم المؤمنين حفصة أن النبي ﷺ قَالَ : " سيعوذ بهذا البيت قوم من أمتي ليست لهم عدة ولا عدد ولا منعه مستضعفون ليست لهم عدة ولا عدد ولا منعة يبعث إِلَيْهِم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الْأَرْض خسف بهم" (439)وفي لفظ في صحيح مُسْلِم : " ولا يبقى منهم الا الشريد الَّذِيْ يخبر عنهم" (440) .

هذه العلامة إن ظهر الْمَهديّ في بيت اللَّه الحرام ويبايعه مجموعة من المسْلِمينَ لا عدد لهم ولا عدة ولا سلاح إنهم مستضعفون يخرج للمهدي جيش لقتاله والقضاء عَلَيْهِ فينصر اللَّه الْمَهديّ نصرا قدريا غيبيا يخسف اللَّه بهذا الجيش الْأَرْض ، ولا ينجو من هذا الجيش الا الشريد الا الرجل أو الرجلان .

إذا ظهرت هذه العلامة عرف المسْلِمونَ جميعاً عَلَى ظهر الْأَرْض أن الرجل العائذ بالبيت هو الْمَهديّ عَلَيْهِ السلام ، وينتشر الخبر بسرعة مذهلة في الْأَرْض كلها فلا يبقى مُسْلِم قادر يستطيع أن يرحل من بلده أيا كان إلى البيت الحرام الا وسافر حتى يرزقه اللَّه الشهادة أو يرزق اللَّه الامة النصر .

(**439**)رواه مُسْلِم في الفتن وأشراط السَّاعَة (7/2883).

(**440**) رواه مُسْلِم في الفتن وأشراط السَّاعَة (6/2883).

الأَخْبَارُ النَبَوِيَّةُ الْصادقة في الأَحْدَاثِ الْعَالمَيَّةِ المقْبِلَةِ

هذه بعض الاحاديث الصحيحة في شأن الْمَهديّ عَلَيْهِ السلام ومع كل ذلك خرجت علينا طائفة من أهل الكلام ومن المفكرين ومن المنتسبين إلى العلم وأنكروا المهدى عَلَيْهِ السلام وأوردوا بعض الشبهات [441].

من أقوال العلماء في الْمَهديّ عَلَيْهِ السلام:

1-قال التابعي المشهور محمد بن سيرين رحمه الله (الْمَهديّ من هذه الأمة، وهو الَّذِيْ يؤم عيسى بن مريم).

2-وقال الإمام البربهاري في شرح السنة (والإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيقتل الدجال ..... ويصلي خلف القائم من آل محمد ﷺ)

(**441**) قَالوا:لم يثبت في شأن المهدي حَدِيث صحيح ورد عَلَيْهِمْ الشوكاني رحمه الله فقَال : لقد وقفنا عَلَى الأَحَادِيث في شأن المهدي التي بلغت خمسين حديثا مِنْهَا الصحيح والحسن والضعيف المجبر ، فكيف يدعي واحد ممن ينتسبون إلى العلم بأنه لم يثبت في شأن المهدي حَدِيث صحيح .

و قَالوا : حتى لَوْ صحت الأَحَادِيث في شأن المهدي فإنها لآحاد ، وأحاديث الاحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة ، ومن ثُمَّ فان أحاديث المهدي ليست متواترة ، وهذا قول مردود لم يقل به واحد من السلف ، لأن لَوْ ثبت للمُسْلِم حَدِيث واحد صحيح عن النبي ﷺ وجب عليه أن يؤمن بهذا الحَدِيث ، وما سمعنا أن واحدا من الصَّحَابَة حدثه صحابي عن رسول الله ﷺ بخبر ف قَال له : خبرك خبر آحاد لا آخذ به سواء كان الخبر في أمر العقيدة أم في أمر الاحكام لا نعلم ذلك عَلَى الاطلاق ، وقدعلمناأن المسْلِمين وهم يصلون أخبرهم صحابي واحد أن النبي ﷺ حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فاستداروا جميعا من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام ولم يقل واحد منهم : لا ننتظر حتى نتثبت ، خبرك خبر آحاد ليس خبر متواتر ، و الَّذِيْ أخبرهم بحرمة الخمر صحابي واحد وما قَال الصَّحَابَة نتأكد أو نتثبت خبرك خبر آحاد وهكذا .

و قَالوا:أن أحاديث المهدي لم تأت صحيحة في الصحيحين ومن المعلوم أن الأَحَادِيث الصحيحة كلها لم تدون في الصحيحين فقط ، فالالاف مِنْهَا في المسانيد وفي السنن وفي المعاجم وفي دواوين أهل السنة.

و قَالوا : بأن الأَحَادِيث دخلها كثير من الاسرائيليات وهذا حق ، لكن الله عَزَّ وَجَلَّ قيض للسنة فرسان علم الحَدِيث فبينوا الصحيح من الضعيف والباطل والموضوع وحفظ الله السنة وطهرها من انحراف الغالين وتأويل المبطلين والفاسقين .

و قَالوا: نحتج بحديث يقول : " لا مهدي إِلَّا عيسى " والحَدِيث رواه ابن ماجة بسند ضعيف ، بل قَال الذهبي رحمه الله : حَدِيث منكر ..

3- وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان (والمسلمون ينتظرون نزول عيسى بن مريم من السماء ، لكسر الصليب ، وقتل الخنزير ، وقتل أعدائه من اليهود ، وعُبَّادِه من النصارى ، وينتظرون خروج الْمَهديّ من أهل بيت النبوة ، يملأ الْأَرْض عدلاً ، كما ملئت جوراً)

4- وقال البيهقي رحمه الله (والأحاديث في التنصيص عَلَى خروج الْمَهديّ أصح البتة إسناداً)

5- وقال صديق حسن خان (وأحاديث الْمَهديّ بعضها صحيح ، وبعضها حسن وبعضها ضعيف ، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام عَلَى ممر الأعصار)

6- وقال السَّفارينيُّ: (كثُرَتِ الأقوالُ في الْمَهديِّ حَتَّى قيلَ: «لا مَهدِيَّ إلَّا عيسى»، والصَّوابُ الذي عليه أهلُ الحَقِّ: أنَّ الْمَهديَّ غَيرُ عيسى، وأنَّه يَخرُجُ قَبلَ نُزولِ عيسى عليه السَّلامُ، وقَد كثُرَت بخُروجِه الرِّواياتُ حَتَّى بَلَغَت حَدَّ التَّواتُرِ الْمَعنَويِّ، وشاعَ ذلك بينَ عُلَماءِ السُّنةِ حَتَّى عُدَّ من مُعتَقَداتِهم... ثُمَّ ذَكَرَ بَعضَ الأحاديثِ الوارِدةِ فيه من طَريقِ جَماعةٍ مِنَ الصَّحابةِ، ثُمَّ قال: وقَد رُوي عَمَّن ذُكِرَ مِنَ الصَّحابةِ وغَيرِ مَن ذُكِرَ مِنهم بِرواياتٍ مُتَعَدِّدةٍ، وعَنِ التَّابِعين مِن بَعدِهم، ما يُفيدُ مَجموعُه العِلمَ القَطعيَّ؛ فالإيمانُ بخُروجِ الْمَهديِّ واجِبٌ، كما هو مُقَرَّرٌ عِندَ أهلِ العِلمِ، ومُدَوَّنٌ في عَقائِدِ أهلِ السُّنةِ والجَماعةِ) [442].

7- وقال الشَّوكانيُّ في رسالةٍ بعُنوانِ (التَّوضيح في تَواتُرِ ما جاءَ في الْمَهْديِّ الْمُنتَظَرِ والدَّجَّالِ والمسيح): (الأحاديثُ الوارِدةُ في الْمَهديِّ الَّتي أمكَنَ الوُقوفُ عليها مِنها خَمسونَ حَديثًا؛ فيها الصَّحيحُ، والحَسَنُ، والضَّعيفُ الْمُنجَبِرُ، وهيَ مُتَواتِرةٌ بلا شَكٍّ ولا شُبهةٍ، بَل يَصْدُقُ وصفُ التَّواتُرِ على ما هو دونَها على جَميعِ الِاصطِلاحاتِ الْمُحَرَّرةِ في الأصولِ، وأمَّا الآثارُ عَنِ الصَّحابةِ الْمُصرِّحةُ بالمهديِّ فهيَ كثيرةٌ أيضًا لَها حُكمُ الرَّفعِ؛ إذ لا مَجالَ لِلاجتِهادِ في مِثلِ ذلك) [443].

---

[442] / يُنظر: ((لوامع الأنوار البهية)) (2/ 84).

[443] / التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح . ورقة : (4 ، 5) .و يُنظر: ((الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة)) لصديق حسن خان (ص: 150).

8- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " الأحاديث التي يحتج بها عَلَى خروج الْمَهديّ أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم "((444))

9- وقال ابنُ كثيرٍ: (فَصْلٌ في ذِكرِ الْمَهديّ الذي يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ وهو أحَدُ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ والأئِمَّةِ الْمَهْديّين، ولَيسَ هو بالمنتَظَرِ الذي تَزعُمُ الرَّافِضةُ، وتَرتَجي ظُهورَه من سِردابِ سامَرَّا؛ فإنَّ ذلك ما لا حَقيقةَ لَه ولا عَينَ ولا أثَرَ... وأمَّا ما سَنَذكُرُه فقَد نَطَقَتْ به الأحاديثُ الْمَرويَّةُ عَن رَسولِ الله ﷺ، وأنَّه يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ، وأظُنُّ ظُهورَه يَكونُ قَبلَ نُزولِ عيسى بنِ مَريَم؛ فإنَّ هذا يَملَأُ الأرضَ عَدلًا كما مُلِئَت جَورًا وظُلْمًا، وهَكَذا عيسى بنُ مَريَم، كما دَلَّتْ على ذلك الأحاديثُ) ((445)).

وقال أيضًا بَعدَ ذِكرِه أدِلَّةً كثيرةً: (المقصودُ أنَّ المهديَّ الْمَوعودَ به يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ، ويَكونُ أصلُ خُروجِه من ناحيةِ الْمَشرِقِ، ثُمَّ يَأتي مَكَّةَ، فيُبايَعُ لَه عِندَ البَيتِ الحَرامِ، كما ذُكِرَ ذلك في الحَديثِ، وقَد أفرَدتُ في ذِكرِ الْمَهديّ جُزءًا على حِدَةٍ)"((446))

10- وقال مُحَمَّد شَمس الحَقّ العَظيم آبادي: (اعلَمْ أنَّ الْمَشهورَ بينَ الكافَّةِ من أهلِ الإسلامِ على مَرِّ الأعصارِ أنَّه لا بُدَّ في آخِرِ الزَّمانِ من ظُهورِ رَجُلٍ من أهلِ البَيتِ يُؤَيِّدُ الدِّينَ، ويُظهِرُ العَدلَ، ويَتَّبِعُه الْمُسلِمونَ، ويَستَولي على الْمَمالِكِ الإسلاميَّةِ ويُسَمَّى بالمهديّ، ويَكونُ خُروجُ الدَّجَّالِ وما بَعدَه من أشراطِ السَّاعةِ الثَّابِتةِ في الصَّحيحِ على أثَرِه، وأنَّ عيسى عليه السَّلامُ يَنزِلُ من بَعْدِه فيَقتُلُ الدَّجَّالَ، أو يَنزِلُ مَعَه فيُساعِدُه على قَتلِه، ويَأتَمُّ بالمهديّ في صَلاتِه.

11-قال الألبانيُّ: (فهَؤُلاءِ خَمسةٌ من كِبارِ أئِمَّةِ الحَديثِ التِّرمِذيُّ، والحاكِمُ، وابنُ حِبَّانَ، وابنُ تَيميَّةَ، والذَّهَبيُّ قَد صَحَّحوا أحاديثَ خُروجِ الْمَهديّ، ومَعَهم أضعافُهم مِنَ الْمُتَقَدِّمينَ والمتَأخِّرين، أذكَرُ أسماءَ من تَيَسَّر لي مِنهم:

1 – أبو داوُدَ في «السُّننَ» بَسُكوتِه على أحاديثِ الْمَهديّ.

---

444 / يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 55).

445 / يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 63).

446 / النهاية في الفتن والملاحم : (1 / 49) .

2 – العقيليُّ.

3 – ابنُ العَرَبِيّ في «عارِضة الأحوَذيّ».

4 – القُرطُبيُّ كما في «أخبارِ الْمَهديّ» للسُّيوطيّ.

5 – الطِّيبيُّ كما في «مِرقاة الْمَفاتيحِ» للشَّيخِ القارِئِ

6 – ابنُ قَيِّمِ الجَوزيَّةِ في «الْمَنارِ الْمنيفِ»، خِلافًا لمن كذَبَ عليه.

7 – الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ في «فتحِ الباري».

8 – أبو الحَسَنِ الآبريُّ في «مَناقِبِ الشَّافِعيّ» كما في «فتحِ الباري».

9 – الشَّيخُ علي القارِئُ في «الْمِرقاةِ».

10 – السُّيوطيُّ في «العرفُ الوَرديُّ ».

11 – العَلَّامةُ الْمُبارَكْفوريُّ في «تَحفة الأحوَذيّ».

وغَيرُهم كثيرٌ وكَثيرٌ جِدًّا) .[447]

[447] / يُنظر: ((سلسلة الأحاديث الصَّحيحة)) (4/ 41).

المبحث الثالث

المسيح الدجال

سبب تسميته.

صفته.

مكان خروجه.

أتباعه.

فتنه.

مكثه في الأرض.

الوقاية من فتنته.

هلاكه.

أبرز فتن الدجال وخوارقه:

-جنة الدجال وناره.

-إحياء الشاب.

-الأمر بالمطر والنبات.

المسيح الدَّجَّال

لمَ سُمِّي بالمسيح الدَّجَّال ؟

لفظ المسيح من الاضداد ، يُطلق عَلَى الصِّدِّيق والضِّليل، وقال القُرطُبِيُّ: (أمَّا الدَّجَّالُ فُسُمِّيَ مَسيحًا لأنَّه مَمسوحُ إحدى العَينين،[448]قَالَ:(المسيح الدجال ممسوح العين) [449]، وسُمي دجّالاً لأنه يُلبِّس عَلَى النَّاس بما معه من الشبهات ، فالدَّجل تغطية الشيء ، والدجَّال المموِّه الكذاب .

صفة المسيح الدَّجَّال :

رجل من بني آدم,شعره قَطَطٌ [450]، جُفال [451] ، وأنه شاب أحمر جسيم [452]، قصير [453] ، أجلى الجبهة [454]، عريض النَّحر [455]، فيه دَفَأ [456]، أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة [457]، وأعور اليسرى [458] ولكن العور في اليمنى أظهر ، مكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر [459] وفي رواية مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مُسْلِم [460] ويقرأه كل مؤمن كاتب

---

448 / يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (4/ 89)

449 / رواه مُسْلِم رقم (2933) ، فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفة ما معه ، وأبو داود رقم (4316،4317،4318) فى الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذى رقم (2246) فى الفتن

450 / شديد الجُعودة ، والحَدِيث في الصحيحين .

451 / صحيح مُسْلِم . والجُفال : الغزير الكثير .

452 / البُخَارِي و مُسْلِم .

453 / سنن أبي داود .

454 / الجلا : انحسار الشعر عن مقدمة الرأس .

455 / أعَلَى الصدر .

456 / مسند أَحْمَد . والدفأ : الانحناء .

457 / بارزة ، والحَدِيث في الصحيحين .

458 / صحيح مُسْلِم .

459 / رواه مُسْلِم رقم (2933) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

أو غير كاتب ((461))وهو عقيم لا يولد له. وبين النبي ﷺ ذلك لئلا يغتر النَّاس به ، وليعلموا إذا خرج عَلَيْهِ م أنه الدجال الَّذِيْ حذر منه ، ومبالغة في الحرص منه عَلَى عدم التباس أمره قَالَ :((فاعلموا أنه أعور وأن اللَّه ليس بأعور)) ((462).

هل ابن صياد هو المسيح الدجال ؟

وقد اختلف علماؤنا رحمهم اللَّه في ابن صياد الَّذِيْ قابله النبيﷺ هل هو المسيح الدجال ؟ ولعلَّ في التوقف في أمره اقتداءً بالنبي ، فإنه قَالَ لعمر بن الخطاب لما أراد قتله – وكان عمر يرى أنه الدجال – :(إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ) ((463). ونحن نقول : سواء أكان ابن صياد هو المسيح الدجال أم لم يكن فلاشكّ في خروجه آخر الزمان كما أخبر بذلك رَسُولنا ﷺ .

من أين يخرج الدجال ؟

يخرج الدجال من جهة المشرق ، قَالَ النبي ﷺ :(الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَال لَهَا خُرَاسَانُ)) ((464)، و قَالَ ﷺ :(يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةٍ أَصْبَهَانَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْيَهُود عَلَيْهِ مْ التِّيجَانُ) ((465).وإنه يخرج من خلّة بين الشَّام والعراق.

---

460 / رواه مُسْلِم رقم (2933) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفة ما معه ، وأبو داود رقم (3416 – 3418) فى الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذى رقم (2246) فى الفتن .

461 / رواه مُسْلِم رقم (2933) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفة ما معه ، وأبو داود رقم (3416 :3418) فى الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذى رقم (2246) فى الفتن .

462 / رواه البخارى رقم (7127) فى الفتن ، باب ذكر الدجال ، و مُسْلِم رقم (169) فى الايمان ، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، وأبو داود واللفظ له رقم (4757) فى السنة ، باب فى الدجال ، والترمذى رقم (2236،2242) فى الفتن ، باب ما جاء فى علامة الدجال .

463 / البُخَارِي و مُسْلِم .

464 / أَحْمَد والتِّرْمِذيّ وابن ماجه .

465 / أَحْمَد .

من علامات خروجه:

عن أبي أمامة الباهلي قَالَ خطبنا رَسُول اللَّه ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله أن قَالَ ... (وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد ، يصيب النَّاس فيها جوع شديد ، يأمر اللَّه السماء في السنة الاولى أن تحبس ثلث مطرها ، ويأمر الْأَرْض فتحبس ثلث نباتها ، ثُمَّ يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الْأَرْض فتحبس ثلثي نباتها ، ثُمَّ يأمر اللَّه السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ، ويأمرالْأَرْض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء ، فلا تبقى ذات ظلف الا هلكت الا ما شاء اللَّه . قيل : فما يعيش النَّاس في ذلك الزمان ؟ قَالَ : التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ، ويجرى ذلك عَلَيْهِ م مجرى الطعام) ((466))

وعن أبي هُرَيْرَة أن النبي ﷺ قَالَ : (سمعتم بمدينة جانب مِنْهَا في البر وجانب مِنْهَا في البحر ؟ قَالوا : نعم يا رَسُول اللَّه ﷺ. قَالَ : لا تقوم السَّاعَة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحق ، فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قَالوا : لا إله الا اللَّه واللَّه أكبر فيسقط أحد جانبيها ، ثُمَّ يقولوا الثانية : لا إله الا اللَّه واللَّه أكبر فيسقط جانبها الاخر ، ثُمَّ يقولوا الثالثة : لا إله الااللَّه واللَّه أكبر ، فيفرج لهم فيدخلوها ، فيغنموا ، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقَال : إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون) ((467)) .

وعن الصعب بن جثامة سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقول :(لا يخرج الدجال حتى يذهل النَّاس عن ذكره ، وحتى تترك الا ئمة ذكره عَلَى المنابر) ((468)) .

و عن عبد اللَّه بن عمر قَالَ : كنا قعوداً عند رَسُول اللَّه ﷺ فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الاحلاس فقَالَ قائل : يا رَسُول اللَّه وما فتنة الا حلاس ؟ قَال هي هرب وحرب ، ثُمَّ فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنَّمَا أوليائي

---

466 / ابن ماجه

467 / مُسْلِم

468 / أَحْمَد

المتقون ، ثُمَّ يصطلح النَّاس عَلَى رجل كورك عَلَى ضلع ، ثُمَّ فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الامة الا لطمته لطمة ، فإذا قيل انقضت تمادت ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، حتى يصير النَّاس إلى فسطاطين : فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) ((469)).

يخرج الدجال و يعيث في الارض فساداً ، و يجري اللَّه عَلَى يديه الخوارق ، عن حذيفة سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقول : (يخرج الدجال وإن معه ماءً وناراً، فما يراه النَّاس ماءً فهي نار تحرق وما يراه النَّاس نارا فهو ماء بارد عذب) ((470))

فمن أتباعه ؟

أتباعه الْيَهُود .قَالَ رسول الله ﷺ:(يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ الطَّيَالِسَةُ) ((471)) ، وكثير من أتباعه من النساء ، يقول نبينا في ذلك :(يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرْقَنَاةَ ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا ؛ مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ) ((472)).

المناطق التي يدخلها :

و يدخل الدجال كل البلاد الا أربعة : عن رجل من الانصار قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ :(أنذرتكم المسيح ... لا يأتي أربعة مساجد الكعبة ومسجد الرسول والمسجد الاقصى والطور ..) ((473)).

عن أبي هُرَيْرَة أن رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ : (يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة ، حتى ينزل دُبر أحد ، ثُمَّ تصرف الملائكة وجهه قبل الشَّام ، وهنالك يهلك) ((474)).

---

469 / أبو داود

470 / رواه مُسْلِم رقم (2934 ، 2935) فى الفتن ، باب ذكر الدجال .

471 / مُسْلِم .

472 / أَحْمَد .

473 / أَحْمَد

474 / مُسْلِم

فتنة الدجال

لم تكن فتنة عَلَى وجه الْأَرْض منذ ذرأ اللَّه ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال.

وإن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لم يبعث نبياً الا حذّر أمته الدجال. إنه يبدأ فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي. ثُمَّ يثني فيقول: أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا. وإنه يبرئ الاكمه والأبرص.

فتنة الدجال:

إنَّ فتنة الدجال لا عاصم مِنْهَا الا اللَّه ، لما معه من الشبهات والأمور العظام .

1-للدجال جنة ونار :

يقول رَسُول اللَّه ﷺ : (الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعَرِ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ) ((475))، و قَالَ:(مَعَه – أي الدجال- نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ) ((476)).

2-يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ :

ومن فتنته أن يأمر الْأَرْض فتخرج كنوزها ، ويمر عَلَى القوم يؤمنون به فيأمر السماء فتمطر و الْأَرْض فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمدّه خواصر، وأدرّه ضروعاً.

، ويمر عَلَى من يردون قوله ويكذبون حديثه فيصيبهم القحط ؛ ابتلاء واختباراً من اللَّه تعالى . يقول النبي ﷺ :((... فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِ مْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ . ثُمَّ

---

475 / مُسْلِم .

476 / رواه البخارى رقم (7130) فى الفتن ، باب ذكر الدجال ، و مُسْلِم رقم (2934،2935) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، وأبو داود رقم (4315) فى الملاحم ، باب خروج الدجال .

يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ)) ((477)).

3- يحيي شابا بَعْدَ قتله :

ومن فتنته ما جاء في خبر الصادق المصدق المصدوق :((ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ)) ((478)). ولهذه الفتن العظام ما من نبيٍّ الا وأنذر أمته الدَّجال.

4- بعث والدين بَعْدَ الممات :

وإن من فتنته؛ أن يقول لأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتّبعه؛ فإنه ربك.

أمام هذه الفتنة يفر النَّاس من الدجال : عن أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول : (ليفرنّ النَّاس من الدجال في الجبال . قَالت أم شريك : يا رَسُول اللَّه فأين العرب يومئذ ؟ قَالَ : هم قليل) ((479)).

كثير ممن تخرج في المدرسة العقلانية أنكر هذه الاحاديث بحجة أن العقل لا يقبلها !! وتالله إن عقلاً لا يقبل ذلك فهو عقل عليل قاصر ، وإن التصديق بهذه الاخبار الثابتة دليل عَلَى صحة تصور أصحابها ، ورجاحة عقولهم ، واتساع أفقهم ، وخصوبة مداركهم ؛ ذلك لأنهم أدركوا : أنَّ اللَّه عَلَى كل شيء قدير ، وأنَّ رَسُول اللَّه لا ينطق عن الهوى . وفي الخبر :(الا وَإِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمْ قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ وَبِالدَّجَّالِ وَبِالشَّفَاعَةِ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِقَوْمٍ يُخْرَجُونَ مِنْ النَّارِ بَعْدَمَا امْتَحَشُوا) ((480)). فعَلَى المسْلِم أن يختار أقوم الطريقين ، وأحسن السبيلين . أعني سبيل التصديق والإيمان عوضاً عن التكذيب والنكران .

---

477 / مُسْلِم .

478 / مُسْلِم .

479 / مُسْلِم

480 / أَحْمَد .

كم يلبث المسيح الدجال في الْأَرْض ؟

سؤال سأله الصَّحَابَة للنبي فكانت الاجابة ((أَرْبَعُونَ يَوْمًا ، يَوْمٌ كَسَنَةٍ ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ)) فقالوا : يَا رَسُول اللَّه فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ :((لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ)) [481]. وهذا الحَدِيث يدل عَلَى كمال تصديق الصَّحَابَة لنبينا ، ولولا هذا السؤال منهم والإجابة عَلَيْهِ لأنكره كثير من المفكرين والمنظرين ، كأني بهم وقتذاك يقولون : هذا دليل عَلَى الشدة والكرب ! وأن أول يوم من ظهوره يشق أمره تمر الساعات بطيئةً حتى يَكُوْن الْيَوْم كسنة !! ولكن اللَّه سلَّم بطرح هذا السؤال والإجابة عَلَيْهِ . فهو يوم تطلع الشمس فيه ولا تغرب الا بَعْدَ أربعين وستمائة و ثُمَّانية الاف ساعة . ولذا سأل الصَّحَابَة : أتكفي صلاة يوم واحد ؟ فبين أنه لابد في كل أربع وعشرين ساعة خمس صلوات . وهكذا التقدير في اليومين اللذين كشهر وأسبوع .

فكيف يتقي الْمُسْلِم هذه الفتنة ؟

تُتقى بأمور :

الأول : بتصحيح المعتقد في اللَّه . فمن علم أسماء اللَّه وصفاته علم أنه ليس بأعور والدجال أعور ، بل هو منزه عن كل عيب و نقص ، له الاسماء الحسنى ، و الصفات العلا (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [482]وعلم أن اللَّه تعالى لا يأكل ولا يشرب والدجال يأكل ويشرب ، و الدجال يراه النَّاس في الدُّنْيَا ، أما اللَّه رب العالمين فلا يُرى الا يوم الْقِيَامَة .

الثاني : بالاستقامة عَلَى دين اللَّه وسلوك سبيل الصالحين ، فإن النبي ﷺ قَالَ :(إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) [483]. أي : والله يتولى المسْلِم ، والمسْلِم الَّذِيْ يحظى بحفظ اللَّه هو الصالح ، قَالَ

---

481 / رواه مُسْلِم رقم (2937) فى الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، وأبو داود رقم (4321، 4322) فى الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذى رقم (2241) فى الفتن ، باب ما جاء فى فتنة الدجال .

482 / الشورى:11

483 / مُسْلِم .

تعالى : ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [484] . وقد ثبت في سنن ابن ماجه أنَّ شاباً صالحاً لا يقدر الدجال عَلَى زعزعة إيمانه بشبهاته ،قَالَ:((وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَيَقْتُلَهَا وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ ثُمَّ يَقُولَ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الا نَ ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي . فَيَبْعَثُهُ اللَّه وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّه ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّه ، أَنْتَ الدَّجَّالُ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ)) إن الايمان إذا تمكن من القلب لهو أرسخ فيها من رسوخ الجبال في الْأَرْض .فالواجب الثبات عَلَى الدين ، و التمسّك بالحق : ففي حَدِيث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ قَالَ: (إنه خارج خلة بين الشَّام والعراق ، فعاث يميناً وعاث شمالاً ، يا عباد اللَّه فاثبتوا) [485] .

الثالث : أن يُتعوَّذ بالله بَعْدَ التشهد في الصلاة من فتنته ، قَالَ :(إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)) [486].

الرابع : حفظ عشر آيات من أول الكهف . فمن ابتلي بناره؛ فليستغث بالله، وليقرأ فواتح (الكهف). فتكون عَلَيْهِ برداً وسلاماً ؛ كما كانت النار عَلَى إِبْرَاهِيم. لقول النبي ﷺ:((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ)) وفي راوية (مِنْ أَوَّلِ) وفي راوية ((من آخر)) [487] ، و قَالَ :(من أدركه فليقرأ عَلَيْهِ فواتح سورة الكهف)) [488]، وحري بالمسْلِم أن يحفظ هذه السورة كلها ويرددها كل جمعة ؛ لقول النبي ﷺ :((إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)) [489].

---

484 / الاعراف (196) .

485 / مُسْلِم

486 / البُخَارِي و مُسْلِم .

487 / رواه مُسْلِم رقم (809) فى صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسى ، وأبو داود رقم (4323) فى الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذى رقم (2888) فى ثواب القرآن .

488 / مُسْلِم .

489 / الحاكم .

الخامس : الفرار منه ؛ لقول النبي ﷺ :(مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ) ((490))و أفضل ذلك أن يسكن الانسان في مكة أو المدينة ، وإنه لا يبقى شيء من الْأَرْض الا وطئه وظهر عَلَيْهِ ؛ الا مكة والمدينة. لا يأتيهما من نقب من نقابهما الا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة. حتى ينزل عند الضريب الاحمر عند منقطع السبخة. فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج إِلَيْهِ. فتنفي الخبث مِنْهَا كما ينفي الكير خبث الحديد. ويدعى ذلك الْيَوْم يوم الخلاص.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ : (ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها نقب الا عَلَيْهِ الملائكة صافين يحرسونها ، ثُمَّ ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج اللَّه كل كافر ومنافق) ((491)) .

هلاك الدجال:

وأَمَّا هلاك الدجال فعَلَى يد عِيسَى ابن مريم عَلَيْهِ السلام عند باب لد ، فإذا قُتل خنس أتباعه من الْيَهُود ، فاختبئوا وراء الحجر والشجر فيُنطق اللَّه الحجر والشجر . قَالَ :((فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ– أي إلى عِيسَى – ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا ، وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام : إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ ، فَيَقْتُلُهُ ، فَيَهْزِمُ اللَّه الْيَهُود فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّه يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ الا أَنْطَقَ اللَّه ذَلِكَ الشَّيْءَ لَا حَجَرَ وَلَا شَجَرَ وَلَا حَائِطَ وَلَا دَابَّةَ ، الا الْغَرْقَدَةَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ ، الا قَالَ يَا عَبْدَ اللَّه الْ مُسْلِم هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ)) ((492)).عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ .. فَقَالَ : (... فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَ عَاثَ شِمَالاً ، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا ... فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ ، فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاّ مَاتَ وَ نَفَسُهُ

---

490 / أَحْمَد وأبو داود .

491 / متفق عَلَيْهِ

492 / مُسْلِم و أَحْمَد وابن ماجه .

يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ...) ((493)). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ وَ هُنَالِكَ يَهْلِكُ) ((494)) .

عن أبي هُرَيْرَة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (الإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْكُفْرُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، وَإِنَّ السَّكِينَةَ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ ، وَإِنَّ الرِّيَاءَ وَالْفَخْرَ فِي أَهْلِ الْفَدَّادِينَ : أَهْلِ الْوَبَرِ وَأَهْلِ الْخَيْلِ ، وَيَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، وَهِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ دُبُرَ أُحُدٍ تَلَقَّتْهُ الْمَلائِكَةُ ، فَضَرَبَتْ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ ، هُنَالِكَ يَهْلَكُ .. هُنَالِكَ يَهْلَكُ) ((495)).

عن أبي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : (لا تَقُومُ السَّاعَة حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ ، فَيَقُولُ المسْلِمونَ : لا وَاللَّهِ لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا ، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا ، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ ؛ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ : إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ ؛ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ) ((496)).

---

493 / رواه مسلم

494 / رواه مسلم

495 / الإمام أَحْمَد (457/2)وأَخرَجَه مسلم (153/9. نووى) ، وأبو يعَلَى (6459) ، وأبو نعيم ((المسند المستخرج)) (3194/47/4) ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء به مقتصراً عَلَى ذكر المسيح .و أَخرَجَه الترمذى (2243) ، وابن حبان (5774) كلاهما عن الداروردى عن العلاء به تاماً .

496 / الإمام مسلم ((كتاب الفتن))(22:20/18. نووى) و أَخرَجَه الحاكم (529/4) ، والدانى ((السنن الواردة فى الفتن))(598) كلاهما من طريق معَلَى ابن منصور عن سليمان بن بلال به .

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي قال : ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِنَا ، فَسَأَلْنَاهُ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، قَالَ : غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، إِنَّهُ شَابٌّ جَعْدٌ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ . وَقَصَّ الحَدِيث إلى أنْ قَالَ : ((فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ ، فَيَتْبَعُهُ فَيُدْرِكُهُ فَيَقْتُلُهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ الشَّرْقِيِّ)) [497] ، ثُمَّ ذكر بقية الحَدِيث .

[497] / الإمام أَحْمَد (181/4) قال أبو مُحَمَّد : هذا حَدِيث صحيح ، بل أصح حَدِيث للشاميين فى الدجال

المبحث الرابع

نزول عيسى عليه السلام

الأدلة على نزوله.

أقوال العلماء.

الحكمة من نزوله.

أعماله بعد النزول.

مدة بقائه في الأرض.

الرد على منكري نزوله.

نزول عِيسَى عَلَيْهِ السلام

فإنَّ من أشراط السَّاعَة الكبرى نزول عِيسَى عَلَيْهِ السلام ، ولا إيمان لمن لم يؤمن بذلك ؛ لتواتر النقل عن رَسُول الله ﷺ به .

في الليلة التي عُرِج فيها بالنبي ﷺ رأى عِيسَى عَلَيْهِ السلام فنعته لأمته ، فجاء في نعته أنه رجل رَبْعةٌ ((498)) ، عريض الصدر ((499)) ، آدم ((500))، أحمر ((501)) . ولا منافاة بين الروايتين ، فعيسى عَلَيْهِ السلام أسمر وفي سمرته حمرة . وهو جَعد ((502))، وشعره لِمَّةٌ ((503)) .

وقد دلَّت ثلاث آيات عَلَى نزوله قبل قيام السَّاعَة .

الآية الاولى : قوله تعالى :(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُول اللَّه وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ الا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّه إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّه عَزَّ يزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِ مْ شَهِيدًا) ((504)) .

يقول العلامة ابن كثير رحمه الله :" والضمير في قوله (قبل موته) عائد عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السلام، أي : وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى، وذلك حين ينزل إلى الْأَرْض قبل يوم

---

498 / البُخَارِي و مُسْلِم . والرَّبْعَةُ : معتدل الطول ليس بالطويل ولا بالقصير .

499 / صحيح البُخَارِي .

500 / البُخَارِي و مُسْلِم . والآدم الاسمر .

501 / البُخَارِي .

502 / يُطلق الجعد ويراد به المدح والذم ، فإن أريد به مدح فهو من اخشوشن شعره ، أو المجتمع بعضه إلى بعض وهذا هو المراد من الحَدِيث ، ومنه قول طرفه : أنا الرجل الجعد الَّذِيْ تعرفونه . وإن أريد به ذم فهو اللئيم أو البخيل .

503 / اللِمَّة من استرسل شعره إلى شحمة أذنيه ، فإن بلغ منكبيه فهو جُمَّةٌ .

504 / النساء (157-159) .

الْقِيَامَة ، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزيةَ ولا يقبل الا الاسلام " [505].

فيضع الجزية لأنهم يدخلون في الا سلام .

والضمير في قوله تعالى :(الا ليؤمنن به قبل موته) راجع لعيسى عَلَيْهِ السلام كما قَال ابن كثير ، ويؤيد هذا ما يلي :

1. هذا هو الظاهر وبه تنسجم الايات [506].
2. عَلَى هذا القول يَكُوْن مُفَسَّرُ الضمير ملفوظاً به ، وإذا اخترنا غير ذلك احتاج الكلام إلى تقدير ، وحمل الكلام عَلَى ما لا يحتاج إلى تقدير هو الا صل[(2)].
3. الأحاديث التي تبين نزوله آخر الزمان.
4. هذا قول الاكثرين . قَال الحافظ في الفتح [507] :" وبهذا جزم ابن عَبَّاس فيما رواه بن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح ، ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قَال : قبل موت عِيسَى ، والله إنه الا ن لحي ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون . ونقله عن أكثر أهل العلم ، ورجحه ابن جرير وغيره".

الدليل الثاني من القرآن :

قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَ قَالوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ الا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ الا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الا رْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [508] . لعِلْم : أي نزوله علامة من علامات السَّاعَة ، قَال ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ما :" ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ قَال : هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام

---

505 / تفسير القرآن العظيم (367/1) .

506 / راجع لزاماً أضواء البيان (129/7-138) .

507 / الحافظ في الفتح (492/6) .

508 / الزخرف (57-61) .

قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" ((509)). و قَال القرطبي رحمه الله :" وقرأ ابن عَبَّاس وأبو هُرَيْرَة و قتادة و مالك بن دينار و الضحاك : وإنه لعَلَمٌ للساعة ، بفتح العين واللام . أي : أمارة " ((510)).

وأَمَّا الدليل القرآني الثالث :

فقوله تعالى عن عِيسَى عليه السلام :﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاس فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ((511)). وقد ذُكر لنا كلامُه في مهده:﴿ قَال إِنِّي عَبْدُ اللَّه آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ((512)).

وأَمَّا كلامه حال كهولته فعندما ينزل آخر الزمان . فقد أورد الطبري عن ابن زيد رحمه الله :" قد كلمهم عِيسَى في المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل" ((513))، ونقل البغوي عن الحسين بن الفضل في تأويل قوله تعالى:﴿وكهلاً﴾ قَال :" بَعْدَ نزوله من السماء" ((514))، و قَال البيضاوي : " وكهلاً : بَعْدَ نزوله " ((515)) ، ونقل ذلك ابن الجوزي عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ما ((516)) .

وأَمَّاالأدلة من السنة النَّبوية فأكثر من أن تحصر في هذا المقام ، ولكني أذكر مِنْهَا ما يلي :

1-عن أبي هُرَيْرَة قَال : قَال رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم:((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) . قَال أَبُو هُرَيْرَة : وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ :﴿وَإِنْ

---

509 / أَحْمَد .

510 / تفسير القرطبي (91/16) .

511 / آل عمران (46) .

512 / مريم (30-33) .

513 / جامع البيان (270/3) .

514 / تفسير البغوي ، ص (38) .

515 / أنوار التنزيل ، ص (40) .

516 / انظر زاد المسير (390/1) .

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِ مْ شَهِيدًا﴾ ((517)) . فبين النبي ﷺ في هذا الحَدِيث أنه ينزل آخر الزمان ، فيسود العدل ، ويدعو إلى الاسلام. وقد فسر أبو هُرَيْرَة الاية بنزول عِيسَى آخر الزمان وإيمان أهل الكتاب به ؛ لأنه لا يقبل الا الاسلام .

2- عن أبي هُرَيْرَة قَال : قَال رَسُول اللَّه ﷺ :((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ)) ((518)).

3-قَال رَسُول اللَّه ﷺ:((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا)) ((519)).

4-حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيّ قَال : اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ ، فَقَال :((مَا تَذَاكَرُونَ)) ؟ قَالوا : نَذْكُرُالسَّاعَة . قَال ﷺ:((إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ : الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاس إِلَى مَحْشَرِهِمْ)) ((520)).

5-قوله :((عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللَّه مِنْ النَّارِ : عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ مَا السَّلَام)) ((521)).

6-قوله :((لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي عِيسَى - وَإِنَّهُ نَازِلٌ)) ((522)).

فكيف لإنسانٍ يؤمن بالله أن ينكر هذه الأحاديث .. الا لا إيمان لمن أنكر هذه الأحاديث ، وسأورد من كلام علمائنا رحمهم الله ما يدل لذلك .

---

517 / البُخَارِي ومُسْلِم .

518 / البُخَارِي ومُسْلِم .

519 / البُخَارِي ومُسْلِم .

520 / مُسْلِم .

521 / أَحْمَد والنَّسَائيّ .

522 / أبو داود .

إنَّ أحاديث نزول عِيسَى عَلَيْهِ السلام بلغت حدَّ التواتر [523]، وهذه أقوال بعض علمائنا رحمهم اللَّه التي تدل لذلك :

قَال الامام الطبري رحمه اللَّه – بَعْدَ ذكر الخلاف في مسألة وفاة عِيسَى – :" وأولى هذه الا قوال بالصحة عندنا قول من قَال : معنى ذلك : إني قابضك من الا رض ورافعك إلي لتواتر الا خبار عن رَسُول اللَّه ﷺ أنه قَال : ((ينزل عِيسَى ابن مريم فيقتل الدجال)) " [524] .

وقَال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه :" وقد تواترت الا حاديث عن رَسُول اللَّه ﷺ أنه أخبر بنزول عِيسَى عَلَيْهِ السلام قبل يوم الْقِيَامَة إماماً عادلاً ، وحكماً مقسطاً " [525] .

وقَال العلامة صديق حسن خان بَعْدَما أورد أحاديث نزوله عَلَيْهِ السلام :" جميع ما سقناه بالغ حدَّ التواتر كما لا يخفى عَلَى من له فضل اطِّلاع " [526] .

وللشيخ العلامة مُحَمَّد أنور شاه الكشميري كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

وقَال الغُماري :" تواتر هذا – أي : أحاديث نزول عِيسَى – تواتراً لا شكَّ فيه ، بحيث لا يصح أن ينكره الا الجهلة الا غبياء ؛ كالقاديانية ومن نحا نحوَهم " [527].

وقَال في عون المعبود :" تواترت الا خبار عن النبي ﷺ في نزول عِيسَى بن مريم من السماء بجسده العنصري إلى الا رض عند قرب السَّاعَة ، وهذا هو مذهب أهل السنة " [528] .

وقَال العلامةأَحْمَد مُحَمَّد شاكر رحمه اللَّه :" نزول عِيسَى عَلَيْهِ السلام في آخر الزمان مِمَّا لم يختلف فيه ال مُسْلِمون ، لَوْ رود الا خبار الصحاح عن النبي ﷺ بذلك ، وهذا معلوم من الدين

---

523 / الحَدِيث المتواتر ما رواه جمع غفير عن جمع غفير من مبدأ إِلَّا سناد إلى منتهاه بحيث تُحيل العادة تواطأهم عَلَى الكذب .

524 / جامع البيان (287/3) .

525 / تفسير القرآن العظيم (167/4) .

526 / الاذاعة لما كان وما يَكُوْن بين يدي السَّاعَة ، ص (160) .

527 / عقيدة أهل الاسلام في نزول عيسى عليه السلام ، ص (5) .

528 / عون المعبود (307/11) .

بالضرورة ، لا يُؤمِنُ من أنكره " [529]. ماذا تقول يا إمام ؟ لم يختلف فيه المسْلِمونَ ! إذاً فمن أنكر ذلك فليبحث عن موضعٍ لقدميه ؛ فإنه ليس ب مُسْلِم .

وقَال الشيخ الالباني رحمه الله :" اعلم أن أحاديث الدجال ونزول عِيسَى عَلَيْهِ السلام متواترة يجب الا يمان بها"[530] .

بيَّن نبينا الصفة التي ينزل عَلَيْهِا عِيسَى عَلَيْهِ السلام بقوله :((يَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ [531] كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ [532] لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ الا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ)) [533].

فما هي الوظائف التي يقوم بها عَلَيْهِ السلام إذا نزل ؟

1-يدعو عَلَيْهِ السلام إلى دين الاسلام . وهذا معنى قوله تعالى :﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ .

2- وقوله:(ويضع الجزية) أي : لا يقبل من أهل الكتاب الا الاسلام .

3-يكسر الصليب إبطالاً لعقائد النَّصَارَى .

4-يقتل الخنزير .

5-يحكم بالعدل .

وقد مضت الادلة عَلَى ذلك ، ومن الادلة قوله:((لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا ، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا ، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ)) [534] .

---

529 / حاشية تفسير الطبري (460/6) .

530 / حاشية شرح الطحاوية .

531 / الجُمَانُ : حبَّات الفضة . تشبيهاً لقطرات الماء التي تنحدر منه .

532 / لا يمكن .

533 / صحيح مُسْلِم .

534 / صحيح مُسْلِم .

6-يقتل المسيح الدجال عند لد ، فإنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السلام يطلبه ، ويلحقه بباب لد ، فإذا رآه الدجال ذاب ، فيطعنه عَلَيْهِ السلام برمحه .يدعو اللَّه أن يخلِّص النَّاس من شر يأجوج ومأجوج .الحج أو العمرة أو يجمع بينهما ؛ لقول النبي ﷺ:((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا)) ((535))

فما هي الحكمة من نزوله عَلَيْهِ السلام ؟

ذكر أهل العلم ثلاث حكم لذلك :

الأولى : إبطال عقيدة التثليث والصلب بكسر الصليب ودعوته للإسلام .

الثانية : إبطال دعوى الْيَهُود أنهم قتلوه ، وإبطال دينهم بدعوته للإسلام ، فينزل ويقتل زعيمهم الدجَّال .

الثالثة : لأن اللَّه تعالى قضى أنَّ كلَّ مخلوقٍ لابد أن يُدفن في الا رض ، قَال تعالى :﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ((536)).

فما حال النَّاس إذا نزل فيهم عِيسَى عَلَيْهِ السلام ؟

الجواب يأتيك من نبيك إذ يقول :(ثُمَّ يُقَال – بَعْدَ هلاك يأجوج ومأجوج- لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثمرتك ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ . فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنْ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنْ الا بِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنْ النَّاس ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاس ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاس)) ((537)) . و قَال ﷺ :((وَيُهْلِكُ اللَّه فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، وَتَقَعُ الا مَنَةُ عَلَى الا رْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الا سُودُ مَعَ الا بِلِ ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ)) ((538)).

كم يمكث عِيسَى بَعْدَ نزوله ؟

---

535 / صحيح مُسْلِم .

536 / طه (55) .

537 / صحيح مُسْلِم .

538 / مسند الامام أَحْمَد .

ثبت في صحيح الامام مُسْلِم أنَّ نبينا بين أن مكثه سبع سنين، وفي مسند الامام أَحْمَد:(فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمونَ)، ولا يمكن أن يقع تعارض في حَدِيث النبي ﷺ ، فأقول : لما رُفع عِيسَى عَلَيْهِ السلام كان له من العمر ثلاث وثلاثون سنة ، ثُمَّ ينزل فيمكث سبع سنين ، فتكون جملة السنوات التي مكثها أربعين سنة .

لقد أنكرت شرذمة من الجهلة نزول عِيسَى عَلَيْهِ السلام ، واستدلوا بأمور :

الشبهة الاولى : استدلالهم بقول الله تعالى :﴿ إِذْ قَال اللَّه يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[539].والجواب من وجوه :

هذه الاية فيها ثلاثة أقوال .

الأول : متوفيك أي منيمك ؛ لأن النوم وفاة، قَال تعالى :﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [540] ، فالنوم وفاة . و قَال تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [541]، أي : بالنوم .

الثاني : ﴿متوفيك﴾ أي قابضك ، قَال الامام الطبري :" و قَال آخرون : معنى ذلك : إني قابضك من الا رض فرافعك إليَّ ، قَالوا : ومعنى الوفاة القبض . كما يقَال : توفيتُ من فلانٍ ما لي عَلَيْهِ بمعنى : قبضته واستوفيته . قَالوا : فمعنى قوله : ﴿ إني متوفيك ورافعك ﴾ أي : قابضك من الا رض حياً إلى جواري، وآخذك إلى ما عندي بغير موت ، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك " [542] .

الثالث : متوفيك مميتك ، فمعنى الاية عَلَى ذلك : رافعك ، ومتوفيك بَعْدَ نزولك ؛ لأن الواو لا تفيد الرتبة . قَال ابن هشام في شرح قطر الندى وبلّ الصدى :" أجمع النحويون واللغويون من البصريين والكوفيين أن الواو تفيد الجمع ولا تفيد الترتيب " . فتكون الوفاة بَعْدَ نزوله . قَال الا مام الطبري :" و قَال آخرون : معنى ذلك : إذ قَال الله يا عِيسَى إني رافعك إلي ومطهرك من

---

539 / آل عمران (55) .

540 / الزمر (42) .

541 / الانعام (60) .

542 / الجامع لأحكام القرآن (287/3) .

الَّذِينَ كفروا ومتوفيك بَعْدَ إنزالي إياك إلى الدُّنْيَا " [543] . و قَال القرطبي رحمه الله :" و قَال جماعة من أهل المعاني منهم الضحاك والفراء في قوله تعالى: ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ عَلَى التقديم والتأخير ؛ لأن الواو لا توجب الرتبة . والمعنى : إني رافعك إلي ، ومطهرك من الَّذِينَ كفروا ، ومتوفيك بَعْدَ أن تنزل من السماء . كقوله : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى﴾ ، والتقدير : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً " [544].

ولو [545] سلَّمنا جدلاً – ولا نسلم بذلك أبداً – أن عِيسَى مات ، وثبتت النصوص بأنه سينزل ، فما الَّذِيْ يمنع من إحياء الله له لينزل إلى الْأَرْض . وقد ذكر الله عدداً من مخلوقاته أماتهم ثُمَّ أحياهم في الدُّنْيَا الحياة التي نعيشها ، كقتيل بني إسرائيل ، وطير إِبْرَاهِيم ، والَّذِينَ خرجوا من ديارهم وهو ألوف حذر الْمَوْت ، و الَّذِيْ مر عَلَى قرية وهي خاوية ومعه حماره قَال : أنى يحيي هذه الله بَعْدَ موتها .

والأظهر أنَّ المراد هو القول الثاني .

الشبهة الثانية :الاستدلال بقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم ﴾ [546]. قَال الامام الطبري :" فلما قبضتني إليك" [547] .

الشبهة الثالثة : استدلالهم بحديث النبي ﷺ:((لا نَبِيَّ بَعْدِي)) [548].

والجواب من وجوه :

الأول : أن عِيسَى سينزل حكماً وداعياً إلى دين الاسلام ، وليس ناسخاً لدين الا سلام .

الثاني:قَال تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُول مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَال أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالواْ أَقْرَرْنَا قَال

---

[543] / الجامع لأحكام القرآن(287/3)

[544] / الجامع لأحكام القرآن (100/4) .

[545] / (لو) هنا افتراضية محضة ، كالتي في قوله تعالى :﴿ لَوْ كان فيهما آلهة إِلَّا الله لفسدتا ﴾ .

[546] / المائدة (117) .

[547] / الجامع لأحكام القرآن (139/5) .

[548] / البُخَارِي و مُسْلِم .

فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ((549)). قَال ابن كثير رحمه الله :" يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عَلَيْهِ السلام إلى عِيسَى عَلَيْهِ السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ثُمَّ جاءه رَسُول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته " ((550)). فلا مانع إذاً من أن يأتي رَسُول بَعْدَ رَسُولنا ﷺ مصدقاً به وإلا لكان الكلام معيباً .

الثالث : جمع الله الانبياء للنبي وصلى بهم عند بيت المقدس فهل ننكر ذلك أيضاً ؟!!

الشبهة الرابعة : قَالوا : أحاديث نزول عِيسَى عَلَيْهِ السلام ضعيفة مردودة !!

والجواب :

وليس يَصِحُّ في الا ذهان شيء إذا احتاج النَّهَار إلى دليل

يقول الثعالبي رحمه الله :" وأجمعت الامةُ عَلَى ما تضمنه الحَدِيث المتواتر من أن عِيسَى عَلَيْهِ السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويقتل الدجَّال ، ويفيض العدل ، ويُظهر هذه الملة ملةَ مُحَمَّد ، ويحج البيت ويعتمر " ((551)). ولم ينكرها الا شرذمةٌ لا يُعتدُّ بخلافهم ولا يُفرح بوفاقهم ، وهم بعض المعتزلة والجهمية ((552)).

---

549 / آل عمران (81) .

550 / تفسير القرآن العظيم (502/1) .

551 / تفسير الثعالبي (272/1) .

552 / راجع شرح النووي عَلَى مُسْلِم (278/18) .

المبحث الخامس

يأجوج ومأجوج

حقيقتهم.

قصة السد.

خروجهم.فسادهم.

هلاكهم.

خروج يأجوج ومأجوج

لقد أورد كثير من المؤرخين والمفسرين أخباراً عجيبة وروايات غريبة عن يأجوج ومأجوج، ذكروا في هذه الروايات والأخبار أصلهم، ونسبهم، وأشكالهم، وألوانهم، ومكانهم!! والكثير من هذه الأخبار والروايات أُخِذَت من الإسرائيليات.من غير المصادر اليقينية كالقرآن والسنة النبوية الصحيحة، فلا يجوز لأحدٍ بحال أن يتكلم في مثل هذه الأمور الغيبية إلا بالدليل الصريح من القرآن أو بالدليل الصحيح من سنة النبي ﷺ.

من هم يأجوج ومأجوج ؟

يأجوج ومأجوج أُمَّتَانِ من البشر من ذرية آدم عليه السلام يتميزان عن بقية البشر بالاجتياح المروع والكثرة الكاثرة في العدد والتخريب والإفساد في الْأَرْض بصورة لم يسبق لها مثيل.

وَقَالَ المحققون من أهل اللغة نقلا عن ابن منظور في لسان العرب وغيره قالوا :

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان مشتقان من أجيج النار أي من التهابها ومن الماء الأجاج وهو الشديد الملوحة والحرارة .فشبَّهوهم بالنار المضطرمة المتأججة وبالمياه الحارة المحرقة المتموجة لكثرة تقلبهم، واضطرابهم، وتخريبهم، وإفسادهم في الْأَرْض .

بعث النار:

ففي الصحيحين من حَدِيث أبي سعيد الْخُدْرِيّ قال النبي ﷺ ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : يَا آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ . فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)) . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ

الْوَاحِدُ ؟ قَالَ :((أَبْشِرُوا ؛ فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا ، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا))[553] . وَقَالَ ﷺ :((إن يأجوج ومأجوج يموت منهم الرجل وأقل ما يدع من ذريته ألفا أو يزيدون)) [554]

وجلّى نبينا ﷺ صفاتهم بقوله :((إِنَّكُمْ تَقُولُونَ لَا عَدُوَّ، وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، شُهْبُ الشِّعَافِ [555]، مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ[556])) [557]

ذو القرنين ويأجوج ومأجوج:

لقد حكى الله قصة ذي القرنين في سورة واحدة من سور القرآن ألا وهي سورة الكهف قال الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ

---

553 / البُخَارِي ومُسْلِم .

554 / سنن النَّسَائيّ الكبرى والمعجم الأوسط ، وضعفه الألباني .

555 / الشهبة : سواد وبياض ، والشعاف هنا : الشعور .

556 / المجان التِّراس ، المطرقة : طرق الشيء الشيء أي : تراكم عليه . و الَّذِيْ فهمته من الحَدِيث : كثرة تجاعيد وجوههم حتى إن لحمها بعضه عَلَى بعض .

557 / مسند أَحْمَد .

ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) [558]

ذو القرنين عبد صالح اختلف أهل التفسير في نبوته لكن لا يستطيع أحد أن يجزم بذلك.

والقصة تبدأ بسؤال المشركين للنبي المصطفى ويأتي الجواب من الله جل وعلا: "قل" يا مُحَمَّد ، وكلمة "قل" يسميها علماء التفسير وعلماء اللغة قل التلقينيه أي القصة ليست من عند رسول الله ﷺ بل هي وحي من عند الله جل وعلا: قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا : كلمة " منه " التبعيضية: أي سأتلوا عليكم بعض الشيء من قصة ذي القرنين ولو علم الله في الزيادة عن النص القرآني خيراً لذكرها لنا فلنقف عند ما ورد في القرآن وما ثبت في حَدِيث النبي ﷺ: إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْض : تدبر ... فمن الَّذِيْ مَكَّنَ لذي القرنين؟

فالتمكين إن نقبت عنه في القرآن سترى أنه في كل مرة وردت لفظة التمكين تنسب إلى الله رب العالمين، وهذه القاعدة البلاغية تؤصل في القلوب قاعدة إيمانية .

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْض وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا). أخذ بهذه الأسباب والوسائل للتمكين والنصر والفتح والظهور .

وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . أعطاه من الأسباب ما يستطيع أن يفتح وأن ينتصر وأن يجوب البلاد شرقا وغربا .

يبدأ ذو القرنين الرحلة الجهادية الأولى في سبيل الله نحو المغرب .(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا) .

ومن المعلوم أنه ليس للشمس مشرقاً واحداً ولا مغرباً واحداً بل لها عدة مشارق ومغارب .

(قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) .فبين ذو القرنين منهجه العادل ودستوره الحكيم، فقال كما ذكر في كتاب ربنا: (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا). وأَمَّا

---

[558] / الكهف:83-98].

من ظلم نفسه بالشرك وعدم اتباعي فسوف أعذبه وله عند الله العذاب العظيم، أما من اتبعني وآمن بما جئت به ووحد الله واستقام عَلَى منهج الله فله الحسنى وهى الجنة، أما من ناحيتي فسنقول له يسرا .

ثُمَّ انطلق نحو المشرق في رحلة ثانية (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا). لا يحمى هؤلاء الناس والقوم شيء عَلَى الإطلاق، لا يحول بينهم وبين الشمس شيء.

(كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا) : أي علم الله عز وجل كل ما يدور في قلبه وفي نفسه.

وتبدأ الرحلة الثالثة التي هي محل الشاهد في موضوعنا:(حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) والسدين: الجبلين العظيمين .(وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا) .

لا يعرفون لغة ذي القرنين أو لا يستطيعون أن ينفتحوا عَلَى غيرهم من الأمم، فهم قوم منعزلون عَلَى أنفسهم، تعرضوا إلى أشد الهجمات وأعنف الضربات عَلَى يدي يأجوج ومأجوج، فلما رأوا ذا القرنين الملك الفاتح العادل توسلوا إليه وانطلقوا وقوفا بين يديه وَقَالوا: (يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْض فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا).

هؤلاء القوم يقولون لذي القرنين هل نبذل لك من أموالنا ما تشاء وما تريد عَلَى أن تبنى لنا سدا منيعا يحمينا من يأجوج ومأجوج .فرد عَلَيْهِمْ بزهد وورع وَقَالَ : قَالَ (مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ).لقد أعطاني الله عز وجل من وسائل التمكين ما أغنانى به عن مالكم ولكنه لمح فيهم الكسل، فأراد أن يشركهم في هذا المشروع العظيم وفي هذا العمل الضخم، فقال لهم ولكن!

(فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا). أي قال بلغة العصر: التخطيط الهندسي والمعماري والإنفاق المادي لبناء هذا السد ولإقامة هذا المشروع، سنتكفل نحن بذلك، ولكننا في حاجة إلى العمال، في حاجة إلى عمالة يحملون ويبنون ويقيمون هذا العمل.

وبدأ ذو القرنين المهندس البارع وأمر بالبدء في المرحلة الأولى من مراحل هذا المشروع . (ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) : أي اجمعوا لي قطع الحديد الضخمة وأمرهم بوضع هذه القطع في مكان ضيق بين هذين السدين، فلما وضعت قطع الحديد حتى ساوت قمة الجبلين قال: انفخوا النار المشتعلة التي تصهر هذا الحديد، ولك أن تتصور حجم هذه النيران التي اشتعلت لتصهر أطناناً من الحديد لا يعلم وزنها

إلا العزيز الحميد، اشتعلت النيران تحت هذا الحديد بين السدين في مكان ضيق، يريد أن يسد عَلَى يأجوج ومأجوج الطريق الَّذِيْ ينفذون منه إلى هذه الأمم المسكينة المغلوبة عَلَى أمرها .فأشعل النيران حتى انصهر الحديد وذاب بين السدين أي بين الجبلين، فأمر ذو القرنين أن يدخلوا في المرحلة الثانية من مراحل البناء، ألا وهي أن يذيبوا النحاس حتى ينصهر .فلما انصهر النحاس أمرهم بصب النحاس عَلَى الحديد فتخلل النحاس الحديد فأصبح النحاس والحديد معدناً واحداً ليزداد صلابة وقوة فلا تستطع يدى يأجوج ومأجوج أن تتسلقه أو أن تنقبه .

وبذلك يَكُوْن ذو القرنين قد سبق العلم المعاصر في تقوية الحديد بالنحاس فلما ساوى بين الصَّدَفين بهذا الحديد وبهذا النحاس ليبين لنا سمات القيادة الفذة الناجحة التي تستطيع أن تجمع بين الخيوط والخطوط .التي تستطيع أن تجمع بين المواهب والطاقات والقدرات والإمكانيات لتستغل الموارد والطاقات أعظم استغلال.

لم يقل: إنَّمَا أوتيته عَلَى علم عندي!! وإنَّمَا نسب الفضل لصاحب الفضل جل وعلا فقال: قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا

درس عظيم .. هذا رحمة من ربي ثُمَّ بين للحضور معتقده الصافي في الإيمان بالبعث والإيمان بيوم الْقِيَامَة فقال لهم إن الَّذِيْ أمر ببناء هذا السد هو الله، وأن الَّذِيْ أمر بحجز يأجوج ومأجوج هو الله، وأن الَّذِيْ سيأذن لهم بالخروج هو الله، وحتما سيأتي يوم عَلَى هذا السد المنيع ليجعله الله عز وجل دكاء أي ليسويه بالأرض وذلك لا يَكُوْن إلا بين يدي السَّاعَة كما سيسوى جبال الْأَرْض كلها بالأرض .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا .

هكذا يبين ذو القرنين العقيدة الصافية في الإيمان بالبعث، في الإيمان بيوم الْقِيَامَة وعلامته الكبرى حين يأذن الحق تبارك وتعالى ليأجوج ومأجوج في الخروج حينئذ يستطيعون أن ينفذوا هذا السد ويخرجوا .

خروجهم بين يدي السَّاعَة:

وفي السنة بيان أنَّ سدهم فُتح زمن النبي ﷺ فتحة كالحلقة ، فعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ :((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ،

فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ)) وحلق بالإبهام والسبابة [559]. ولكنهم لن يخرجوا إلا في آخر الزمان بَعْدَ نزول عيسى عليه السلام ؛ فعَنْ أَبِي رَافِعٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّدِّ قَالَ :((يَحْفِرُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَخْرِقُونَهُ قَالَ الَّذِيْ عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مُدَّتَهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ قَالَ الَّذِيْ عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاسْتَثْنَى، فَيَرْجِعُونَ فَيَجِدُونَهُ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَخْرِقُونَهُ فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ)) [560] .

بعض صور فسادهم

وقد بُين لنا بعض صور فسادهم ، ففي مسلم :((يَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ – قوم يأجوج ومأجوج– عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ)) ، وَقَالَ ﷺ :((يَفِرُّ النَّاسُ مِنْهُمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ فِي السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالدِّمَاءِ فَيَقُولُونَ : قَهَرْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ؛ قَسْوَةً وَعُلُوًّا)) [561] .

هلاك يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

وأَمَّاهلاكهم فقد ثبت أنه لا يد لأحد في قتالهم، فيدعو عَلَيْهِمْ نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، قال ﷺ :((أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ... فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ [562] فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ

---

559 / البُخَارِي ومُسْلِم .

560 / التِّرْمِذيّ وابن ماجه، وصححه الألباني .

561 / التِّرْمِذيّ وابن ماجه، وصححه الألباني .

562 / الدود الَّذِيْ يَكُوْن في أُنوف الإبل والغنم .

فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ)) [563].

لا يد لأحد في قتالهم ، ويَكُوْن موتهم بالنَّغف !﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[564] .

563 / مُسْلِم .

564 / الطلاق (12) .

الفصل الخامس

الأخبار النبوية في نهاية العالم وقيام الساعة

المبحث الأول

العلامات الكبرى الأخيرة

الدخان.

الخسوف الثلاثة.

طلوع الشمس من مغربها.

الدابة.

ظهور الدُّخان

من علامات الساعة وأشراطها العظمى ظهور الدُّخان قبل قيام الساعة والأدلة عَلَى ذلك من الكتاب والسنة :

قال تعالى : ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[565].

قد صَحَّ عَن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عَنه أنَّ هَذِه العَلامةِ قد وقعتْ في عَهدِ النَّبيّ ﷺ، فقال: " مَضَى خَمْسٌ : الدُّخَانُ وَالرُّومُ وَالْقَمَرُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ " [566]

وَقَالَ في الآية :" (إنَّ قُرَيْشًا لَمَّا غَلَبُوا النبيَّ ﷺ واسْتَعْصَوْا عليه، قالَ: اللَّهُمَّ أعِنِّي عليهم بسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ؛ فأخَذَتْهُمْ سَنَةٌ أكَلُوا فِيهَا العِظَامَ والمِيْتَةَ مِنَ الجَهْدِ، حتَّى جَعَلَ أحَدُهُمْ يَرَى ما بيْنَهُ وبيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الجُوعِ، قالوا: رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُونَ فقِيلَ له: إنْ كَشَفْنَا عنْهمْ عَادُوا، فَدَعَا رَبَّهُ فَكَشَفَ عنْهمْ، فَعَادُوا، فَانْتَقَمَ اللَّهُ منهمْ يَومَ بَدْرٍ، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: يَومَ تَأْتِي السَّمَاءُ بدُخَانٍ مُبِينٍ إلى قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ إنَّا مُنْتَقِمُونَ) [567]

قال ابنُ كثيرٍ مُعَلِّقًا على رَأيِ ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عَنه: (هذا التَّفسيرُ غَريبٌ جِدًّا، ولَم يُنقَلْ مِثلُه عَن أحَدٍ مِنَ الصَّحابةِ غَيرِه، وقَد حاوَلَ بَعضُ العُلَماءِ الْمُتَأخِّرينَ رَدَّ ذلك، ومُعارَضَتُه بما ثَبَت في حَديثِ أبي سَريحةَ حُذَيفةَ بن أسيدٍ: ((لا تَقومُ السَّاعةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آياتٍ)) [568]. فذَكَرَ فيهِنَّ الدُّخانَ ، وكَذلك في حَديثِ أبي هُرَيرةَ: ((بادِروا بالأعمالِ سِتًّا)). [569] فذَكَرَ فيهِنَّ الدُّخانَ، والحَديثانِ في صَحيحِ مُسْلِمٍ مَرفوعانِ، والمرفوعُ مُقَدَّمٌ على كُلِّ مَوقوفٍ، وفي ظاهِرِ القُرآنِ ما يَدُلُّ على وُجودِ دُخَانٍ مِنَ السَّماءِ يَغشى النَّاسَ، وهذا أمرٌ مُحَقَّقٌ عامٌّ " . [570]

---

565 / الدخان (10) .

566 / البُخَارِي ومُسْلِم .

567 / أخرجه البخاري (4822) واللَّفظُ له، ومسلم (2798).

568 / أخرجه مسلم (2901) باختلافٍ يسيرٍ.

569 / أخرجه مسلم (2947).

570 / يُنظر: ((البداية والنهاية)) (19/ 265).

وقَد ذَهَبَ ابنُ جَريرٍ إلى إمكانِ الجَمعِ بينَ القَولينِ فقال: (وبَعدُ، فإنَّه غَيرُ مُنكَرٍ أن يَكونَ أحَلَّ بالكُفَّارِ الذينَ تَوَعَّدَهم بهذا الوَعيدِ ما تَوَعَّدَهم، ويَكونَ مَحَلًّا فيما يُستَأنَفُ بَعدُ بآخَرِينَ دُخانًا على ما جاءَت به الأخبارُ عَن رَسولِ الله ﷺ عِندَنا كذلك؛ لأنَّ الأخبارَ عَن رَسولِ الله ﷺ قَد تَظاهَرَت بأنَّ ذلك كائِنٌ؛ فإنَّه قَد كان ما رَوى عَنه عَبدُ الله بن مَسعودٍ، فكِلا الخَبرين اللَّذين رُوِيَا عَن رَسولِ الله ﷺ صَحيحٌ) (571)

قال القرطبي رحمه الله: قال مجاهد : كان ابن مسعود يقول : " هما دخانان قد مضى أحدهما ، و الَّذِيْ بقي يملأ ما بين السماء والْأَرْض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة ، وأما الكافر فتثقب مسامعه (572)"

قال السَّفارينيُّ عَن خُروجِ الدخان: (هو ثابِتٌ بالكِتابِ والسُّنةِ... قال ابنُ عَبَّاس وابنُ عُمَرَ والحَسَنُ وزيدُ بنُ عليٍّ: هو دُخَانٌ قَبلَ قيامِ السَّاعةِ يَدخُلُ في أسماعِ الكُفَّارِ والمنافِقينَ، ويَعتَري الْمُؤمِنينِ مِنه كهَيئةِ الزُّكامِ، وتَكونُ الأرضُ كُلُّها كبَيتٍ أُوقِدَ فيه، ولَم يَأتِ بَعدُ، وهو آتٍ) (573)

وقال النووي رحمه الله تعالى ويُحتَمَلُ أنَّهما دُخانانِ؛ للجَمعِ بينَ هَذِه الآثارِ"(574)

---

571 / يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (21/ 21).

572 / التذكرة (655) .

573 / يُنظر: ((البحور الزاخرة)) (2/ 677).

574 / شرح صحيح مسلم للنووي (18 / 28) .

الخسوف الثلاثة

من العلامات الكبرى التي أخبر الرسول ﷺ بحدوثها في آخر الزمان الخسوفات الثلاثة :

1-عن حذيفة بن أسيد قال : اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ :((مَا تَذَاكَرُونَ)) ؟ قَالُوا : نَذْكُرُالسَّاعَة . قَالَ :((إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيات وذكر منها : ثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ)) [575] . والخسفُ : انشقاق الأرض, قال تعالى حكاية عن قارون: (فَخَسفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ) [576].

2-حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول ﷺ يقول : « سيكون بعدي خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب " ، قلت : يا رسول الله أيخسف بالأرض وفيها الصالحون ؟ قال لها رسول الله ﷺ : " إذا أكثر أهلها الخبث »[577]

الخسف الأول بالمشرق: فيقع خسف بالمشرق على شرار الخلق بعد أن قبض الله أرواح المؤمنين.

الخسف الثانى بالمغرب والخسف الثالث بجزيرة العرب.

فهذه الخسوفات الثلاثة من الأَشْرَاط الكبرى التي لا تظهر إلا في آخر الزمان ، وهي غير الخسوفات التي وقعت في الماضي وفي أماكن متعددة ؛ لأن هذه من أشراط الساعة الصغرى ، أما هذه الخسوفات الثلاثة فهي خسوفات عظيمة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وقد وجد الخسف في مواضع ، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زائدا عَلَى ما وجد ، كأن يكون أعظم منه مكانا أو قدرا "[578]

---

575 / صحيح مُسْلِم .

576 / **القصص:81**

577 / أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4 / 74) وقال الهيثمي في المجمع (8 / 11) : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه حكيم بن نافع ، وثقه ابن معين وضعفه غيره ، وبقية رجاله ثقات .

578 / فتح الباري (13 / 84) .

طلوع الشمس من مغربها

وهي من الآيات التي حدثنا عنها القرآن الكريم ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [579] . وقد فسَّر النبيُّ ﷺ ذلك بطلوع الشمس من المغرب فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا :((أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ))؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ :((إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا : ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ، الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا : ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا :ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا. أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾)) [580] .

وفي رواية ابن مردويه بسند حسن بالشواهد من حديث عبد الله بن أبي أوفى أن الصادق المصدوق قال: ((يأتى على الناس ليلة تعدل ثلاث ليالٍ من لياليكم، فإذا كان ذلك يعرفها المتنفلون، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه، ثم ينام فيفزعون إلى المساجد فإذا هم يرون الشمس قد طلعت من مغربها)) [581]

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أنه قال: ((ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض)) [582]

---

579 / الأنعام (158) .

580 / رواه البخارى رقم (4802) ، فى تفسير سورة يس ، وفى بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر ، ومسلم رقم (159) ، فى الإيمان ، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان ، والترمذى رقم (3225) ،فى التفسير ، باب ومن سورة يس .

581 / رواه ابن مردويه بسند حسن .

582 / رواه مسلم رقم (158) ، فى الإيمان ، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان ، والترمذى رقم (3074) ، فى التفسير ، باب ومن سورة الأنعام .

أيها الحبيب أذكر نفسى وأذكرك بالمبادرة بالتوبة والأوبة إلى الله عز وجل قبل أن يغلق الله باب التوبة علينا.

فإن المصطفى يقول والحديث رواه أحمد بسند صحيح قال: ((لا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل)) [583]

قال المصطفى: كما فى صحيح مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى: ((إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) [584]

قال القرطبي رحمه الله: "قال العُلَماء: وإنَّمَا لاينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو الْقِيَامَة في حال من حضرة الْمَوْت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الْمَوْت". إن طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة يَكُوْن متتالياً وربما كما قال بعض العُلَماء يَكُوْن في يوم واحد، وهو الْيَوْم الَّذِيْ تطلع الشمس فيه من المغرب تخرج الدابة فيه عَلَى الناس. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا)) [585]. ولا يبقى بَعْدَ ذلك إلاّ النار التي تخرج من قعر عدن لتحشر الناس إلى محشرهم وبَعْدَها تقوم السَّاعَة.

---

583 / رواه أبو داود ، فى البيعة ، باب ذكر الاختلاف ، وصححه الألبانى ، فى الإرواء (1208) ، وهو فى صحيح الجامع رقم (7469) .

584 / رواه مسلم رقم (2760) ، فى التوبة ، باب غيرة الله تعالى ، وهو فى صحيح الجامع رقم (1871) .

585 / رواه مسلم

خروج دابة الْأَرْض

خروج دابة الْأَرْض التي نطق بها القرآن الكريم، يقول تعالى :﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [586] . عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن معنى تكلمهم : تجرحهم ، بمعنى تكتب عَلَى جبين الكافر كافرا ، وعَلَى جبين المؤمن مؤمنا . وروي عنه أيضا بمعنى تخاطبهم .

قال الحافظ ابن كثير : " هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق . يخرج الله لهم دابة من الْأَرْض فتكلم الناس عَلَى ذلك "[587]

وقال الألوسي: " أي تكلمهم بأنهم لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات "[588]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ)). [589] .

وهذه الدابة لا يليق بالمسلم أن يبحث عن أمور لم ترد في الكتاب ولا في السنة ، كصفتها ، وفصيلتها ، ونحو ذلك ... فنؤمن بأنها دابة من خلق الله تكلم الناس ونسكت عما سُكت عنه .

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : " والآية صريحة بالقول العربي أنها (دابة) ، ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح ، لا يحتاج إلى تأويل ، وقد بين الحديث بعض فعلها ، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة الآية ، وأنها تخرج آخر الزمان ، ووردت آثار أخر في صفتها لم تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلغ عن ربه والمبين آيات كتابه ، فلا علينا أن ندعها [590].

---

586 / النمل (82) .

587 / انظر : تفسير ابن كثير (3 / 351) .

588 / انظر : روح المعاني (6 / 314) .

589 / رواه مسلم.

590 / انظر : مسند الإمام أحمد بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر (15 / 82) .

يقول العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : " وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة ، كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة ، وإنَّمَا ذكر أثرها والمقصود منها ، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلاما خارقا للعادة حين يقع القول عَلَى الناس ، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانا للمؤمنين وحجة عَلَى المعاندين [591]"

عمل الدابة :

ويتلخص عمل الدابة في الأمور التالية :

1- **أنها دابة تكلم الناس** . وتقول : إنَّ الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون، هذا عَلَى قراءة من فتح همزة (إنَّ) ، وأَمَّا عَلَى قراءة من كسر همزة (إنَّ) فيكون كلامها غير مبين في الآية لأن الجملة استئنافيةً . ولكن القراءات يفسر بعضها بعضاً . ولذا قرأ أبي ﷺ (تنبئهم) .

2 - **أنها تسم المؤمن بعلامة وتجلو وجهه حتى ينير** .

3 - **أنها تسم الكافر بعلامة قيل : هي خطم الأنف** .قال ابن الأثير : يعني تصيبه فتجعل له أثرا مثل أثر الخطام . قال رسول الله ﷺ:((تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَام ، فَتَخْطِمُ الْكَافِرَ بِالْخَاتَمِ، وَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا)) [592]. وقرأ ابن عباس (تَكْلَمُهم) .

مكان خروج الدابة:

اختلف العلماء في مكان خروج الدابة إلى عدة أقوال منها:

1-أنها تخرج من جبل الصفا أو من المسجد الحرام بمكة المكرمة . ومما يدل عَلَى خروجها من أعظم المساجد ، ما أخرجه الطبراني في الأوسط عن حذيفة بن أسيد - أراه رفعه - قال : « تخرج الدابة من أعظم المساجد ، فبينا هم إذ دبت الْأَرْض فبينا هم كذلك إذ تصدعت »[593]

---

591 / تفسير ابن سعدي (5 / 603) .

592 / المسند للإمام أَحْمَد .

593 / أخرجه الطبراني في الأوسط (2 / 176) ، وقال الهيثمي في المجمع (8 / 8) : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

2- القول الثاني : أن لها خرجات ، الأولى من أقصى البادية ، ثم تختفي ، ثم تخرج من بعض أودية تهامة ، ويصدق عليها أنه من وراء مكة ، وفي المرة الأخيرة تخرج من مكة . وهذا القول الأخير هو الَّذِيْ يجمع بين الأقوال في خروجها .

المبحث الثاني

النار والحشر

خروج النار من اليمن.

مكان الحشر.

زمان الحشر.

الجمع بين الأحاديث الواردة فيه.

خروج نار من اليمن

آخر الآيات الكبرى والعلامات العظمى لأشراط الساعة وأول الآيات المؤذنة بقيام القيامة خروج نار من اليمن تحشر الناس إلى محشرهم .

الأدلة عَلَى خروجها:

1-حَدِيث حذيفة بن أسيد قال : اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ . فَقَالَ :((مَا تَذَاكَرُونَ)) ؟ قَالُوا : نَذْكُرُالسَّاعَة . قَالَ :((إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ ... وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)) [594] .

2-حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة وآخره قوله ﷺ : « وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » ، وفي رواية : « نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس »[595]

3- حديث ابن عمر رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس »[596]

4- حديث أنس رضي الله عنه : « أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل ومنها : ما أول أشراط الساعة ؟ فقال النبي ﷺ : " أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » [597]

---

[594] / صحيح مُسْلِم .

[595] / أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن وأشراط الساعة (4 / 2225 ، 2226) .

[596] / أخرجه الإمام أحمد في المسند (7 / 133) برقم (5146) بتحقيق أحمد شاكر ، وقال عنه : إسناده صحيح . والترمذي : كتاب الفتن (4 / 431) ، وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح ، وقد صححه الألباني . انظر : صحيح الجامع (3 / 203) .

[597] / أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب أحاديث الأنبياء (6 / 417 - 418) .

الجمع بين الأحاديث الواردة في مكانها :

الجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشراط الساعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراطها بأن يقال : إن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة معها في حديث حذيفة ، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بَعْدَها من أمور الدنيا أصلا ، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة ، فإنه يبقى بَعْدَ كل آية منها أشياء من أمور الدنيا[598]

أما ما جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن ، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب فيجاب عن ذلك بأجوبة :

1 – أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب ، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الْأَرْض كلها ، والمراد بقوله ﷺ : « تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب .

2 – أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولا ، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائما من المشرق ، وأما جعل الغاية المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى أهل المشرق مغرب .

3 – يحتمل أن تكون النار المذكورة في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار ، وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة الغرب ، كما شوهد ذلك مرارا في عهد التتر والمغول وغيرهم ، وأما النار التي في حديثي حذيفة بن أسيد وابن عمر فهي نار حقيقية ، والله أعلم[599]

ويحشر الناس عَلَى ثلاثة طرق ، يقول نبينا ﷺ :((يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ [600] طَرَائِقَ : رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ (وفي طريق : راكبين) [601]، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَعَشَرَةٌ عَلَى

---

598 / انظر : فتح الباري (13 / 86) .

599 / انظر : فتح الباري (13 / 86) .

600 / يجوز ثلاث وثلاثة لجواز التأنيث والتذكير في (طريق) .

601 / مسند الإمام أَحْمَد .

بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمْ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا)) [602] . وفي رواية [603] :((يَكُوْن لها ما سقط منهم)) .وفي المسند – لما ذكر النبي ﷺ من يحشر ماشياً – سئل، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : هَذَانِ قَدْ عَرَفْنَاهُمَا، فَمَا بَالُ الَّذِينَ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ ؟ فقَالَ :((يُلْقِي اللَّهُ الْآفَةَ عَلَى الظَّهْرِ حَتَّى لَا يَبْقَى ظَهْرٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ الْحَدِيقَةُ الْمُعْجِبَةُ فَيُعْطِيهَا بِالشَّارِفِ [604] ذَاتِ الْقَتَبِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا))

مكان الحشر:

وهذا الحشر سيكون بالشام ؛ لقول النبي ﷺ في الشَّام :((ها هنا تُحشرون)) [605] . عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : تُحْشَرُونَ هَا هُنَا وَ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَحْوِ الشَّامِ [606]حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنكم محشورون رجالا وركبانا ، وتجرون عَلَى وجوهكم ها هنا ، وأومأ بيده إلى الشام »[607]

وهذا الحشر يَكُوْن في الدنيا ؛ فإنَّ الناس يُحشرون في الْآخِرَة حفاةً عراةً غرلاً بهماً ، أما في هذا الحشر فقد ذكر النبي ﷺ أنَّه يَكُوْن ممن يُحشر صاحب الحديقة المعجبة ، وأن بعض الناس يُحشرون راكبين ، وهذا لا يَكُوْن في حشر الْآخِرَة، وهذا مِمَّا لا ينبغي أن يُنازع فيه .قال ابن حجر رحمه الله :" ومن أين يَكُوْن للذين يبعثون بَعْدَ الْمَوْت عراة حفاة حدائق حتى يدفعوها في الشوارف " [608].

---

602 / أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق (7 / 194) ، مسلم في صحيحه : كتاب الجنة وصفة نعيمها (4 / 2194) .

603 / للطبراني في الكبير والأوسط .

604 / الناقة المسنة .

605 / مسند الإمام أَحْمَد .

606 / مسند الإمام أَحْمَد .

607 / أخرجه الإمام أحمد في المسند (5 / 3) ، والترمذي في كتاب صفة القيامة (4 / 532) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

608 / فتح الباري (382/11) .

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ستخرج نار من حضرموت قبل الْقِيَامَة تحشر الناس، فقالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام)) [609]. ويَكُوْن حشر الناس عَلَى ثلاثة أفواج: فوج راغبون طاعمون كاسون راكبون وفوج يمشون تارة ويركبون أخرى يعتقبون عَلَى البعير الواحد كما ثبت في الصحيحين: اثنان عَلَى بعير وثلاثة عَلَى بعير وعشرة عَلَى بعير. وذلك من قلة الظهر يومئذٍ. والفوج الثالث تحشرهم النار فتحيط بهم من ورائهم وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر تقيل معهم النار حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا ومن تخلف أكلته النار. و الْأَرْض التي تحشر النار الناس إليها هي أرض الشَّام .و عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الشَّام أرض المحشر والمنشر)) [610]. وعند الامام أَحْمَد عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ يَنْحَازُ النَّاسُ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ إِلَّا شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ تَحْشُرُهُمْ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ)) [611].

والسبب في كون أرض الشَّام هي أرض المحشر هو أنه عندما تقع الفتن في آخر الزمان تكون أرض الشَّام هي محل الأمن والأمان. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ)) [612].وقد دعا النبي ﷺ للشام بالبركة فقال : « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا »[613]وقد تقدم أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان

---

609 / رواه التِّرْمِذيّ بسند صحيح

610 / أخرجه الإمام أحمد في المسند (6 / 463) ، وابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة (1 / 450) ، وأخرجه الربعي في فضائل الشام (4) ، وصححه الألباني في تخريجه له .

611 / رواه الإمام أَحْمَد

612 / رواه الإمام أَحْمَد بسند صحيح

613 / أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الفتن : (8 / 95) .

يَكُوْن بالشام وبه يَكُوْن اجتماع المؤمنين لقتال الدجال. وهناك يقتله المسيح عليه السلام بباب لد ، هذا بالإضافة إلى أن أرض الشام مهبط الأنبياء ومسرى رسول الله ﷺ . (614)

زمان الحشر:

إن هذا الحشر للناس ليس هو حشر الْآخِرَة، وإِنَّمَا هذا حشر يَكُوْن في الدنيا كما ذهب جماهير العلماء **(615)**، وأَمَّا الحشر الآخر الَّذِيْ يَكُوْن يوم الْقِيَامَة فبعد بعث الناس من القبور. قال ابن كثير رحمه الله: فهذه السياقات تدل عَلَى أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الْأَرْض إلى محل الحشر وهي أرض الشَّام. وهذا كله مِمَّا يدل عَلَى أن هذا في آخر الزمان حيث الأكل والشرب والركوب عَلَى الظهر المشترى وغيره وحيث تُهلك المتخلفين منهم النار ولو كان هذا بَعْدَ نفخة البعث لم يبق موت ولا ظهر يُشترى ولا أكل ولا شرب ولا لبس في العرصات. قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله – : " فأما شرار الخلق فتخرج نار في آخر الزمان تسوقهم إلى الشام قهرا حتى تجمع الناس كلهم بالشام قبل قيام الساعة "**(616)**

---

614 / للحافظ الربعي كتاب قيم بهذا الشأن سماه (فصائل الشام) جمع فيه الأحاديث الواردة في فضل الشام ، وقد شرحه العلامة القاسمي ، وطبع بتحقيق وتخريج العلامة الشيخ الألباني بالمكتب الإسلامي فليراجع .

615 / شرح مسلم للنووي (17 / 194 - 195) وفتح الباري (11 / 387) .

616 / لطائف المعارف لابن رجب (90) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فهذا ما تيسَّر جمعُه وبيانُه في هذا البحث الموسوم بـ:

«الأخبار النبوية الصادقة في الأحداث العالمية المقبلة»، والذي تناول جانبًا عظيمًا من دلائل النبوة، وهو ما أخبر به النبي ﷺ من أخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة، مما وقع بعضه، ولا يزال بعضه ينتظر الوقوع كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

وقد ظهر من خلال هذا البحث أن نصوص أشراط الساعة والفتن ليست مجرد أخبار غيبية للتسلية أو الإثارة، بل هي نصوص عقدية وتربوية وإيمانية عظيمة المقاصد، تُجدِّد الإيمان، وتربط القلوب بالآخرة، وتكشف للمؤمن سنن الله في عباده وأحداث التاريخ، كما تُظهر صدق النبي ﷺ فيما أخبر به عن ربه سبحانه.

كما تبين أن منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب قائم على التسليم للنصوص الصحيحة، والإيمان بما دلت عليه، مع الحذر من التكلف في تنزيلها على الوقائع دون علم أو بينة، فإن كثيرًا من الانحرافات المعاصرة في باب الفتن والملاحم نشأت من الجرأة على النصوص، والتوسع في التأويل، وربط الأحاديث بالأحداث السياسية والوقائع اليومية بغير ضابط علمي معتبر.

وقد أبرز البحث أثر الألفاظ العربية ودلالات الحروف في اختلاف الفقهاء والعلماء في فهم بعض النصوص المتعلقة بالأحداث المستقبلية، مما يؤكد أهمية العناية بالدلالة اللغوية والنحوية في فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام والمعاني منها.

كما ظهر من خلال تتبع الأخبار النبوية أن ما وقع منها عبر القرون إنما وقع على وفق ما أخبر به النبي ﷺ، مما يزيد المؤمن يقينًا بصدق رسالته، وأن ما بقي منها سيقع كما أخبر، لأن خبره وحي من عند الله تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لكاتبه وقارئه، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح والثبات على الحق حتى نلقاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم النتائج

1- أن الأخبار النبوية المتعلقة بالمستقبل بابٌ من أبواب العقيدة والإيمان بالغيب، يجب التصديق به والتسليم لما صح منه.

2- أن أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة من دلائل نبوة النبي ﷺ، لما وقع كثير منها مطابقًا لما أخبر به.

3- أن نصوص الأَشْرَاط والفتن جاءت لتحقيق مقاصد شرعية عظيمة، من أهمها: التحذير، والاستعداد للآخرة، وتجديد الإيمان، وبيان سنن الله في الأمم.

4- أن منهج أهل السنة والجماعة قائم على الإيمان بالنصوص الصحيحة دون تكلف في التأويل أو جزم بتنزيلها على الوقائع المعاصرة.

5- أن التسرع في تنزيل النصوص على الأحداث المعاصرة من أعظم أسباب الانحراف والاضطراب في باب الفتن والملاحم.

6- أن كثيرًا من الانحرافات المعاصرة في هذا الباب نشأت من الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والآثار الواهية، أو من التأويلات السياسية والعاطفية غير المنضبطة.

7- أن خبر الآحاد الصحيح حجة في العقيدة والأحكام، وأن جمهور أهل السنة يحتجون به في مسائل أشراط الساعة والغيبيات.

8- أن دلالات الحروف والألفاظ العربية كان لها أثر ظاهر في اختلاف الفقهاء والمفسرين في فهم بعض النصوص الشرعية.

9- أن الأَشْرَاط تنقسم باعتبارات متعددة إلى: صغرى وكبرى، وإلى ما وقع وما لم يقع، وأن الكبرى إذا بدأت تتابعت تقاربًا.

10- أن دراسة الأخبار النبوية المستقبلية ينبغي أن تبنى على الجمع بين صحة الرواية وصحة الفهم والتنزيل.

أهم التوصيات

1- العناية بجمع أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة من مصادرها الأصلية، مع التثبت من صحتها وفق منهج المحدثين.

2- ضرورة نشر المنهج العلمي الصحيح في فهم النصوص المستقبلية، والتحذير من العشوائية في تنزيلها على الواقع.

3- توجيه الباحثين إلى دراسة هذا الباب دراسة عقدية حديثية تجمع بين الرواية والدراية.

4- التحذير من الكتب والمقالات والمقاطع الإعلامية التي تبني تصوراتها المستقبلية على الظنون والتخرصات وربط النصوص بالأحداث دون ضوابط علمية.

5- العناية ببيان منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن، خاصة في أزمنة الاضطرابات الفكرية والسياسية.

6- دعوة المسلمين إلى الاشتغال بما ينفعهم من العمل الصالح والاستعداد للآخرة بدل الانشغال المفرط بتحديد الأزمنة والأشخاص والأحداث.

7- التأكيد على أهمية علوم اللغة العربية وأصول الفقه في فهم النصوص الشرعية المتعلقة بالفتن والأَشْرَاط والملاحم.

8- تشجيع الدراسات المقارنة التي تُبرز أثر الدلالات اللغوية في اختلاف الفقهاء والمفسرين في فهم النصوص الشرعية.

أبرز الضوابط في فهم أخبار المستقبل

التثبت من صحة الحديث قبل الاستدلال به.

جمع الروايات الواردة في الباب الواحد وعدم الاقتصار على بعضها.

رد المتشابه إلى المحكم.

فهم النصوص على منهج السلف الصالح.

التفريق بين التفسير العلمي للنص وبين تنزيله على الواقع.

عدم الجزم بتعيين الأشخاص أو الدول أو الوقائع إلا بدليل واضح.

الحذر من التأويلات السياسية والعاطفية.

عدم بناء المواقف الشرعية على الظنون والأخبار غير الثابتة.

الإيمان بالنصوص كما جاءت دون إفراط أو تفريط.

الاشتغال بالمقصد الشرعي من النصوص، وهو إصلاح النفس والاستعداد للآخرة.